كليـــــــــــة الآداب
قســـــم الفلســـــفة

محـــاضـــرات

في

الفلســـفة الســـياسية المعاصرة

إعداد

د/ **هاله حسن أحمد جعفر**
مدرس الفلسفة السياسية بكلية الآداب
جامعة جنوب الوادي

تقديم :

كانت فلسفة الأخلاق عند القدماء تدبر سلوك وفلسفة السياسة تدبر حكم المجتمع الذى ينتمى إليه الفرد .

ومن هذا المنطلق فلقد اعتبرت فلسفة الأخلاق عند القدماء جزءا من فلسفة السياسة وعالجها القدماء باعتبارهما علما واحدا.

فكانت فلسفة السياسة عند أفلاطون تتصل بالفلسفة في مذهبه وتكونان كلا متسقا وكان أرسطو يدرس الأخلاق كمقدمة لفلسفته السياسية ولكن المحدثين وان تغيرت نظرتهم للفلسفة السياسية عن نظرة القدماء اليها الا انهم متفقين على ان جانبها النظري الخالص يرجع الى دراسات الفلاسفة.

فما هي موضوعات دراسة فلسفة السياسة؟

تدرس فلسفة السياسة بوجه عام طبيعة الحكومة وطرق قيامها، والعلاقة القائمة بين الفرد والدولة وأصل المجتمع ومبادئ تكونه وطبيعة مقاييس السياسة ووظيفتها ومصادر الحقوق الفردية.

والكثير من الفلسفات السياسية كانت محاولة لتبرير نوع من الحكم وتأييد طرقه وأهدافه وكثيرا ماأقيم هذا التبرير على اسس أدبية وأخلاقية وقليل من هذه الفلسفات من شذ عن هذه القاعدة كفلسفة ماكيافللي.

أهمية دراسة الفكر السياسي:

اصبحت الآراء في العصر الحديث أدوات السلطة ووسائط القوة فإنها هي التي تعين غايات الشعوب وتحدد أهداف الجماعات وتوجهها وبها تهتدي في مسيرتها الحضارية.

بالإضافة الى أنها تجمع بينها أو تفرقها ويستعين بها الساسة لبلوغ السلطان أي انهم يحيلون الأفكار الى اساليب لإنجاز غاياتهم وبالطبع لا يقتصر تأثير نظم الحكم الفكرية على الميادين المحلية بل أصبحت تجاوزها الى العلاقات الدولية.

فالمذاهب السياسية والأجتماعية ماهي إلا مرآة احتياجات المجتمع وقيمه وتطلعاته المادية والروحية وفيها يتجسد توقه لتحرير ذاته من التخلف بأنواعه والأستغلال بكافة أشكاله.

تتمتع المذاهب السياسية بعديد من الخصائص أهمها:

الأولى: تنبعث المذاهب في غمار الازمات وبين فئات المجتمع التي تؤمن بحيوية التغيير، إذ تنزع الفطرة البشرية الى تشييد بنيانها الأيدلوجي فتنقاد لاعتناق مذهب اجتماعي أو سياسي يتفق وأوضاعها وتطلعاتها.

الثانية: المذاهب الفكرية هي تنسيق للفكر السياسي فهي ليست آراء طائشة تمضي على غير هدى فانها على النقيض تتسم بترتيبها المنطقي وبترابط أجزائها واستناد احداها على الاخرى.

الثالثة: تتضمن المذاهب عناصر تجريبية ومعيارية على السواء ذلك لأن المبادئ السياسية والاجتماعية التي تضمها بين طياتها تتناول الوضع الحاضر ومايجب أن تكون عليه.

الرابعة: تستهدف المذاهب الى استمالة العاطفة وتأجيج الانفعالات لامجرد تثقيفها. ذلك لأن أصحاب المذاهب السياسية والاجتماعية يبحثون عن الأساليب التي تمكنهم من تغيير حياة من يحيط بهم من أفراد ومجموعات وجماعات.

الخامسة: تضفي المذاهب السياسية والاجتماعية هالات المجد على أبطالها وشهداء مبادئها وزعمائها وفقهائها العظام.

السادسة: تخضع المذاهب السياسية والاجتماعية لسنة التطور لكنها تقاوم التغير الجوهري.

وللمذاهب السياسية عديد من الوظائف فلا يعتبر أن تشييد المذاهب السياسية مجرد وسيلة يستعين بها الافراد في صياغة مهمة الحياة بل انها تسدي خدمات للمجتمع الذي يشيد على دعائمها بالاضافة الى انها تؤدي وظائف للحركات السياسية التي تنشد تغيير النظام.

ويمكن اجمال أهم الوظائف فى:

١- تذودنا المذاهب السياسية بطراز من المعرفة يمتاز بالاصالة والطرافة ذلك لأنها صيغة من الآراء تؤهلنا لأن نفقه الكون ونفهمه ونفسره وعن طريقها يتم كشف طلاسم الطبيعة وفهم الجماعة الانسانية.

٢- تتولى المذاهب السياسية هداية الفعل والرأى فرديان كانا أم جماعيان ذلك لأنها مجموعة من القواعد تنظم طريقة تأدية الانسان دورة في الحياة السياسية.

٣- تعاون الايديولوجية الفرد على مجابهة التناقضات داخل ذاته من ناحية وتناقضاته مع الآخرين ، من الناحية الاخرى. وبالنسبة للمجتمعات والجماعات تقصي الايديولوجية بعض التناقضات وتضعف تأثير البعض الاخر وبفضل تلقين الشئ مبادئ الدولة الايديولوجية يتم امتزاج مشاعر الجماهير وتتوحد أحاسيسها فتبذل الولاء للحكم القائم وهنا ترتضي التضحية في سبيل أهداف الدولة، وتحددها الصفوة المثقفة.

٤- ليست الايديولوجية مجرد عدسة يشاهد الناس من خلالها العالم الذي يعيشون فيه لكنها كذلك مرآة يشاهدون فيها أنفسهم وهي نافذة يراهم منها الاخرين.

٥- الايديولوجية قوة دافعة: سواء بالنسبة للحياة الفردية أو الجماعة ذلك لأنها تشحن الأفراد والجماعات باحساس التبشير برسالة وواجب النهوض بأعباء هدف نبيل وتكريس الذات لكفالة الحياة الرغيدة وتشييد المجتمع الفاضل.

وسنحاول دراسة المزيد من هذا المذاهب سواء في الفكر الشرقي القديم وعند اليونان كما سنعرض لتلك المذاهب في العصور الوسيطة المسلمة والمسيحية وعصر النهضة الاوروبية.

وتدور هذه الدراسة حول موضوع من موضوعات الفلسفة السياسية وهو (المثقف العضوي فى فلسفة انطونيو جرامشى)حيث تدور الدراسة فى عدة فصول منها مايتعلق بحياة جرامشى وتطوره الفكري ومفهوم المثقف العضوي ومدي التباين بين

مفهوم المثقف العضوي والمثقف العادى وغيرها من الموضوعات المتعلقة بالمثقف العضوى في فلسفة جرامشى .

كل ذلك ماهو الا محاولة لإلمام الطالب ببعض المفاهيم والموضوعات فى الفلسفة السياسية عسي ان نكون لبنة فى بناء فكر الطالب لعل ان يساعده ذلك فى فهم الواقع ومايحيط به من احداث ،

وعلي الله قصد السبيل ،

تمهيد :

تميزت قضية المثقفين بأهمية كبيرة علي مر التاريخ، وبدت آراء الفلاسفة والمفكرين في المثقف تتنوع أكثر فأكثر، فشهد عصر الحداثة وما بعدها تنظير في مفهوم المثقف بشكله العام، وعُد المثقف المحرك الأساسي للهوية البشرية.

فمنذ الفيلسوف الألماني كانط تبرز صورة المثقف بأنها الصورة الطوباوية، التي ينسج كل مفكر خياله عنها، فيمكن القول أن مفهوم المثقف هو المفهوم الأكثر شمولاً في العصر الحداثي وما بعده، ومن هنا نري كثرة الفلاسفة الذين أولو المثقف اهتمامهم ومن هؤلاء الفلاسفة (فوكو وإدوارد سعيد وكانط وجرامشي وغيرهم، فهؤلاء هم الذين رسموا صورة المثقف الحديثة.

تكُمن اهمية مسألة المثقف في كل العصور، فالمثقف هو المحرك الرئيسي لكل الأحداث، ولا تكتمل الهوية الذاتية للوجود البشري إلا به، فهو يشكل الأساس أو الدعامة لهذه الهوية، وتختلف صورة المثقف من فيلسوف لآخر فالمثقف هو المعرفة الابستمولوجية وهذه المعرفة هي التي تكسب المثقف آساسياته، ليكون أساس الهوية البشرية.

فمازالت قضية المثقف تطرح نفسها بشدة، تفيض بالمعاناة حيناً، وتنبض بجلال السعي الدؤوب للعثور علي الحقيقة باعتبارها بحثاً عن القيم الكامنة في جوهر الإنسان حيناً آخر.

أما المثقف العضوي فهو تعبير استخدمه لأول مرة المفكر الإيطالي أنطونيو جرامشي، رأي من خلال تعريفه أن ما يميز المثقف، أنه بما يمتلكه من علم ومعرفة يمثل حالة متقدمة في الوعي ضمن المجتمع الذي يعيش فيه، إن وعيه المتقدم علي أفراد مجتمعه يحمله باستمرار مسؤولية تاريخية، تتمثل في الإسهام في تجديد الفكر، بما يخدم مشروع التقدم والنهضة في بلاده، ذلك يعني أن دور المثقف هو عدم الإنكفاء والتشرنق بالأبراج العالية، بعيداً عن مجتمعه وآماله وتطلعاته، وايضاً عن موروث هذا المجتمع وتقاليده وأعرافه التي صنعت تاريخه.

ومن هنا فعلي المثقف العضوي باعتباره ضمير وطنه أن يتقدم علي المجتمع، الذي هو جزء من مكوناته، وفي نفس الوقت يبقي التواصل والجسور مفتوحة، بينه وبين هذا المجتمع وثقافاته، وإذا لم يوفق المثقف في تحقيق هذه المعادلة، فإن النتيجة تكون عزلته، وعندها يكون كما لو أنه يخاطب نفسه، ولا يحقق أي فعل ولا صدي فيما يطرحه من أفكار، فأي ثقافة تقع خارج دائرة الالتزام بهموم الناس وقضاياهم هي ترف فكري محض، فالمثقف هو نتاج المجتمع الذي يعيش فيه، وفي الغالب لا يوجد فرد ليس لديه انحياز أو فكرة أو موقف، لكن دور المثقف أكبر من ذلك وهو أن يعي الثوابت الوطنية التي يشكل خدشها إضرار بالمجتمع واهتزاز لإستقراره فعلي المثقف أن يكون قريباً دائماً من الرأي العام، لكن ليس لدرجة التسليم بالخيالات

والأوهام فالمثقف العضوي لو تخلي عن دوره في أخذ المجتمع إلي الحالة المتقدمة في الوعي، يفقد وظيفته كمثقف.

موضوع الدراسة:

لقد شهد النصف الأول من القرن العشرين انتعاشاً لافتاً في حقل التنظير الإشتراكي الماركسي، وظهر مفكرون تركوا أعظم الأثر في وعي أجيالهم، وكانت لهم أدوارهم في النضال السياسي، إلي جانب إبداعهم الفكري والفلسفي، ويُعد **أنطونيو جرامشي** أكثر أولئك المفكرين في ضمن الحلقات السياسية الماركسية الفاعلة اهمية في تلك الحقبة وإثارة الجدل.

لم يخرج فكر جرامشي إلي النور إلا في عقد الستينيات من القرن العشرين ليتسلل إلي دوائر النخبة الثقافية بفرنسا وامريكا

لقد كان جرامشي ماركسياً مُخلصاً، لكنه رفض عبادة ماركس كمعصوم من الخطأ، ويُعد جرامشي صاحب فلسفة البراكسيس وهي فلسفة تقوم علي قطيعة مع الأفكار الماركسية، بشكلها التقليدي، وتولي الإهتمام للممارسة النظرية والتصورات الواقعية، ومن ثم يميز الباحثون بين مرحلتين في فكر جرامشي:

الأولي: أثناء العمل السياسي والصحافة التوعوية من ١٩١٦م حتي ١٩٢٦م.

الثانية: فترة السجن من ١٩٢٦م حتي ١٩٣٧م، وقد مثلت مرحلة السجن فرصة لجرامشي لتأصيل أفكاره، لقد كانت قضية المثقفين الخيط الناظم لكل كتابات جرامشي، فقد درس بعمق تكوين المثقفين الإيطاليين كطبقة وبحث أصولهم وتجمعاتهم وتياراتهم الثقافية، فهو يري المثقفين بشكل عام كجزء من جهاز الدولة، أو أنهم يمثلون حلقة وصل بين الدولة والشعب، وللمثقفين وضعية خاصة بالنسبة لجرامشي، فهم المُناط بهم في الفعل السياسي، والتأثير المهم في الحركة، وتشكيل وعي الجماهير من خلال المجتمع المدني، حيث ذهب جرامشي إلي أن كل الناس مثقفون لكن لا يمارس كل الناس دور المثقف، ومن ثم ميز جرامشي بين المثقف التقليدي والعضوي، لقد ارتبط هذا التوصيف المركب بالمفكر والقائد السياسي انطونيو جرامشي

ولقد أنقسم المثقفون عند جرامشي **إلي نوعين:**

١- **المثقفون التقليديون** كالأدباء والعلماء وغيرهم الذين تحيط بهم هالة من الحياد بين الطبقات الاجتماعية، وتُخفي وضعهم الحقيقي الناشئ عن علاقاتهم الطبقية السابقة

٢- **المثقفون العضويون** ذلك العنصر المفكر والمنظم في طبقة إجتماعية أساسية معينة، فالمثقف العضوي لا يختزل فهماً و تعريفاً، فذلك المثقف المرتبط بالجماهير، الذي يرغب في التغيير، فالمثقف العضوي في فكر جرامشي هو صاحب مشروع ثقافي يمثل في الإصلاح الثقافي

والأخلاقي سعياً وراء تحقيق الهيمنة الثقافية للطبقة العاملة بصفة خاصة وللكتلة التاريخية بصفة عامة، فالمثقف العضوي له قدرة علي صياغة مشروع إصلاحي ثقافي وأخلاقي وإرادة هزم الكتلة التاريخية القديمة المؤلفة من برجوازية الشمال وإقطاع الجنوب، حيث شكل تفكير جرامشي في مسألة المثقف العضوي تجديداً جريئاً داخل الفكر الماركسي، حيث فكر جرامشي بمرجعية جديدة أساسها الموضوعية التاريخية لدور المثقف في التغيير، مادام أن الصراع في دول أوروبا الغربية هو صراع علي الأجهزة الثقافية والأيديولوجية، وليس صراع علي الجهاز السياسي للدولة وخاصة اجهزتها القمعية.

لقد اعتري مفهوم المثقف العضوي كثيراً من اللبس، لأن هناك الكثير يعتقد أن مفهوم المثقف العضوي مرادف لمفهوم المثقف المستقل الذي لا يقبل الخضوع لأي ايديولوجيا أو عقيدة معينة سوي ما يتطابق مع رؤي الإنسان الحر ومتباياناته المعرفية، ومن ثم ما يهتم به جرامشي هو التكوينات المجتمعية المرتبطة بالواقع ومتغيراته، وبالتالي يكون مفهوم المثقف العضوي عنده هو الشخص الذي يستطيع أن يُدرك بمهارة تنم عن وعي ثقافي.

ولا يتميز هؤلاء المثقفين بمهنهم بقدر ما يتميزون بوظيفتهم في توجيه أفكار وتطلعات الطبقة التي ينتمون إليها عضوياً، الذي يهم جرامشي مقدار ما يمتلكه هذا المثقف من وعي خلاق يستطيع من خلاله التعبير عن ايديولوجيا الجماعة التي هو جزء فاعل وواع منها، ولا استقلالية له إلا بالمقدار الذي تكون فيه هذه الاستقلالية، تعبير حقيقي لرغبات طبقته، لكنه احياناً يضطر لأن يكون خارج الجماعة التي ينطق باسمها ليعبر عن طموحاته بحرية أكبر، لكن في خروجه عن الجماعة التي ينطق باسمها ليعبر عن طموحاته بحرية أكبر، إنما هو إدراك ووعي نافذ عنده وخروج عن نمط التفكير السائد الذي يتماهى فيه، المثقف التقليدي مع الحس الجمعي للطبقة التي ينتمي إليها، الذي صوره البعض إنه يعيش في برج عاجي، ويقوم بتزييف الواقع ليصنع له منبراً و سرداقاً يصفق له المصفقون ممن ظن إنهم سذّج، بينما نجد المثقف العضوي مغايراً لكل تلك التصورات لا يقبل أن يستغل سذاجة أحد من الجمهور، إنه ينأي بنفسه عن ملذات العيش في كنف السلاطين والمُستبدين رافضاً أن يكون أداة أو وسيلة بيد الجماهير فهو يرغب أن يكون لسانهم الناطق والمُعبر الحقيقي عن معاناتهم وصبرهم الجميل لأنه العقل الناطق باسم الجماعة.

هذا يعني أن مثقف جرامشي العضوي، هو مثقف ايديولوجي ينطق باسم الجماعة التي هو منها، فالمثقف المُعبر عن طموحات وآمال البروليتاريا عليه أن يعمل بجد وكد وتعب فكري ونظري متميز، كي تكون هذه الجماعة هي المهيمنة ثقافياً علي المشهد السياسي والفكري والإجتماعي، فالحزب الثوري طبقاً لرأي جرامشي هو الحزب الوحيد القادر علي تكوين طبقة

من المثقفين العضويين الذين باستطاعتهم تحشيد الجماهير كي يكونوا جماعة قادرة علي رفض حركة الهيمنة الرأسمالية.

وأخيراً: إن مفهوم جرامشي عن المثقف العضوي لا يشمل الأدباء والعلماء والكتاب الذين لا ينشغلون بالطبقة الذين هم منها، فهؤلاء في عداد المثقفين التقليديين لأنهم ينظرون للأدب من أجل الأدب والعلم من أجل العلم، بينما تكون وظيفة المثقف العضوي هي وظيفة إجتماعية تقتضي التغيير وفق معتقد وايديولوجية لها مقبولية وتأثير اجتماعي.

فالمثقف العضوي هو الذي يعيش هموم عصره، ويرتبط بقضايا أمته، فأي مثقف لا يتحسس آلام شعبه، لا يستحق لقب مثقف حتي وإن كان يحمل أعلي الشهادات الجامعية.

والحال أن الحاجة إلي المثقف ما زالت حاجة قائمة وراهنة، بل هي حاجة اشتدت وتعاظمت بتعاظم النكسات والهزائم.

أهمية الموضوع:

١- تكمن أهمية فكر جرامشي الفلسفي والسياسي في أنه لا ينظر إلي الواقع بعين واحدة، ولا يبحث في جانب علي حساب الجانب الآخر، بل العكس من ذلك إنه يتعامل مع الواقع المتكثر والمتعدد والمتغير والمحكوم بأكثر من سلطة، ابتداءاً من السلطة التقليدية بمؤسساتها المتعددة إلي السلطة السياسية، ناهيك عن السلطة الشعبية المتمثلة في الخطاب الديني والشعبي.

٢- يُعتبر جرامشي الفيلسوف الشاهد علي العصر والسياسي محرك العصر والمُثقف مغير العصر.

٣- لقد خرج جرامشي علي المفاهيم القديمة، فيما يتعلق بتعريف المثقف، حيث أنه لا ينظر إلي المثقف بوصفه الحاصل علي درجة عالية من التعليم، أو المهموم بمزاولة النشاط الذهني ضد النشاط اليدوي، كما هو معروف في الأدبيات الماركسية هذا ما يطلق عليه المثقف التقليدي غير الفعال، أما المثقف الذي يُعنيه جرامشي هو المثقف العضوي الفعال والناقد لبُني المجتمع التقليدية من خلال إعادة وصياغة تصوراته الشمولية السائدة في كل عصر.

٤- الصورة المُضيئة التي جسدها جرامشي للعلاقة الأصيلة بين الفلسفة والثقافة، إذ يمكن من خلالها أن نعتبره نموذجاً ينبغي أن يحتذي به، حيث رفض وجود فلسفة مُطلقة واحدة واعتبر جميع الناس فلاسفة بمعني معين، ودافع بشكل مُستميت عن الإنسان مهما كانت هويته وإينما كان موطنه.

تدور هذه الدراسة مفهوم المثقف العضوي عند انطونيو جرامشي، والقضايا والمشكلات المتعلقة بهذا المفهوم، في (مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع)

- **المقدمة:** تعرض الباحثة لموضوع الدراسة وأهمية الموضوع والدوافع وراء اختيار الموضوع واشكالية البحث والمنهج المتبع البحث.

الفصل الأول: وهو بعنوان التطور الفكري لحياة انطونيو جرامشي

سوف تتعرض الباحثة لحياة جرامشي، والعصر الذي نشأ وترعرع فيه، والسنوات التي قضاها في السجن، ومدي تأثيرها عليه، حيث كان تركيز جرامشي الأكبر خلال سنوات سجنه التي قضاها علي موضوع المثقفين وعلاقتهم بالمجتمع.

أما الفصل الثاني: بعنوان المثقف بين الفكر العربي والأوروبي

سنتطرق في هذا الفصل للحديث حول النخبة المثقفة في الفكر العربي المعاصر، وذلك من خلال مجموعة من المفكرين العرب، الذين كانت لهم رؤية واضحة في تناولها لموضوع المثقف، وعليه سنتطرق لبعض النماذج من المفكرين العرب، من أمثال مالك بن نبي وعلي حرب وإدوارد سعيد، ثم التطرق للمثقف في الفكر الغربي المعاصر والاستشهاد كذلك ببعض النماذج مثل سارتر وميشال فوكو وبياربورديو، ومن كل التعريفات والتصورات ظهر بشكل جلي الاختلاف حول تحديد مصطلح المثقف، إذ نجد من حدده بالمهتم بالشأن العام، في حين هناك رأي آخر فيه من التفكير وابتكار الحلول، وهناك من اعتبره صاحب المعرفة والتحصيل الدراسي.

أما الفصل الثالث: بعنوان مفهوم المثقف عند انطونيو جرامشي

لقد اصبح موضوع الثقافة محل اهتمام كثير من المهتمين بالعلوم الإنسانية، حيث يري انطونيو جرامشي أن ما يحكم تعريف المثقف ليس الخصائص الجوهرية لنشاطه الذهني فحسب، بل كذلك الوظيفة الإجتماعية التي يؤديها المثقف لمجتمعه، حيث أن تحليل جرامشي لمفهوم المثقف ينطلق من النقد الثوري لكل فراق بين العمل الذهني واليدوي، حيث نجد جرامشي لا يستطيع أن يحدد تعريفاً محدداً لمفهوم المثقف لأنه يري أن الثقافة هي أعدل الأشياء قسمة بين أفراد المجتمع، وليست حكراً علي فئة أو شريحة معينة، أما وظيفة المثقف الأساسية هي تحقيق التجانس لتصور العالم، الذي يخص الطبقة التي يرتبط بها عضوياً، ولقد قسم جرامشي المثقفون إلي المثقف التقليدي والمثقف العضوي ومثقفوا الشمال والجنوب.

أما الفصل الرابع بعنوان: من المثقف إلي العقل السياسي

لقد عاد جرامشي النظر بمفاهيم تحولت إلي أقانيم مقدسة لا يأتيها الباطل من أمامها أو من خلفها، كمفهوم الحزب والهيمنة السياسية والدولة والمجتمع المدني.

ولقد شكل جرامشي خطابه الثقافي بشكل عام، وخطاب المثقف بشكل خاص من خلال الوضع الابستمولوجي الذي أحدثه مع الفكر الميتافيزيقي.

أما الفصل الخامس بعنوان: جرامشي وقضايا المجتمع المدني

لقد شهد مصطلح المجتمع المدني منذ الثمانينات من القرن العشرين عودة قوية إلي ميدان النظرية السياسية بل والنظرية الإجتماعية ونظراً للطابع الإشكالي الذي ينطوي عليه المصطلح سنسعي إلي تحديد الإطار النظري لمفهوم المجتمع المدني من خلال تتبع نشأته وتطوره كمفهوم له امتداداته السابقة في الفكر السياسي والفلسفي الغربي، حيث خضع لصيرورة تطور تاريخي.

حيث تكشف طبيعة الإجتماع الإنساني لبني البشر عن ظواهر كانت ميدان النظر الفلسفي ولعل في مقدمتها ظاهرة المجتمع المدني، الذي تعرضت له كل فلسفة قدمت نفسها كفلسفة سياسية، وإن اختلفت المفاهيم والتحليلات لكل من تلك الفلسفات، وهو ما أدي إلي اختلافها في بلورة هذا المفهوم، لقد أصبح مفهوم المجتمع المدني في الآونة الأخيرة علامة تجارية هامة ورائجة ومتداولة في العالم المعاصر، إذ أصبح مجالاً خصباً للندوات والدراسات السياسية والاجتماعية وأصبح يتردد صداه علي ألسنة مثقفي العالم وسياسيه، وفي المنابر الإعلامية المختلفة، ولقد اصبحت منظمات المجتمع المدني العالمي منها والمحلي بمثابة رجل المهام الصعبة في تذليل العقبات السياسي منها والاقتصادي علي حد سواء، حيث تُعد واقعة المجتمع المدني حالة زحزحت الحدود بين ما هو دولتي من شأن الدولة وبين ما هو مجتمعي من جهة وبين ما هو مدني واقتصادي من جهة أخري، يأتي هذا السعي بشكل موسع لتباين أن فكرة المجتمع المدني يمكن أن تكون مدخلاً لتناول سيرورة الديمقراطية والاجتماع السياسي.

ولقد تطور مفهوم المجتمع المدني في صيغته ودلالته المعاصرة والناجزة مع الفيلسوف الإيطالي انطونيو جرامشي صاحب الباع الواسع في النضال السياسي، مع الأخذ في الإعتبار الخلفيات والمرتكزات الفلسفية التي استند إليها جرامشي في بلورة مفهومه عن المجتمع المدني.

الخاتمة:

الخاتمة تحتوي علي النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، والتي هي بمثابة إجابة عن كافة التساؤلات، ثم في النهاية ثبت المصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها في البحث.

الفصل الأول
التطور الفكري في حياة أنطونيو جرامشي

ويشتمل هذا الفصل على الآتي:

*** تمهيد**

المبحث الأول: حياة انطونيو جرامشي

أولاً: حياته

ثانياً: سنوات التكوين في تورينو

ثالثاً: السجن

المبحث الثاني: بناؤه الفكري

أولاً: نقد الماركسية الارثوذكسية

ثانياً: فلسفة البراكسيس

ثالثاً: خصائص فلسفة البراكسيس

رابعاً: التأثير والتأثر

خامساً: لماذا جرامشي..؟

ـ تعقيب:

تمهيد:

لا خلاف في أدبيات النظرية السياسية أن أنطونيو جرامشي هو واحد من أهم مفكري القرن العشرون، وواحد من أبرز مفكري الماركسية ومن أهم منظري الحركة الثورية العالمية والإيطالية بشكل أخص.

فلقد أحتل مكانة استثنائية في الفكر السياسي الحديث سواء **علي المستوي الأكاديمي** (نظراً لإسهاماته في قضايا التغيير والثورة والثقافة والمجتمع والتاريخ لما طرحه من مفاهيم بالغة الثراء والجدة فيما يخص تلك القضايا وتعميقه الوسائل المعرفية والمنهجية لتحليل النظام الرأسمالي وأساليبه في الإستغلال والهيمنة).

أما علي مستوي النضال السياسي (نظراً لقضائه فترة طويلة في سجون الفاشية لدفاعه عن تحرر مجتمعه وإلتزامه حتي آخر حياته بمشروعه النضالي والسياسي وتفانيه في الكتابة والتفكير رغم انعدام المراجع والرقابة المشددة علي سجون الفاشية).

كما ساهم في تطوير الوعي الثوري ومنحه استراتيجية غير مألوفة لدي الأدبيات الماركسية الثورية تضمن نجاح التغيير والحفاظ عليه، لقد أعطت مرحلة السجن لجرامشي فرصة لتحليل الواقع ومراجعة مواقفه وأثمرت عن أهم كتاباته (دفاتر السجن).

كما يعود إليه الفضل حين يدور الحديث حول رياح التحرر التي طبعت مسيرة الحزب الشيوعي الإيطالي، حيث عاش في الثلث الأول من القرن العشرين، وهي فترة حاسمة في تاريخ البشرية، حيث برز علي مسرح الاحداث العديد من الانعطافات التاريخية الرئيسية، ولقد عاش جرامشي هذه الاحداث محللاً وممارساً في الحياة السياسية، والثقافية، لقد كان نشاط جرامشي مميزاً و كثيفاً أثناء صعود الفاشية في ايطاليا.

لقد سُجن جرامشي إلا إن سنوات سجنه علي الرغم ما فيها من حصار إلا إنها أثمرت أهم كتاباته، فعلي الرغم من عزلته في سجنه، إلا إنه كان يمارس أعلي أشكال التفكير والعمل العقلي.

المبحث الأول: حياة انطونيو جرامشي

أولاً: حياته

تعتبر حياة أنطونيو جرامشي هي المرآة الحقيقية لأغلب فكر جرامشي السياسي منه والثقافي والأيديولوجي، **فما هي قصة حياة هذا المثقف؟** عندما ألقي **مارتن هيدجر** Heidegger محاضرته عن **أرسطو Aristotle**(*) قال أن أرسطو ولد ثم تعب ثم مات، فلا داعي أن ننشغل بحياته، لأن حياة أرسطو لم تكن حياة تتسم بالإضطرابات السياسية ولا التحولات الإجتماعية، فما كان يهم هيدجر مسألة الميتافيزيقا عند أرسطو وليست الإشكاليات التي تعاصر فكره

لكن الأمر يختلف عند جرامشي لما في حياته من محطات، ولد أنطونيو جرامشي في عام ١٨٩١م، في بلدة أليس **Ales** الصغيرة في سردينيا(وهي جزيرة فقيرة كانت الزراعة فيها متأخرة بسبب الظروف التي فرضتها سيطرة الشمال الإيطالي الأكثر تقدماً ومدنية)، وكان والده قد جاء من نابولي وكان مقرراً أن يصبح محامياً، لكن موت أبيه (جد جرامشي) جعله يترك الدراسة وأشتغل أميناً للسجلات في بلدة فيلارزا الصغيرة، وهناك ألتقي بأم جرامشي وتزوج بها

تعرض والد جرامشي للسجن وعاشت العائلة حياة صعبة وفي حرمان شديد، وفي سن السابعة تعرض جرامشي لحادث تضرر فيها حبله الشوكي، وأصبح من وقتها أحدب وعاني من مشاكل صحية عديدة، وبعد إصابة جرامشي بالتحدب في مجتمع متأثر بالخرافات أنطوي خلف ستار الخوف والاضطهاد، لكن إصابته أصبحت مصدر إصراره علي الدراسة، وحصل علي منحة تعليمية في جامعة تورينو لدراسة علم اللغة، وفيها تعرف علي بعض اصدقائه وسوف يؤسسون فيما بعد صحيفة النظام الجديد

هناك تواريخ كثيرة ومتداخلة تمثل محطات في حياة جرامشي وتطور فكره في شتي المناحي ويبدو أن هذه التواريخ تجعلنا نتفهم الظروف الأخيرة التي لازمت جرامشي اثناء سجنه:

- ١٨٩١م: ولد أنطونيو جرامشي في بلدة أليس بسردينيا
- ١٨٩٤م: يتابع دراسته في مدرسة دينية ويحصل علي الشهادة الإبتدائية.- ١٩١١م:حصل علي البكالوريا ثم سجل علي منحة بمدينة تورين في معهد الآداب.
- ١٩١٩م: تابع دراسته في الآداب والحقوق وأصدر بالتعاون مع مناضلين إيطاليين مجلة أسبوعية ثقافية اشتراكية، ثم سُجن في تورين وبعد خروجه في الخريف بدأ في تنشيط مجالس العمال.

- ١٩٢٠م: كتب وثيقة من أجل تجديد الحزب الاشتراكي الإيطالي ثم أسس القسم الشيوعي للحزب الاشتراكي كانت السنوات الواقعة بين ١٩٢١- ١٩٢٦م سنوات الحديد والنار كما أطلق عليها فكانت حافلة ومثمرة، فقد أمضي في موسكو عاماً ونصف بوصفه المندوب الإيطالي في الدولة الشيوعية،كانت فترة ثرية بالتجارب.

وقد التقي ب"جولكا شكت" وتزوج بها وهي عازفة فيولين وعضو بالحزب الشيوعي الروسي وتزوجا وانجبا طفلين هما " ديليو وجوليانو "، ومن ١٩٢٧م- ١٩٣٦م:تقوم المحكمة الخاصة بالدفاع عن الدولة التي كونها الحكم الفاشي لموسوليني بالحكم عليه عشرون سنة سجناً، وفي السجن بدأ في كتابة دفاتر السجن، وتتأزم صحته، وينقل إلي عيادة خاصة، وتدهورت صحته وتوفي في ٢٧ من أبريل، ١٩٣٧م ودفُن في مقابر روما.

إذن هناك نقاط تحول كثيرة لمسيرة جرامشي النضالية لأنه كان يحاول جاهداً أن يؤسس معارضة برلمانية، ومن الملاحظ أن جرامشي كان ينوي من خلال هذا البرلمان ضرب فكرة الحزب الواحد المُسيطر علي زمام الأمور وبالأخص الحزب الشيوعي آنذاك إلي جانب إنه كان ينوي وضع حد لتمادي السلطة الديكتاتورية التي كانت تتربع علي عرش السياسة الإيطالية، وعند قراءتنا لكل كّتاب سير جرامشي، لا نري من يتجاوز المكان الذي نشأ وتربي فيه جرامشي، وهو جنوب قرية سردينيا، التي تمتاز بانتشار الأمية والفقر والجهل والمرض.

وفاته:

لقد تلقي العالم بدهشة صاعقة نبأ وفاة انطونيو جرامشي رغم الحملة الاحتجاجية العالمية التي اطلقت من أجل حرية انطونيو جرامشي، إلا إنها لم تفد بشيء لأنه بمجرد اطلاق سراحه لم يستطع حتي مغادرة عتبة بوابة السجن ليعانق الحرية، رحل جرامشي في ٢٧ أبريل ١٩٣٧م متأثراً بنزيف في المخ، (إلي جانب العديد من الأمراض مثل ضغط الدم العالي والسل الرئوي) بعد أيام قلائل من حصوله علي حريته الكاملة، ودفن في مقبرة البروتستات في روما

لم يتوقف عقل ذلك المفكر قبل أن يترك ما يجعل عقولاً كثيرة تعمل، إن هذا التاريخ المؤلم (تاريخ هذا المفكر الإيطالي يؤكد أن تاريخ الفكر الأوروبي الحديث لم يكن طريقاً مفروشاً بالحرية والورود، بل كان طريق كفاح ضد نظم ظالمة عرفتها أوروبا بل العالم بأسره.

ثانياً: سنوات التكوين في تورينو:

كانت جامعة تورينو قبل الحرب العالمية الأولي متخلفة بعض الشيء عن بقية الجامعات الإيطالية في تشربها للتيارات الفكرية الجديدة، وصل جرامشي إلي تورينو بلا موارد مالية، وجاء إنقاذه عن طريق صندوق الجامعة للمنح الخاصة، وكانوا يقيمون إمتحانات للحصول علي المنح وحصل جرامشي علي المركز الخامس، وفي الجامعة تابع جرامشي دروساً في الإيطالية

واللاتينية والأدب الإغريقي تاريخ الفلسفة، لقد أهتم جرامشي بدراسة اللغات والألسنيات، لقد التقي بمجموعة موهوبة من الشبان الاشتراكيين في جامعة تورينو وتزامن وصوله إلي المدينة مع تفاقم الصراع السياسي في كل أنحاء أوروبا، فقد تراجعت الأفكار الليبرالية التي هيمنت علي السياسة السائدة، لتفسح المجال أمام نوع أكثر قسوة من سياسة الطبقة الحاكمة، وفي ذلك الوقت كانت حدة التنافس بين القوي الكبرى قد وصلت لمداها ففي الخارج كان يعني ذلك الإستحواذ علي أجزاء أكبر فأكبر من العالم، وفي الداخل كان يعني المزيد من الضغط للحفاظ علي الأجور المنخفضة مع الانتاجية المتزايدة، كل هذه الظروف أثرت علي تكوين جرامشي الفكري.

هذه نبذة عن حياته المبكرة، حيث نلاحظ من كل ما سبق إننا حاولنا أن نطلع بشكل مختصر علي حياة انطونيو جرامشي وصولاً إلي مواجهة السلطة الفاشية التي تُعتبر من المراحل الفاصلة في حياة جرامشي، فإما أن يتنازل عن كل تنظيراته السياسية ضد الأفكار السلطوية والواحدية والايديولوجية، أو يستمر حتي وإن كان طريقه إلي السجن والموت، وهذا ما حصل حقاً، يبدو أن هذه السيرة محددة بالتواريخ أكثر من سرد الأحداث، فهناك نقاط كثيرة تعتبر نقاط تطور وانحدار لمسيرة جرامشي النضالية، لأنه كان يحاول جاهداً أن يؤسس معارضة برلمانية، ومن الملاحظ أن جرامشي كان ينوي من خلال هذا البرلمان ضرب فكرة الحزب الواحد المسيطر علي زمام الأمور، وبشكل أخص الحزب الشيوعي آنذاك، إلي جانب إنه كان ينوي وضع حد لتمادي السلطة الديكتاتورية التي كانت تتربع علي عرش السياسة الإيطالية.

ذهب جرامشي إلي ساردينيا لأيام قليلة للمشاركة في الدعاية والتنظيم السياسي، ومضي بعض الوقت مع أسرته، ومن ثم ذهب إلي موسكو، لكن الأحداث بلغت ذروة أخري ولقد قرر الشيوعيين التخلي عن المعارضة البرلمانية والعودة إلي مجلس النواب، وكان موسوليني قد أعلن بداية السيطرة الفاشية الكاملة، وعاد جرامشي إلي روما في مايو، وألقي خطاباً في مجلس النواب، ضد مشروع القرار الخاص بالجمعيات السرية،الذي كان قدمه موسوليني، لقد لقيت خطبته آذناً صاغية تماماً.

إذن من خلال كل ما سبق حاولنا أن نتعرف علي حياة جرامشي وصولاً إلي مواجهة السلطة الفاشية، التي تُعتبر من المراحل الفاصلة في حياة جرامشي، فأما أن يتنازل عن كل تنظيراته السياسية ضد الأفكار السلطوية والواحدية أو يستمر حتي وإن كان طريقه إلي السجن والموت، وهذا ما حصل حقاً عندما أعلن مواجهة السلطة المستبدة بكل القيم الإنسانية،أما المرحلة الأخيرة من حياة جرامشي، هي مرحلة كتابة كراسات السجن، التي كانت حصيلة نضاله الدؤوب من أجل الحرية الفكرية والإصلاح الثقافي والوجداني لبسطاء الشعب، يكتب بوزوليني عن الأحداث الأخيرة لجرامشي " في تلك الأثناء كان البوليس الفاشي يطارد كل نواب المعارضة،

وطلب قيادة الحزب من جرامشي أن ينتقل إلي سويسرا طلباً للأمان، لكنه فضل أن يبقي في ايطاليا، وفي بداية نوفمبر عجز عن الوصول إلي موعد لاجتماع سري، لقد اوقف البوليس جرامشي واجبره علي العودة إلي روما.

ثالثاً: السجن:

لقد أُلقي القبض علي جرامشي وكذلك علي النواب الشيوعيين الآخرين، لقد حُكم عليه بالإعتقال لمدة خمس أعوام، ولم يعلم إلا في وقت متأخر الجهة التي سيرسل إليها **"جزيرة أوستيا"** الصغيرة وفي شهر يناير ١٩٣٧م بدأت المحكمة الخاصة للدفاع عن الدولة نشاطها، وأصدرت أمر إعتقال ضد جرامشي وأُخذ إلي ميلانو واودع سجن سان فيتوريو، وكان باستطاعته أن يقرأ المجلات والكتب وأن يكتب الرسائل الداخلية، حيث عزم علي أن يكرس نفسه لخطة متعددة الجوانب من الدراسات اثناء سنواته في السجن.

كانت الأسابيع الستة التي أمضاها جرامشي رهن الإعتقال، هي الأخيرة التي تمت فيها بقدر نسبي من حرية الحركة، بصلات واسعة من مناضلين آخرين، كان بورديغا أحد زملائه السجناء وقد تعاون الأثنان علي تنظيم دورات تثقيفية للمعتقلين السياسيين، وكان جرامشي يّدرس مادتي التاريخ والجغرافيا، ويتعلم اللغة الألمانية، أما بورديغا فكان مسئولاً عن الجانب العلمي، إلا أن جرامشي نُقل في ١٩٢٧/١/٢٠م، إلي ميلانو، استمرت الرحلة تسعة عشر يوماً، كانوا ينقلون معظمهم مقيدون بالسلاسل من سجن لآخر، وبعد حوالي عام في ميلانو حيث كان معزولاً بصورة دائمة، بعد ذلك تمت إعادة جرامشي إلي روما لمحاكمته، لقد أعلن النائب العام وهو يشير إلي جرامشي، يتوجب علينا إيقاف هذه الدماغ لمدة عشرين عام، وحُكم عليه بالسجن عشرون عاماً، وصل إلي سجنه في حالة قريبة من الانهيار جراء المرض والتعب، ونُقل إلي مستوصف السجن، وكانت صحته في الأسوأ.

ما أن تسربت أخبار وضع جرامشي الصحي، إلي العالم الخارجي، حيث شنت الدوائر المعادية للفاشية حملة دولية واسعة للمطالبة بإطلاق سراحه، وكانت الحملة التي نظمها خصوصاً بييروسرافا وهو صديق قديم لجرامشي، في نهاية ١٩٣٣م قد أتت ثمارها فقد تم نقل جرامشي من توري من مشفي في فورميا، بلدة صغيرة في منتصف الطريق بين روما ونابولي، كانت عملية النقل هذه ضرورة طبية مُلحة، حيث انتشر المرض في سائر جسم جرامشي الذي كان يتعرض لعملية قتل بطيئة ومؤكدة علي الرغم من وضعه الصحي الخطير ظل جرامشي يعامل كسجين وغرفته قُلبت لتصبح شبيهة بزنزانة سجين كما كان يتعرض لكثير من الإزعاج جراء المراقبة الفظة.

إذن يمكننا القول : أن حياة جرامشي تنقسم إلي مرحلتين: مرحلة النضال السياسي والقيادي ومرحلة العمل الثقافي والاصلاحي لبنية المجتمع، لا سيما بعد اعتقاله واعتكافه علي كتابة كراسات السجن.

عندما نتحدث عن مرحلة ما بعد اعتقال جرامشي فإننا في الحقيقة نتحدث عن مشاكل يواجهها جرامشي، وأعني بها هل تبقي ثمة قيمة لأي عمل سياسي في ظل صعود الديكتاتوريات؟

- وهل يغدو النضال السياسي هنا ذا جدوي طالما هو محكوم عليه بالفشل من البدء؟ إن العمل السياسي يطلب التغيير لبنية السلطة الحاكمة من جانب، وللحياة التقليدية السائدة من جانب آخر، وكلا الأمران مستحيلان، لأن السلطة السياسية الديكتاتورية لا تخضع للتغيير، لأنها ضد التغير، التغيير عندها يساوي غيابها، فالمجتمع التقليدي لا يستطيع أن يتخلص من هيمنة ثقافته التقليدية السائدة، لأنه ايضاً يخشي التغيير ولا يأمنه

لقد ركز جرامشي في دفاتر السجن علي موضوع المثقفين، وعلاقتهم بالمجتمع وبالنظام المعرفي السائد، ومن هنا نعرض لطبيعة المفاهيم المسيطرة علي دفاتر السجن وطبيعة الرؤي السياسية الجديدة،علي اعتبار أن جرامشي سيجعل من العقل السياسي هو العقل المسيطر علي ذهنية الجماهير، الذي يكرس مجموعة من المفاهيم الأزلية التي تجعل من السلطة مطلقة وبعيدة عن النقد، نجد جرامشي لا يغير السلطة المجسدة والمسيطرة علي قدر تغيير مفاهيمها المسيطرة بطريقة لا شعورية علي ذهنية الجماهير وعندما تتغير هذه الذهنية يكون قادراً للتحول، يعني يكون البدء من القاعدة وليس من قمة الهرم.

المبحث الثاني: بناؤه الفكري

إن قيمة أعمال جرامشي يزداد وضوحها مع تزايد أزمات المجتمعات المعاصرة، ففكره يمثل مرحلة ما بعد الرأسمالية والإشتراكية، ومن خلال دراستنا لفكر جرامشي سنجد اسلوب جديد لمفكر يساري غير تقليدي لتناوله قضايا لازالت معاصرة وملحة، فالمتتبع لكتابات جرامشي السياسية، منها والثقافية، يري أن هاك ثالوث يحكم هذه الكتابات كنظام، هذا الثالوث يتكون من العلاقة الجدلية بين الفلسفة والسياسة والتاريخ، حيث يعتبر جرامشي الفلسفة البعيدة والمنعزلة عن الواقع وأحداثه وصراعاته هي فلسفة لا تاريخية، بمعني إنها لا تتعامل مع الوقائع التاريخية المتغيرة لأنها ساكنة تتعامل مع كل ما هو ساكن.

هنا تكمن أهمية فكر جرامشي الفلسفي والسياسي فهو في الحقيقة لا ينظر إلي الواقع بعين واحدة ولا يبحث في جانب علي حساب الآخر، بل علي العكس يتعامل مع الواقع المتغير المتعدد إننا لم نتعامل مع جرامشي كشخصية أو مثقفاً أو مفكرا قدر تعاملنا معه كمجموعة من الإشكاليات التي تتحرك وتتفاعل في واقعه، ولقد انقسم إنتاج جرامشي الفكري إلي مرحلتين كبيرتين قبل اعتقاله:

الأولي: قبل السجن (١٩١٠- ١٩٢٦م) كان نشاطه الفكري متجهاً بصورة مباشرة إلي الأحداث السياسية التي شارك فيها ولجأ حينها إلي الشكل الصحفي ليعلق علي الوضع السياسي.

الثانية: مرحلة ما بعد اعتقاله (١٩٢٩ – ١٩٣٥م) ويبرز فيها بوضوح الطابع النظري والتاريخي وتحدث عن مشاكل يواجهها جرامشي، يعني بها هل تبقي قيمة لأي عمل سياسي في ظل صعود الديكتاتوريات؟

أولاً: نقد الماركسية الأرثوذكسية)

مما لا شك فيه أن جرامشي تعامل مع الفكر الماركسي الذي يُعتبر المكون الأساسي لفلسفته السياسية ورؤياه الفكرية واشكالياته الثقافية، حيث تعامل مع هذا الفكر ليس تعاملاً ايديولوجياً أو حزبياً أو اقتصادياً، علي قدر تعامله معه بطريقة نقدية ترفض القداسة للحزب والإيمان بالمبدأ الواحد الذي يفسر حقائق الوجود، كل هذه الرؤي حولت الماركسية إلي أسطورة الأمر الذي جعل أغلب المنتمين إلي الماركسية ذو توجهات أمية لا يفهمون شيء

لم يكن جرامشي يتصور من الماركسية أن تزدهر في ظل الظروف **الدوغمائية والسلطوية** لأنه يؤمن أن هناك طاقة نقدية وإرادة إنسانية خلاقة ومبدعة تخرج عن الأنساق السلطوية وهذا هو جوهر البراكسيس الذي يحاول جرامشي أن يجسده في الفكر والواقع وفي النظرية لأن البراكسيس يهدم الأطروحات الميتافيزيقية العقائدية الجامدة.

من هنا نعتبر جرامشي صاحب فكر سياسي مبدع داخل الماركسية ويُطلق علي فكره أسم الجرامشية وهي فلسفة البراكسيس (النشاط العملي والممارسة الإنسانية) فهي ممارسة ونظرية في آن واحد لهذا فهي فلسفة سياسية، إن عمل جرامشي الفكري الذي أنتجه من داخل السجن لم ير النور إلا بعد عدة سنوات من الحرب العالمية الثانية، وقد نشر في أول الأمر بضعة أقسام متناثرة من دفاتره، فضلاً عما يقرب من ٥٠٠ رسالة كتبها في محبسه تجذب إليها الإنتباه والإهتمام والتعليق في مجموعة من البلدان، حتي أن بعض المصطلحات التي ابتكرها جرامشي أصبحت مألوفة ومتداولة ولعل أكثرها أهمية مصطلحات (الهيمنة والمثقف العضوي والكتلة التاريخية وغيرها...).

ففي الفترة ما بعد الحرب العالمية الأولي والتطور اللاحق لها وبروز **الفاشية** في ايطاليا و**النازية** في المانيا، واستقرار حكم **ستالين** ،الذي حمل علي مذهبه النظرية الماركسية وإنتاج وعي مذهبي جامد قاد إلي تعزيز الجهل الثقافي والمعرفي والفكري، وسد قنوات الحوار والتواصل، كل هذه العوامل مجتمعة فرضت عليه،أن يخوض المعركة الثقافية والفكرية، ضد الماركسية المبتذلة، إن جرامشي لا يؤمن إلا بنتائج البراكسيس.

هنا تكمن اهمية التجديد الذي ادخله جرامشي علي النظرية الماركسية، لأن عند حصول السيادة للبنية الفوقية يؤسس جرامشي الاستقلال السياسي والمجتمع المدني، بهذه الطريقة فقط يقبل جرامشي الماركسية إنها ماركسية تؤمن بالبراكسيس الدائم الذي يرفض التحجر، حيث استطاع جرامشي أن يوقظها من سباتها الدوغمائي،فالماركسية في نظره ليست بحاجه إلي دعائم وفلسفتها لا تنفك عنها، وبالتالي لا يمكن توحيدها مع أي من التيارات الفلسفية الأخرى.

هناك سؤال لابد من أن نطرحه: لماذا يتجاهل النقاد والمفكرون جرامشي في قضية نقد الخطاب الميتافيزيقي ويؤكدون علي **هيدجر ونيتشه ودريدا**...الخ؟

مع العلم أن جرامشي كانت له وقفة تقويضية للخطاب الميتافيزيقي، لكن الفرق أن جرامشي ينقد الخطاب الميتافيزيقي لأنه يتجاوز التاريخ (البراكسيس) وبالتالي يتجاوز القاعدة الجماهيرية، أما الفلاسفة السابقين الذكر فإنهم يتعاملون مع الميتافيزيقا معاملة لغوية، لكنهم في المحصلة النهائية يتفقون في تقويض الحضور الذي يدعي امتلاك الواقع كلياً بصورة قبلية.

ثانياً: فلسفة البراكسيس عند جرامشي:

الثقافة عند جرامشي وليد يتحرك في أحشاء البُني الفوقية، فيقول جرامشي (الفلسفة هي نظام ثقافي) فكانت الفلسفة عالم الثقافة، والثقافة عالم الفلسفة.

كلما كان التصور المجدد أكثر حيوية وجذرية وأكثر مناقضة لأنماط التفكير القديمة، كلما كانت الصلة بين النظر والعمل أكثر وثوقاً، إذن فلسفة البراكسيس هي وحدها فلسفة النقد والإبداع وهي وحدها التي خطت بالفكر الإنساني خطوات إلي الأمام عندما تجنبت كل نزوع نحو الوحدانية الضيقة، وحاولت القيام بقراءة عقلانية نقدية للواقع الموضوعي،أكد جرامشي علي ضرورة الإنتقال من التأمل النظري والبحث المعرفي إلي الفعل الميداني والممارسة العملية من أجل القيام بتوحيد الفلسفة وتاريخها وبين الفيلسوف والسياسة، وفي هذا السياق يصبح تحديد اللحظة التطهيرية هو نقطة الإنطلاق لكل فلسفة البراكسيس"

إن النقطة التي تتحقق فيها الفلسفة وتحيي ليست موجودة في أدمغة الأفراد الذين يعتقدون فيها ولا في الأنساق المعرفية التي يشيدونها، بل عندما تتحول هذه الفرضيات والقضايا إلي حقائق واقعية وتجارب معيشة، وتنزع إلي تغيير العالم، المقصود أن التيارات التي غذت البراكسيس ليست العلم فقط بل الاقتصاد والسياسة والتاريخ، إذن المقصود بالبراكسيس.... ثلاثة أشياء أولها النشاط القصدي، وثانيهما الإتجاه العملي وأولويته بالقياس إلي النظرية والاستدلال النظري، وثالثهما الموضوعية والخارجية بخلاف الذاتية والباطنية، وهكذا تتحدد فلسفة البراكسيس بأنها فلسفة العمل والموضوعية والفاعلية،إذن تتحول فلسفة البراكسيس من الثقافة الشعبية إلي شكل أعلي من الثقافة لأنها ترمز إلي تيار كل حركة إصلاح فكري وأخلاقي يجادل في معارضة الثقافة الشعبية والثقافة العليا.

لقد ذهب جرامشي إلي أن فلسفة البراكسيس فلسفة متحررة أو تسعي إلي التحرر من كل عنصر أيديولوجي متعصب، إذن يستعمل مصطلح البراكسيس داخل محتوي لنظرية شاملة توحد العملي والنظري، سوف يتضح هذا الاستعمال أكثر في الفكر الماركسي بأعتباره مفهوماً أرقي ومبدأ أساسي، فالبراكسيس في التصور الماركسي يمثل النشاط النظري والمادي علي حد سواء والذي يهدف إلي تغيير الطبيعة والمجتمع وبالتالي الإنسان باعتباره وحدة تأليفية لهذين الحدين، وتبعاًلما تقدم فالممارسة تعني كل صيرورة تتحول بمقتضاها مادة أولية معطاة ومحددة إلي إنتاج محدد، ويكون هذا من قبل عمل إنساني محدد، وليست النظرية شيئاً ما مختلفاً يتقابل مع الممارسة، بل هي شكل مخصوص من أشكالها.

ثالثاً: خصائص فلسفة البراكسيس:

١- **التناقض:** يُعتبر جرامشي أن فلسفة البراكسيس فلسفة التنظير للتناقض فهي لا تدرس التناقض بل تعطي نظرية للتناقض، فهو ليس تناقض خارجي بل تناقض داخلي لظواهر الفكر.

٢- **الحرية**: فلسفة البراكسيس فلسفة متحررة وتسعي إلي التحرر من كل إيديولوجيا متحجرة

٣- **النظرية والممارسة:** تُعد فلسفة البراكسيس تعميق لوحدة النظرية والممارسة للارتقاء بالممارسة العملية عبر خلق رؤية وتصور للعالم وللحياة.

٤- **الانفتاح**: إن ما يميز فلسفة البراكسيس هو إنفتاحها علي مجالات متعددة تتلخص في مسارين أثنين: **مسار نظري:** يتمثل في الرقي بتصور العالم والحياة إلي أرقي درجاتها، **مسار واقعي تاريخي**: يتمثل في تغيير جذري للمجتمع، فيمكن أن نعتبر فلسفة البراكسيس حسب تصور جرامشي هي تعميق نظري للارتقاء بالممارسة العملية.

رابعاً:التأثير والتأثر

ثمة تأثير فلسفي وثقافي أكثر اهمية بما لا يقاس تعرض له جرامشي في سنواته الاولي كان تأثير بندتوكروتشه، من هنا نري أن التأثير الأكثر وضوحاً علي جرامشي جاء من قبل الفيلسوف المثالي كروتشة[]، إلي درجة أنه وصف نفسه في شبابه بأنه " كروتشة النزوع " وهو ما ظهر في مقالاته الأولي، أما في مرحلة النضج فقد وجه جرامشي في كتابه " دفاتر السجن "نقداً صارماً لكروتشة، كما تناول بشكل نقدي علاقة فلسفة كروتشة بالماركسية، وفي سجنه أكد علي ضرورة محاربة الكروتشية، التي حازت نفوذاً واسعا آنذاك، لاعتقاده أنها لا يمكن الاستفادة منها في تجديد الفكر الماركسي.

لقد كانت الفلسفة عند جرامشي معارضة لكتابات كروتشة، إذ أعتبر كروتشة أن فلسفة البراكسيس هي مجرد تجليات فلسفية تحت تأثير العامل الاقتصادي، وبالتالي اهماله لدور الفكر والأخلاق، ذهب جرامشي أن فلسفة كروتشة تقدم نفسها علي إنها تجاوز لتدمير فلسفة البراكسيس، إننا ننقد فلسفة كروتشة في مسارها الفلسفي ليس كما تظهر لنا بل في وجودها الحقيقي حيث يرتبط جوهر نقد جرامشي الناضج لفلسفة كروتشة، لتجريد الاخير حركة التاريخ من صراع الأضداد واختزاله إلي ديالكتيك مفهومي بحت، حيث ترتكز فلسفة كروتشة علي وجود أربعة علوم هي (علم الجمال- الاقتصاد- المنطق- الاخلاق) وهي مرتبطة بكل ما هو: جميل ونافع وجيد، وفي هذا النسق ليست السياسة سوي (حماساً مجرداً) بلا قيمة فلسفية.

أما جرامشي فعلي النقيض من ذلك، فهو يعتبر السياسة نشاطاً إنسانياً مركزياً علي المستوي الفلسفي، علي اعتبار أنه من خلالها يحدث اتصال الوعي المنفرد بالعالم الاجتماعي، أعتنق كروتشة الماركسية في الفترة ما بين ١٨٩٥- ١٩٠٠م، ثم عدل عنها معلناً موتها، أثر كروتشة علي الثقافة الإيطالية بمجملها، ودعا إلي التجديد الأخلاقي وأنتهي إلي تأييد موسوليني، ثم معارضة السياسة ككل.

علي الرغم من إمكانية اعتبار الكثير مما قاله وفعله قبل الحرب العالمية الأولي ذا قيمة ايجابية، حيث قام بإعادة تقويم تراث رومانسي في الثقافة الايطالية يمتد إلي الوقت الحاضر ومعارضته الوضعية المعاصرة، إلا إن صعود الفاشية وموقف كروتشة الغامض منها قد أديا إلي قلب دوره إلي دور بالغ الخبث والرجعية.

حيث تكمن قوة وفاعلية فكر جرامشي في منهجه التاريخ الواعي بالأحداث الدائرة، فقد عاش جرامشي في بلد نصف متأخر، وحدته القومية غير مكتملة،فإيطاليا منقسمة اقتصاديا إلي شمال وجنوب، وقد شغلت مسألة الجنوب اهتمام جرامشي وهدفه دمج الجنوب والشمال، إن تاريخية عمل جرامشي هو تجديد ثوري علي النظرية الماركسية، ومن ثم يمكن أن نعتبر مشروع جرامشي الفكري طامحاً بأن يكون رد مباشراً علي مثالية كروتشة

خامساً: لماذا... جرامشي؟

هذا السؤال الذي يطرحه البعض، وسط هموم العالم العربي في التحديات التي يواجهها علي جميع المستويات والدروب المتعرجة للسياسة، واختناق الطرق المختلفة للفكر، ومعاناة الحياة الجماهيرية بين الاستغلال والاستهلاك، يأتي السؤال منطقياً فيما يهمنا فكر فيلسوف مناضل ايطالي، عاش ومات في أقل من نصف قرن، وقضي عمره القصير في التفكير والنضال من أجل مجتمعه الإيطالي في ظل أوروبا المتغيرة القديمة والجديدة ونشأة مجتمع اشتراكي في الشرق.

ولماذا يحتفل مركز البحوث العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع بهذا المناضل العظيم حقاً في رأي الجميع؟

لكن المخالف للفكر التقدمي السائد في رأي الآخرين، بينما يراه البعض يسارياً متطرفاً، ويعتقد البعض الآخر إنه مُصلحاً للفكر الماركسي.

هناك أسباب عدة وراء انجذابنا لفكر جرامشي:

- السبب الأول: إننا نؤمن بأن المفكرين الكبار في العالم يعتبرون جزءاً من تراثنا المناضل كمفكرين يساريين ناقدين للانظمة السائدة وللفكر القائم.

- السبب الثاني: إننا في سعينا لفهم واقعنا العربي المتعثر رأينا في فكر جرامشي نموذج مناضل وكيف يطرح خصوصية قضايا الثورة في بلاده مع عالمية المفاهيم، ونوعية تراثه الايطالي.

لقد أنطلق جرامشي في رؤيته الثورية من سؤالين اساسيين: لماذا بدأت الثورة في روسيا القيصرية

المتخلفة وليس في الغرب الصناعي المتقدم؟ وكيف تساعد الخبرة التاريخية لإيطاليا واقع مثقفيه الخاص علي فهم أفضل لشروط التقدم والثورة؟

من هنا وصل جرامشي إلي تشكيلة قضايا المجتمع المدني، الذي نري فيه سؤالنا نحن في هم عالمنا العربي الذي لا يزال يعاني من الفروق الطبقية الهائلة والاحتلال الاجنبي والتبعية، ولهيمنة النظم الاجنبية في غياب الديمقراطية، ولأبسط حقوق الوجود الانساني بعد أكثر من نصف وقرن من بداية نهضتنا العربية، وطرحنا لموضوع هوية الانسان العربي وشروط العدالة والمساواة، كذلك ركز جرامشي علي دور المثقفين كعنصر اساسي للوعي سواء ممثلوا الفكر التقليدي للمثقف المحافظ أو المجموعات الحديثة المنتجة التي يقررها المجتمع الصناعي أو الرؤية الثورية في المجتمع الطبقي، فالمثقف نتاج للثقافة.

لذلك نظر جرامشي للممارسة الجماعية للحزب (كالأمير الحديث) أي المثقف الجماعي كالضمان الأساسي لجرأة النظرية والممارسة، من أجل خلق الإنسان الجديد الذي يقع علي عاتقه تحرير القوة المنتجة للجماهير في حركة رفض مستمر ومتحد لوسائل القمع والكبت، كما أهتم جرامشي باللغة القومية، وبالثقافة الوطنية، مبرزاً لأهمية الثقافة الشعبية والحس العام للجماهير.

إن انطونيو جرامشي له اهميته في تاريخ الفكر العالمي المعاصر، وكان جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية، أُعجب بأفكاره الجديدة المنبثقة من حياة المجتمع ومضامين الواقع، بعيداً عن الخيال الايديولوجي الذي توهمه الماركسيون، علماً بأن جرامشي ولد وترعرع ماركسياً، إن جرامشي لا نستطيع فهمه حتي اليوم إن لم ندرك ما يحيط العالم من ظروف مادية وتاريخية، من هنا ندرك قيمة نظريته، عن المثقف العضوي ودوره في تغيير المجتمع.

تعقيب:

من كل ما سبق نري أن جرامشي المثقف لا يزال مثار جدل في الثقافة الإيطالية، رغم مرور ما يضاهي ثمانية عقود علي رحيله، فهو بين قلة من الكتاب ممن نالهم حظ واسع ودراسة ومتابعة في الداخل والخارج.

- لقد حاول جرامشي خلق ثقافة اشتراكية مستقلة لتحل محل الثقافة الانتقالية الفضلي، ذات الأصول البرجوازية.

- وفي مرحلة النظام الجديد حاول جرامشي أن يجمع بين هذه الحاجة إلي التجديد الثقافي والحركة السياسية الحقيقية وكانت حصيلة كل ذلك تنظيم جرامشي لمجالس المصانع بتورينو.

- فعلي الرغم من الوهن والوضع الصحي السيء والمعاناة النفسية والرقابة السجنية تمكن جرامشي من كتابة أفكاره وتوصيلها إلي العالم كله حول جملة من الطروحات السياسية والثقافية علي غرار الكتلة التاريخية والهيمنة الثقافية حرب المواقع

- لقد ظل جرامشي ينبض خلف تلك الأسوار حباً وثقة وحياة.

- لقد أختار جرامشي حياة مسطرة وموجهة وفق قناعاته الشخصية ولم يخف من فرضية السجن أو تحبطه، بل أنتزع له مكانة أساسية في الفكر الماركسي بنضاله العنيد الساعي لتحقيق الوحدة بين النظرية والممارسة وإسهاماته الثرية في السياسة والاقتصاد والأدب.

الفصل الثاني
المثقف بين الفكر العربي والأوروبي

ويشتمل هذا الفصل على الآتي:

تمهيد:

المبحث الأول: الإطار التاريخي لمصطلح الثقافة

أولاً: تعريف الثقافة

المبحث الثاني: المثقف في الفكر العربي

أولاً: المثقف والمجتمع

ثانياً: المثقف والسلطة السياسية

ثالثاً: المثقف في فكر علي حرب

رابعاً: المثقف في فكر إدوارد سعيد

المبحث الثالث: المثقف في الفكر الغربي

أولاً: المثقف في فكر جان بول سارتر

ثانياً: المثقف في فكر ميشال فوكو

- تعقيب

المبحث الأول: الاطار التاريخي لمصطلح الثقافة :

تُعد الثقافة نمو معرفي تراكمي علي المدي الطويل، بمعني إنها ليست علوماً جاهزة يمكن للمجتمع أن يحصل عليها ويستوعبها في زمن قصير، إنما تتراكم الثقافة عبر مراحل طويلة من الزمن، حتي تنتقل من جيل إلي جيل، فثقافة المجتمع تنتقل لأفراده الجدد عبر التنشئة الاجتماعية

أولاً: تعريف الثقافة

١- التعريف اللغوي:

تُستخدم العديد من التعريفات العامة للثقافة،إذ تُعرف لُغةً بأنا كلمة مُشتقة من الجذر الثلاثي ثَقَفَ، فيقال:ثقاف الرماح بمعني تسويتها وتقويم اعوجاجها.

وايضاً تُستخدم في تثقيف العقل، ومن معانيها ما يفيد الحذق والفطنة والذكاء، والّثقيفُ هو الفطين، وثَقَف الكلام أي فهمه بسرعة.

وثقافة Culture تعني كل ما فيه استثارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدي الفرد في المجتمع ، ولا يخرج عن هذه المعاني جميع من كتب في مادة ثقافة، تستخدم اليوم كلمة ثقف أو تثقف بمعني اطلع اطلاعاً واسعاًفي شتي فروع المعرفة حتي اصبح مثقفا .

وفي ثلاثينيات هذا القرن وما بعدها استخدم لفظ ثقافة في المعني الذي كان القدماء يستخدمون فيه لفظ الأدب، الذي يُعني الأخذ من كل شيء بطرف، أي توسيع الإنسان مدي معارفه ومداركه وفي العصر نفسه كانوا في أوروبا يقولون إنه لا يتم علم المرء إلا إذا علم شيئاً من كل شيء وكل الشيء من بعض الشيء (To Know Something about everything and everything about something)

٢- التعريف الاصطلاحي:

أما اصطلاحاًفتوجد العديد من التعريفات للثقافة: يُعتبر إدوارد تايلور أول من وضع تعريفاًللثقافة بأنها " ذلك الكل الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والعادات وأي قدرات اكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع، فهي كل ما صنعه عقل الإنسان من أشياء ومظاهر اجتماعية أي كل ما قام باختراعه الإنسان وكان له دور في مجتمعه

هناك عدة تعريفات للثقافة منها:

الثقافة هي تلك النسيج الكلي المعقد، الذي قام الإنسان نفسه بصنعه، متمثلاًفي الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد وأساليب التفكير وأنماط السلوك وطرق معيشة الأفراد وكل ما توارثه الإنسان وأضافه إلي تراثه،ما ينحدر إلينا من الماضي، ونأخذ به كما هو أو نطوره، في ضوء ظروف حياتنا وخبراتنا، فالثقافة بهذا المفهوم مادية، فردية، اجتماعية، محلية، عالمية، أو هي كما يقال (كل شيء) في حياة الفرد والمجتمع والسواء ، كذلك تُعرف الثقافة بمفهومها الشامل علي إنها نظام عام مفتوح – يضم مجموعة من

الأنظمة الفرعية التي تشمل تكنولوجيا الحياة الحاضرة والمتوقعة، ويدخل في ذلك الأنظمة المادية وغير المادية والناتجة عن تفاعل الإنسان مع غيره من بني جنسه ومع البيئة المحيطة به.

٣- أهمية الثقافة:

- تُعتبر الثقافة وسيلة للقضاء علي الجهل والتخلف وتهيئة العيش الكريم للأفراد.

- تُعد من أكثر العوامل تأثيراً في التنمية البشرية، ودفع الأفراد في المجتمعات للإبداع والتميز من خلال تسيير وتوجيه أفكارهم.

- صقل شخصية الفرد، إكساب الفرد التحضر الإنساني والرخاء الفكري.

- الكشف عن نقاط القوة في المجتمع وتحفيزها وتوجيهها نحو التطور والإصلاح وتقويم ودعم الحياة الاجتماعية، تُعد الثقافة وسيلة لمواكبة التطورات والتغيرات التي تطرأ علي حياة الأفراد والمجتمع، زيادة مستوي الوعي الثقافي الفردي.

٤- أنواع الثقافة:

تُصنف الثقافة إلي نوعين رئيسيين وهما:

أ- الثقافة المادية: ويُعتبر العنصر البشري في هذا النوع من الثقافات هو العنصر الأساسي في تكوينه، وذلك بإقامة المباني والمنشآت وتطورات ملموسة

ب- الثقافة اللامادية: وهي عبارة عن العادات والتقاليد والمفاهيم والقيم والاتجاهات والاعتقادات التي تؤمن بها شعوب معينة ومجتمعات دون غيرها .

٥- مكونات الثقافة:

أ- الأفكار: وهي ما يكتسبه الفرد من البيئة التي يعيش فيها ونتائج عمليات يقوم بها الدماغ

ب- العادات: هو نهج يعتمده مجتمع ما في تأدية أشياء معينة وفق طرق معتادة وخاصة

ج- اللغة: هي الوسيلة التفاعلية بين أفراد مجتمع واحد

د- القانون: هو مجموعة من الاجراءات والقواعد التي تنظم حياة الأفراد وسلوكهم

ه- الأعراف: هي مجموعة من الأفعال تكرر حدوثها حتي أعتاد عليها أفراد المجتمع

٦- خصائص الثقافة:

للثقافة العديد من الخصائص وهي:

- الثقافة هي **خاصية إنسانية** وهي من صنع الإنسان وحده

- تأتي الثقافة لإشباع حاجات الإنسان، فهي **صفة مكتسبة** يتم اكتسابها بطريقة مقصودة أو غير مقصودة، وذلك عن طريق تفاعل الأفراد.

- تمتاز الثقافة **بقابليتها للانتشار والانتقال**، وذلك عن طريق التعليم واللغة ووسائل الاتصال الحديثة بالإضافة لانتقالها من جيل لآخر.

- الثقافة **متغيرة** بشكل دائم ومستمر، حيث أي تغير علي عنصر له تأثير علي العناصر الأخرى

- الثقافة **تكاملية** لديها القدرة علي اشباع حاجات الإنسان، لتميزها بأنها تجمع بين العناصر المادية والمعنوية.

- الثقافة **تراكمية** لأنها ذات طابع تراكمي تاريخي، فهي تنتقل من جيل لآخر وهذا يؤدي إلي انساق جديدة ومتطورة للثقافة.

من هنا نصل إلي أن الثقافة تتكون من ثلاثة مكونات رئيسية:

- المكونات المادية: وهي كل ما يستعمله الإنسان في حياته اليومية من أساس ومسكن وملبس

- المكونات الفكرية: وتشمل اللغة والفن والدين والعلم

- المكونات الاجتماعية: وهي التكوينات الاجتماعية من الأفراد

أي أن الإنسان ذو الفاعلية هو العنصر الهام في الثقافة حيث يستحدث أمور في مجتمعه، بعضها مادي يتمثل في كل ما ينتجه ويمكن التحقق منه بالحواس، والبعض الآخر غير مادي ويتضمن العادات والتقاليد والقيم والأخلاق، ثم الهيكل الاجتماعي وتكوينه علاقات اجتماعية مع غيره من أفراد مجتمعه.

المبحث الثاني: المثقف في الفكر العربي

تمهيد:

سنحاول في هذا المبحث، الحديث حول النخبة المثقفة في الفكر العربي المعاصر، وذلك من خلال مجموعة من المفكرين العرب، الذين كانت لهم رؤية واضحة وتناولت موضوع المثقف وعليه سنتطرق لبعض النماذج من المفكرين العرب، لأنه من الصعب الحديث عن جميع المفكرين وعليه سيكون علي سبيل المثال لا الحصر، ولقد وقع اختيارنا علي هؤلاء المفكرين بسبب كثرة انتاجهم الفكري وتأثيرهم وحضورهم القوي البارز علي الساحة العربية وحتي العالمية، ابتدءاً من مالك بن نبي وعلي حرب وإدوارد سعيد.

فعند بداية مرحلة الاستكشاف والاطلاع علي المفكرين وعلماء الاجتماع الذين اهتموا وكتبوا حول المثقف ودوره داخل المجتمع، نلاحظ إنه لا يوجد أي مفكر سواء تعلق الأمر بالرعيل الأول أو المعاصرين، إلا وكتب في الموضوع سواء بشكل واضح أو بطريقة ضمنية، وعليه حاولنا قدر الامكان أن نلم ببعض المفكرين والسوسيولوجيين الذين اهتموا بهذا الحقل وحتي تكون الدراسة واسعة ونستفيد بأكبر قدر ممكن من الآراء لبلورة فكرة عامة عن الموضوع.

لقد هيمن مُصطلح المثقف في العالم العربي، بقدر ما هيمنت العقلية النضالية علي الساحة الثقافية وعلي المعنيين بشئون الفكر والمعرفة، وعليه سنتحدث عن مجموعة من المفكرين الذين تحدثوا عن دور المثقف في المجتمع لأنه يجمع بين النشاط الذهني والمصلحة الشخصية، وبين العقيدة والريادة، وبين الصراع والبناء، فضلاً عن تبدله من حقبة تاريخية لأخري، ومن نظام سياسي لآخر.

أولاً: المثقف والمجتمع

تتسم العلاقة بين المثقف والمجتمع بأنها من النوع الجدلي، بمعني أن كلاً منهما يؤثر في الآخر، فليست العلاقة بين المجتمع والمثقف علاقة عامل مستقل وعامل تابع، لتوضيح ذلك باعتبار أن المثقف نتاج مجتمعه لأنه فرد في مجتمع، فالمثقف يتأثر بما يحمل المجتمع من قيم سلبية أو إيجابية، وبما يوجد فيه من تعقيدات، فالمثقف وليد تأثيرات المجتمع، فلا يمكن للمثقف العيش أو التفكير مع افتراض انعدام تأثير الأوضاع الإقتصادية والسياسية في مجتمعه عليه

فمن الصعوبة تصور نشوء مثقف من فراغ، بل هو نتاج ظروف معينة تمر وتؤثر عليه بقوة، فالمثقف مشدود للواقع الذي يحيط به، إلا إذا آراد المثقف الإنعزال بوعي منه أو من دون وعي، من هنا تتكون مواقف وافكار ورؤي المثقف، فمثلاً مُطالبة عدد من المثقفين العرب بالديمقراطية كان نتيجة لوجود حالات القمع والاستبداد التي تمارس في المجتمع، أو مطالبة بعض المثقفين العرب بالعدالة الإجتماعية كان نتيجة لتفاوت طبقي كبير في المجتمع

ليس بالضرورة أن يكون تأثير المجتمع علي المثقف بتحديد اتجاهات المثقف التي يلزم علي المثقف سلوكها، فقد يمارس المجتمع علي المثقف دور سلبياً بممارسة الرقابة السلبية عليه التي قد تكون احياناً أقسي من الرقابة السياسية من هنا تبدأ مشاكل المثقف مع المجتمع ومن ثم يتواجه معه،

ويأخذ هذا عدة مسارات منها:

١- أن ينسلخ المثقف عن مجتمعه، ولكن هل بمقدور المثقف الإنسلاخ فعلاً عن المجتمع؟ وبالتالي لا يري في المجتمع إلا كل شر؟

٢- أن يعيش حالة عزلة، وإن كانت هذه الحالة أقل من الحالة السابقة، إلا أنها قد تكون مقدمة لها احياناً، لهذه العزلة درجات كثيرة، أقصاها حالة الإنسلاخ، عندما يعيش المثقف في حالة من العزلة يكون من دون أي تأثير علي المجتمع، قد تصل عزلته إلي أن ينسي المجتمع هذا المثقف أو قد يهاجر من مجتمعه لعدم قدرته علي العيش والتكيف مع الواقع المعاش

٣- أن يرفض المثقف الحالتين السابقتين ويبقي مُصراً علي ممارسة دوره الناقد، فيحاول المثقف أن يكون إيجابياً مع المجتمع ويحاول إقناع المجتمع بأفكاره، ينظر المثقف لذاته علي اعتباره جزءاً من المجتمع ويقع علي كاهله واجب مواجهة الأخطاء الإجتماعية، ليحرك مياه المجتمع الراكدة.

إلا أن الجدير بالذكر أنه المثقف قد يدعي إن يمارس نقداً للمجتمع ويمارس دوراً إعلامياً لنفسه بإنه لا يتأثر بما يحتوي المجتمع من سلبيات، فاحياناً يمارس المثقف دوراً إعلامياً لذاته لا يقل عن وظيفة وزارة الاعلام والمؤسسات التابعة لها، لدعم توجهات النظام الحاكم فيها، فيدعي المثقف إنه يقف موقفاً نقدياً من سلبيات المجتمع، لكن واقعياً لا يمتلك هذا المثقف القدرة علي تجاوز هذه السلبيات، فمثلاً في المجتمعات العربية نجد المثقف ينتقد العائلة والقبيلة والعشيرة والطائفة، لكن قد تمارس عليه ضغوطاً من مجتمعه فيتماهى معها، أو أنه يري أن مصلحته تتطلب هذا التماهي.

لكن السؤال هل يمكن أن تصل حالة المواجهة بين المثقف والمجتمع أكثر مما عليه الآن كما في بعض نماذج المثقفين؟ أي هل يستطيع المثقف مواجهة المجتمع بصورة أكثر جرأة وموضوعية؟ بمعني هل يمكن أن تصل الحالة بالمجتمع التنكر للثقافة وللمثقف أم العكس؟ يمكن وصف المجتمعات العربية بأنها مجتمعات تحمل نزعة محافظة تتمسك بتقاليدها وموروثها وقيمها ودينها، مثالاً التراث الذي يأخذ منحي مهماً في حياة المجتمعات العربية، والذي بحاجة لتجديد النظرة له، فإذا لم يقف المثقف بتجديد نظرته لتراثه، فلا يمكنه القيام بدوره في مجتمعه فلابد للمثقف أن يتحلى ببعض الصفات ليتمكن من السير وتحقيق نفسه في مجتمعه منها أن يكون ذا نفس طويل، وصابراً لا تثبطه الظروف، ولا ينسحب عند وجود ازمات في مجتمعه

إن حديث مثقفينا اليوم عن دور المثقف ورسالته حديث عادة يخلط بين الدور الذي يزعمونه لأنفسهم والرسالة التي يدعون للقيام بها وبين وضعيتهم في الواقع الفعلي.

ثانياً: المثقف والسلطة السياسية

هناك مجالات متعددة لتناول علاقات المثقف المتعددة بالسلطة، أو بالسياسة أو بأنظمة الحكم، لكن ما سيتم التركيز عليه هنا هي السلطة السياسية الحاكمة، فقد تكون السلطة أوسع من السلطة السياسية حيث السلطة الإجتماعية والدينية والإعلامية، ونظراً لكون السياسة من الناحية العملية هي الإهتمام بالشأن العام، والشأن العام للمجتمعات العربية يتمثل في مسائل عدة أهمها إدارة مؤسسات الدولة بمفهومها الحديث والتحديث السياسي والإجتماعي الإقتصادي والثقافي، ووجدنا أن المثقف يهتم بهذه القضايا بصورة وثيقة ولم يكن بمعزل عنها.

هناك بعض النقاط يجب توضيحها:

الأولي: ليس من الضروري أن يكون السياسي هو من في السلطة، فقد يكون السياسي منتم لحزب أو تنظيم سياسي، فالسياسة تتعلق بمسائل الدولة بصورة أشمل من أنها تتعلق بمسائل السلطة الحاكمة، لتبسيط ذلك نجد أن هناك من يوصفون بالسياسيين وهم ليسوا داخل السلطة، كالمحللين السياسيين الذين لا يمارسون السياسة

الثانية: هناك حالتان أساسيتان لكيفية النظر لعلاقة المثقف والسلطة وهما:

أ- الأولي: هي نظرة مثالية التي تفترض أن تكون هناك علاقة طبيعية لا تخلو من الصراع بينهم وكل طرف بحاجة للآخر، والمفروض أن يتعايشا معاً لتحقيق الصالح العام.

ب- الثانية: نظرة واقعية وهي تري أن ما هو واقع هو عدم وجود توافق بين المثقف والسلطة باعتبار تكوين كليهما والأحداث تشهد أن كثير من المثقفين في جانب مخالف للسلطة.

ج - الثالثة: في كون المثقف في السلطة، الخصوصية الأساسية التي تميز مثقف السلطة هي عدم ممارسة النقد بصورة واسعة تجاه السلطة التي ينتمي إليها، من هنا نري أن مثقف السلطة يفقد مضمون المثقف لأنه يفقد مقوماً مهماً من مقومات المثقف وهو النقد، حيث يوصف أنه موظف للسلطة، وقد يتعدد توجه مثقف السلطة السياسية فقد يكون دينياً أي ذو مرجعية دينية أو يكون علمانياً ذا مرجعية علمانية، فكلاهما سواء في الموقف من السلطة من حيثية أنهما يؤديان وظيفة مهمة واحدة هي التبرير.

المهم أن ما يجمع بين هؤلاء هو افتقاد النقد الموجه للسلطة السياسية، تحديداً، وهذا يعني أن المثقف يفتقد للمصداقية والإستقلالية في الرأي، ما نستطيع أن نحكم به هو أن المثقف لم يُعد في ربع القرن الأخير يجد لدي الدولة التسلطية الأمان الإقتصادي ولا الأمان السياسي ولا الثقافي الذي يحتاجه كمثقف مستقل أو نقدي، ففي الواقع العربي من الصعب خروج المثقف عن سيطرة السلطة السياسية الحاكمة التي استحوذت علي المجتمع، بعدما استحوذت علي الدولة التي بدورها تغولت في المجتمع وأضعفت أي مؤسسات اجتماعية فيه.

بمعني أن المساحات التي يستطيع المثقف الاستقلال داخلها من دون تأثير السلطة السياسية قليلة جداً، ففي سياق عمل المثقف في أجهزة وإدارات الدولة نجد المثقف يتنازع بين رأيين أحدهما الالتحاق بالسلطة وقد سار عدد كبير من المثقفين في هذا الطريق ولكن لعوامل لا تتعلق بالجبن ولا الانتهازية، ولكن من منظور خدمتها والعمل تحت إشرافها، وفي هذه الحالة يتحول المثقف إلي موظف أو خبير فني يقدم خبرته للسياسي

ثالثاً: المثقف في الفكر العربي

١- علي حرب

- نشاطه الفكري:

يتمتع علي حرب(*) بموقع ثقافي وفكري متقدم في العالم العربي، بسبب كتاباته الفكرية والفلسفية التي استهلها في عام ١٩٨٥م، وأُستقبلت كتبه بوصفها طريقة جديدة في التفكير وأسلوباً ورؤية جديدة ومختلفة، حيث كان سابقيه مشهورون بأنهم من عشاق الحقيقة وشهدائها، ثم أتي من يكتب عن نقد الحقيقة فكان بمنزلة فتح أفق جديد للتفكير والتنوير، حيث امتاز حرب بقوة وعمق تفكيره إلا إنه كان هناك صعوبة في فهم افكاره وقدرته الخارقة في التحليل، ومن الصعب تصنيفه هل هو في خانة السياسيين أم الفلاسفة أم علماء الاجتماع فهو موسوعة وامتاز بأسلوبه السهل في الكتابة.

٢- المثقف العضوي في فكر علي حرب:

لقد فتح "علي حرب" النار علي المثقفون خاصة العرب منهم بشكل خاص، كما يطال هذا النقد المثقفون غير العرب أي المثقفون بشكل عام، نجد كتاب أوهام النخبة "لعلي حرب" لم يختلق المشكلة، بقدر ما حاول تشخيص الأزمة، والمقصود بالأزمة حسب رؤية الكاتب فقدان المصداقية والفعالية النضالية، هذا ما جعل المثقف في مأزق حرج، وبالتالي بات المثقف أعجز من أن يقوم بتنوير الناس.

لقد ولي زمن المثقف بوصفه مفتاح الحداثة أو مشعل الثورة والتغيير أو عاشق الحرية أو رمز القضية المقدسة، إذ هو أصبح يحتاج إلي التنوير، ومن هنا نفهم لماذا أنطلق " علي حرب" من أن إشكالية النخبة الثقافية تكمن في نخبويتها بالذات، حيث أن المثقفون مازالوا يشتغلون بحراسة الافكار(معني الحراسة التعلق بالفكرة كما لو إنها أقنوم مقدس)، نشير إلي أن علي حرب له كتاب بعنوان أصنام النظرية واطياف الحرية ينتقد فيه بيير بورديو ونعوم تشومسكي فهو يري أن مشروعهما ونضالهما تحول إلي توهمات ايديولوجية ومعالجات طوباوية.

(*) **علي حرب**: كاتب ومفكر علماني لبناني، من مواليد عام ١٩٤١م، ولد في بلدة البابلية (جنوب لبنان)، له العديد من المؤلفات، منها أصل العنف والدولة، نقد النص، وأوهام النخبة أو نقد المثقف، وكثير من الأعمال الهامة، يُعرف عنه اسلوبه الكتابي الرشيق، وحلاوة العبارة، كما إنه شديد التأثر بجاك دريدا، خاصة في مذهبه التفكيك،يحدد علي حرب ثلاثة محطات ثابتة لهويته: يقول " هناك ثلاثة ركائز: بلدي لبنان حيث أُقيم وأعمل، ثم مهنتي ككاتب، ثم هويتي العربية لكوني أنطق وأكتب بالعربية، لا تعنيني كثيراً الأصول الدينية أو الأُطر الطائفية الضيقة (ar. Wikipedia. org / wiki.)

ويكمل علي حرب في نقده للمثقف انطلاقاً من المثقف في حد ذاته خاصة بعد فشل المشاريع الايديولوجية (الحداثة) في تحقيق العدالة والرفاهية التي كانت تدعيها، من هنا يجب علي المثقفين أن يعيدوا تشكيل افكارهم ومفاهيمهم، بنقد افكارهم، علي نحو يحرر اللغة من التوهم المثالي وهذا هو معني أزمة المثقف، ومن هنا انتقد "علي حرب" المثقفون في الدول العربية ووصفوهم بالهشاشة الفكرية.

لكن ما هو المثقف الذي يقصده علي حرب؟ وما هي خصائصه؟ وإلي أي مدي تمتد مسؤوليته؟ وما هو دوره في المجتمع؟

أ- تعريف المثقف وخصائصه:

إن "علي حرب" لا يعطي تعريف محدد لمثقف ولا خصائص واضحة له فكأنه جمع بين تعاريف كلاً من جرامشي وسارتر وبورديو، يقول علي حرب " أقصد بالمثقف في المقام الأول من تشغله قضية الحقوق والحريات أو تهمه سياسة الحقيقة أو يلتم الدفاع عن القيم المجتمعية والكونية بفكره وكتاباته ومواقفه، قد يكون المثقف طوبوياً أو عضوياً أو ثورياً أو إصلاحياً أو قومياً، قد يكون شاعراً أو كاتباً أو فيلسوفاً أو عالماً أو فقيهاً أو أي صاحب مهنة أو حرفة، لكن أياً كان نموذج المثقف وحقل اختصاصه أو مجال عمله، فهو من يهتم بتوجيه الرأي العام فهذه صفة المثقف ومهمته بل هذه مشروعيته ومسؤوليته، بهذا المعني يكون المثقف هو الوجه الآخر للسياسي والمشروع البديل عنه، فالمثقف بصفته يستخدم سلطة الكلام أو الكتابة ويعمل في حقل الانتاج الرمزي، وينتج السلع الرمزية المتمثلة في العقائد والمعارف أو سواها من المنتجات الثقافية إنما يتصرف كصاحب امتياز أو بوصفه يمثل الصفوة المختارة

ب- أوهام أو معوقات أمام المثقف:

وقد اعتمد "علي حرب" في نقده للمثقف علي مجموعه من العوائق تلتصق بفكر المثقفين وهذه العوائق تتعلق بخمسة أوهام لم يتطرق إليها أي باحث وهي:

- **الأول**: الوهم الثقافي ويرتبط بمفهوم النخبة
- **الثاني**: الوهم الإيديولوجي ويرتبط بمفهوم الحرية
- **الثالث**: الوهم الأناسي يرتبط بمفهوم الهوية
- **الرابع**: الوهم الماورائي يرتبط بمفهوم المطابقة
- **الخامس**: الوهم الحداثي ويرتبط بمفهوم التنوير

إنها خمسة أوهام تستوطن الذهن وتعرقل عمل الفكر ونشاط الفهم، إني إذا سعيت إلي تفكيك تلك الأوهام مارست في الوقت نفسه فاعليتي الفكرية، بقدر ما أقمت مع فكري علاقة نقدية، أتاحت لي التفكير بدورة جديدة ومغايرة أو الدخول في مناطق لم يجر التفكير فيها أو العمل عليها من قبل.

هذا يعني حسب "علي حرب" أن الوهم الأول وهم النخبة، وهي تحمل وهم نخبويتها، وهي لم تنجز المشروع الثقافي التنويري الذي حققته النخب الغربية بالمقابل، والتي اصبح لها مكانة وسلطة فكرية، أما

الوهم الايديولوجي فهم يستندون إلي هوية مفقودة وغير محددة وغير واضحة، فلم يتمكنوا من التوفيق بين الاصالة والحداثة، الوهم الثالث وهم الحرية، حيث يرفعون شعارها وهم أول من يغتالونها في ممارساتهم، أما الوهم الرابع وهم المطابقة المرجعية بين ما يوجد في الواقع ويعيشه الناس وبين ما يحملون من افكار، خامساً وهم الحداثة والتنوير واهمين انفسهم بأنهم حراس الحداثة، وهم في الحقيقة غارقين في غيابات الماضي السحيق.

من خلال تعريف "علي حرب" للمثقف وخصائصه، كذلك النقاط التي اعتمدها في نقده للمثقف – العربي- يتضح لنا أن "علي حرب" وقع في ما كان يتجنبه وينتقده وهو حراسة الأفكار، فهو لم يقدم بديل واضح لتعريف المثقف، بل قدم تعريف واهم وغير واضح، بل جمع بين عدة مفاهيم ومتناقضات ومفارقات.

ج- بين المثقفين العرب والغربيين:

ينطلق "علي حرب" في هجومه علي المثقف العربي من مقولة أن المثقف يسعي من خلال عمله الفكري والتنظيري إلي توظيف سلطته العلمية والمعرفية لزيادة نفوذه الاجتماعي وتحقيق سلطة سياسية، مدفوعاً بإرادة القوة التي يعتمدها المفكر بعد الحداثي لتفسير السلوك الاجتماعي والسياسي، لذلك نجد "علي حرب" يُسارع ليعيد أزمة المثقف تحديداً إلي بداية الاضطرابات الطلابية في فرنسا، التي اندلعت في شوارع باريس في عام ١٩٦٨م، أدت هذه الاضطرابات كما يقول "حرب" إلي اهتزاز صورة المثقف، سواء في نظر نفسه أو في نظر غيره، إنه لم يعد يثق في قدرته علي تنوير العقول، والتأثير في الرأي العام، أو بكونه صاحب عقيدة صلبة قادرة علي قود الناس لتنوير المجتمع وتغيير العالم.

رابعاً: المثقف في فكر إدوارد سعيد

يُعد إدوارد سعيد من أهم الكتاب والمفكرين في هذا العصر، فقد كان لكتاباته تأثير هام وهائل علي نطاق العالم بأسره، وعلي مستوي النقاش العام، حيث تقتبس اعماله ويُبني عليها ويستوحي منها، وتهاجم أو يدافع عنها في أوساط متنوعة أشد التنوع، ولدي جمهور واسع، ولا عجب في ذلك فقد ضم نطاق خبراته واهتماماته فروعاً أكاديمية وأشكالاً فنية ومناخات سياسية حافلة.

ولذلك كان له تأثيره العميق في النقاشات حول التاريخ والسياسة والأنثروبولوجيا والجغرافيا وسطوة وسائل الاعلام واغراض التربية، ومسئوليات المثقف والأفكار حول الهجرة والمنفي والتعددية والثقافية والدين واللغة والحرب والموسيقي، وسوي ذلك الكثير مما جعله مفكراً كونياً محلقاً، ونموذجاً مثالياً للمثقف النقدي الذي يرفض التخصص الأكاديمي الضيق ويدعوا إلي التغيير ويجهر بالحقيقة في وجه القوة والسلطة.

كان إدوارد سعيد علامة متبحرة بين العلماء وناقداً للإمبريالية، ومناضلاً فلسطينياً مستقلاً في ثقافة عامة، وقد غيرت كتاباته خارطة الحياة الفكرية المعاصرة اعمق التغيير وأشده اتصافاً بالأخلاقية وانتصار للإنسان، وجسد رؤية أصيلة لدور المثقف الحقيقي الذي عبر عنه في كتابه الصغير تحت عنوان " صور المثقف "، حيث يعرض إدوارد سعيد رؤيته لهذا المثقف وللمحيط الاستثنائي الذي يعمل فيه والدور المميز الذي يطمح إلي ممارسته.

كان إدوارد سعيد متقناً للغات الانجليزية والعربية والفرنسية، علي الرغم من إقامته في سن مبكر في الولايات المتحدة الامريكية، إلا إنه كان قارئاً ثم كاتباً مواظباً بالعربية علي عكس عديد من الكتاب العرب ممن عاشوا في الغرب،بدأ إدوارد سعيد في كتابة سيرته الذاتية، عندما اكتشف بأنه مصاب بمرض اللوكيميا، وقد شرع في كتابة سيرته في مايو ١٩٩٤م خلال فترة النقاهة من العلاج الكيميائي.

وتُعد مذكرات إدوارد سعيد خارج المكان out of Place، مذكرات بالغة الجرأة يكشف فيها إدوارد سعيد تفاصيل حياته، كما يستعيد فيها سنوات طفولته التي قضاها في فلسطين ولبنان، وتُعد نصاً جريئاً علي درجة عالية من المكاشفة والصراحة، التي لم يألفها الأدب العربي، لأن فيها من الأسرار التي من الصعب علي إنسان أن يصرح بها،يقول إدوارد سعيد حول هذه القضية " إن الكتابة الصريحة عن الذات نادرة في تراثنا، وأني لآمل أن يُسهم هذا الكتاب في تنمية هذا التقليد، فإذا تحقق ذلك بلغت الغاية من الرضا "

لقد عاش إدوارد سعيد حياة صعبة كان لها تأثير كبير في رسم معالم إدوارد سعيد المفكر والناقد والأديب والموسيقي، ومن بين الانشقاقات التي قسمت شخصية سعيد، افتقاره للاستقرار وشعوره الدائم بأنه خارج المكان، فقد تجرع مبكراً مرارة النفي والتنقل عبر المدارس والسفر بين القدس والقاهرة والولايات المتحدة الامريكية، فقد شكلت كل هذه الأمكنة جزءاً عضوياً من عملية نموه واكتساب هويته

ووعيه لذاته وللآخرين، كما سيظهر لاحقاً في حركية إدوارد سعيد الابداعية في رسم هوية المثقف العضوي الكوني لقد لازمه قلق الارتحال والخوف من المنفي طوال حياته، لقد كان اقتلاعه من أرضه له أثر بالغ علي صعيد الوجود السيكولوجي، وكان يتملكه احساس بأنه في غير مكانه، لأن المنفي كما يقول إدوارد سعيد يقع في منطقة وسطي فلا هو يمثل تلاءماً كاملاً مع المكان الجديد ولا متحرراً تماماً مع المكان القديم، لكن علي الرغم من ذلك لا ينكر إدوارد سعيد ما للمنفي من فضائل، فقد ساهمت ازدواجية سعيد في تعميق منظوره الفكري والإنساني.

١ـ مفهوم المثقف العضوي ودوره عند إدوارد سعيد:

في عام ١٩٩٢م ألقي إدوارد سعيد(*) سلسلة محاضرات في إذاعة BBC، عن الدور العلني للمثقف العضوي، ثم جمع هذه المحاضرات في كتاب باسم " تمثيلات المثقف"، وترجم في اللغة العربية ثلاثة مرات بعناوين مختلفة "صور المثقف"، و"المثقف والسلطة"، والإلهة التي تفشل دوماً، وقد تميز بالشمولية والموسوعية حول دور المثقف وشرح وظائفه، والذي أضفي علي الكتاب أهمية كبيرة فقد استخدم عدة وسائل للبحث عن صور المثقف، ليؤسس في أذهاننا صورة المثقف الفاعل، فتارة نجده يتعرض لنماذج من صور المثقفين داخل الحقل الروائي،مستثمراً بذلك الأدب للوصول إلي المثقف الكامن في مخيلته، وتارة أخري نراه يقوم بالتنظير للمثقف ويقترح عليه نمطاً معيناً من الممارسات والقيم والوعي كي يكون مثقفاً عضوياً حقيقياً، كما إنه يقوم بمتابعة المثقفين أمثال جوليان بندا وجرامشي، جاكوبي، وهؤلاء رسموا صوراً متميزة للمثقف.

الصورة التي تناولها إدوارد سعيد فهي مثقف "جرامشي" الواقعي العضوي، الذي يقسم المثقفين إلي تقليديين وعضويين:

التقليديون: هم الذين لا يمارسون التغيير الاجتماعي، بل هم جامدون يؤدون العمل بآلية متكررة كالمعلمين ورجال الدين التقليديين، لكن جرامشي لم يطردهم من دائرة المثقف، لأنه يقول أن كل الناس مثقفون، ولكن ليس كلهم يؤدون وظيفة المثقف، أما النوع الثاني كما يري جرامشي فهم

(*) **إدوارد وديع سعيد**: كاتب وناقد ومفكر سياسي، ولد في القدس في الأول من نوفمبر ١٩٣٥م، لأبويين فلسطينيين كانا يعيشان مع أولادهما بين القدس والقاهرة، نظراً لطبيعة الوالد، تلقي إدوارد تعليمه الأول بمدرسة سان جورج بالقدس، ثم مدرسة الجزيرة الاعدادية، ثم التحق بكلية فيكتوريا في الاسكندرية، وهي من أقدم المدارس الانجليزية في مصر، إلا إنه طُرد منها سنة ١٩٥٠م لكونه مشاغبا

تميزت سيرته الدراسية بالتفوق من جهة وعدم التكيف مع هذه المدارس التي أقامها الاستعمار الانجليزي في مصر من جهة أخري، هذا ما دفع أسرته لأن ترسله إلي الولايات المتحدة لإكمال دراسته، الأمر الذي تيسر له لأن والده كان قد حصل علي الجنسية الامريكية منذ شبابه، بدأت مسيرة إدوارد سعيد في امريكا عام ١٩٥١م بالتحاقه بمدرسة داخلية في ولاية ماساتشوستس لمدة سنتين أنهي فيها دراسته الثانوية،التحق بعد ذلك بجامعة برنستن Princeton، حيث درس الأدب الانجليزي والتاريخ، ثم أنهي تمرسه الأكاديمي في هارفارد، وقدم أطروحته لنيل الدكتوراه في الأدب المقارن، ثم أنتقل إلي جامعة كولومبيا التي ظل يدرس فيها الأدب حتي وفاته .

وفاته: أمضي إدوارد سعيد جل حياته في الغربة، توفي إدوارد سعيد في إحدى مشافي نيويورك في الخامس والعشرون من سبتمبر ٢٠٠٣م، عن عمر ناهز سبعة وستين عاماً، بعد صراع دام عشرة أعوام مع مرض اللوكيميا، ودفن في لبنان بناء علي توصية منه.

المثقفون العضويين: وهم هؤلاء الذين يشاركون في تغيير المجتمع وتنويره، كل حسب موقعه في النسيج الاجتماعي، وهؤلاء يسعون إلي إنشاء ثقافة جديدة ويناضلون من أجل تغيير الآراء، وتوسيع الاسواق،وهم هؤلاء المثقفون المرتبطون بطبقات أو بمؤسسات اقتصادية.

يري سعيد " أن التحليل الاجتماعي الذي يقدمه جرامشي للمثقف باعتباره شخصاً يؤدي مجموعة من الوظائف في المجتمع، هو أقرب إلي الواقع من مثقف بندا، والدليل علي ذلك المهن الكثيرة التي شهدها القرن العشرين "عمال الاذاعة والمهنيين الأكاديميين، وخبراء السياسات، ومجال الصحافة الجماهيرية الحديثة، وغيرها "، وبالتالي يقول سعيد" يُعتبر كل من يعمل في أي مجال يتصل بإنتاج المعرفة أو نشرها، مثقفاً بالمعني الذي حدده جرامشي "

والملاحظ أن النسبة في معظم البلدان الصناعية الغربية، بين ما يسمي بصناعات المعرفة، أو صناعة المعلومات، والصناعات المتعلقة بالإنتاج المادي، قد تغيرت وازدادت بصورة حادة لصالح صناعات المعرفة.

كما يستشهد إدوارد سعيد بآراء عالم الاجتماع الامريكي ألفين جولدنر **Gouldner**، فيما يخص انتماء المثقفين للطبقة الجديدة، وامتلاكهم لغة متخصصة للتخاطب فيما بينهم، يقول جولدنر"إن المثقفين في غضون صعودهم لم يعودوا يخاطبون الجمهور العريض، بل اصبحوا أفراداً ينتمون إلي ما يسمي ثقافة الخطاب النقدي ".

ومعني ذلك يقول إدوارد سعيد " أن كل مثقف من محرر الكتاب إلي مؤلفه ومن واضع الاستراتيجية العسكرية، إلي المحامي الدولي يتكلم ويتعامل بلغة اصبحت متخصصة، ولا يستطيع استخدامها إلا مع غيره من الأفراد الذين ينتمون إلي المجال نفسه، فالخبراء المتخصصون يخاطبون خبراء متخصصون آخرين، بلغة مختلطة مشتركة ولا يفهمها غيرهم من غير المتخصصين".

٢- خصاص المثقف العضوي عند ادوارد سعيد:

- إن سعيد ينظر إلي المثقف العضوي كشخص مكلف بأداء رسالة ما.
- فهو صاحب موقف يسعي إلي إيصال صوته للجمهور من خلال اللغة.
- فهو إنسان ليس من السهل علي الحكومات استيعابه، ويراهن بكينونته كلها علي حس نقدي.
- إنه بالتأكيد مثقف عملي مثله مثل مثقف جرامشي الذي يهتم بشئون المجتمع ويسعي إلي تغيير الواقع، لكنه مثله ايضاً يرفض أن يربط من أجل ذلك مصيره بمصير وفكر طبقة أو حزب أو مؤسسة بل بمصير أمة بأكملها فهو يمثل وعياً حراً في العالم، وهو مثالي ايضاً، مثل مثقف بندا حامل الرسالة الاخلاقية لكنه مثله ايضاً يرفض أن تكون هذه الرسالة مناداة بالتمييز عن عامة الناس.
- فالمثقف هو فرد يضطلع في المجتمع بدور علني محدد، يقول سعيد "لا يمكن اختزال صورته بحيث تصبح صورة مهني مجهول الهوية،أي مجرد فرد كفء ينتمي إلي طبقة ما، ويمارس عمله فحسب

فمهمته أن يطرح ً علناً للمناقشة اسئلة محرجة، ويجابه المعتقد التقليدي والتصلب العقائدي، بدلاً من أن ينتجهما

وبالتالي ففاعلية المثقف الأساسية، هي تمثيل كل تلك الفئات من الناس، والقضايا التي تُنسي ويُغفل أمرها، منطلقاً من مبدأ إنه من حق جميع البشر أن ينعموا بمعاملة قائمة علي معايير سلوكية مبدئية، وإنه لا يمكن السكوت عن الانتهاكات التي تراهن علي اهمال هذه المعايير، بل ينبغي إعلان الحرب عليها بشجاعة، تلك هي وظيفة المثقف ورسالته كصوت حر في عالم مرتهن، وضحية الظلم والتشويه والازدواجية والابتذال.

معني ذلك إن ما يميز إدوارد سعيد كمثقف عن غيره، ليس دفاعه عن الحق والحرية في وجه الظلم والطغيان، إنما ما يتمتع به بالفعل من حرية داخلية، أي تلك الحرية الحقيقية التي تسمح له وحدها بتكوين وعي أخلاقي متجرد من ضغوط الواقع المادي والسلطوي والنفسي والديني والطبقي تلك الضغوط التي تكبل الإنسان الطبيعي وتحد من رؤيته، فالمثقف لديه هو من يجسد الحس النقدي خير تجسيد في المجتمع عن طريق العمل بصبر وشجاعة وعلي توضيح الحقائق للجمهور حتي يتمكن من تكوين رؤي صحيحة للأمور ووضع الحقائق موضع التطبيق.

إن دور المثقف العضوي كما يقترحه إدوارد سعيد هو أن يثير القضايا الإنسانية الملحة من داخل موقعه، فليس المطلوب منه أن يصبح مسئولاً في جهاز ثقافي أو مؤسسة إعلامية، بل أن يكون مستعداً لأن يبدع في السياق الذي يعمل فيه مهما بُعد عن المركز، يضيف سعيد " أن مصطلح المثقف في جوهره ليس داعية مسالمة ولا داعية اتفاق في الآراء، لكنه شخص يخاطر بكيانه كله لاتخاذ موقف الاصرار علي رفض الصيغ السهلة والأقوال الجاهزة، لكن لم يقتصر رفض المثقف علي الرفض السلبي، بل يتضمن الاستعداد للإعلان عن رفضه علي الملأ.

إن الحياة السائدة بما تزخر به من قيم وتقاليد تجعل المثقف بين خيارين إما أن يتحالف مع هويته والتقاليد السائدة أو أن يقف في وجه تلك الأعراف الزائفة من أجل الحقائق الموضوعية لذلك اعتبر سعيد أن الولاء علي حساب الحقيقة قضية محتقرة وعائق ابستمولوجي، لأنها تخدر الحس النقدي لدي المثقف ويؤكد أن اختلاف المثقفين، ناتج عن نوعية النسق الثقافي المهيمن وانتمائهم إلي لغات مختلفة، هذا ما يتيح اسلوب وتفكير وبناء عقلي معين، لقد أشار "سعيد" إن في كتاب " جوليان بندا"" خيانة المثقفين"يحس أن المثقفين يعيشون في فضاء كوني لا تحده الحدود القومية ولا الهوية العرقية، لكن في حقيقة الأمر أن " بندا " كان يتحدث عن المثقفين الاوروبيين دون سواهم وكأنهم وحدهم الجديرين بحمل لقب المثقف، لكن قد تغيرت الأحوال كثيراً منذ ذلك التاريخ، فلم يعد الغرب حامل اللواء الذي لا يتحداه احد، إن تفكيك الامبراطوريات بعد الحرب العالمية الثانية قلل من قدرة أوروبا علي الإشعاع فكرياً وثقافيا.

وفي النهاية:

يمكننا القول إنه من الصعوبة إحصاء أدوار المثقف في العالم العربي، نتيجة لأنه لم تكن هناك أي دراسات احصائية وقفت علي أدوار المثقفين، كذلك صعوبة الحديث عن المثقفين إنهم كتلة واحدة، حيث أن هذا يخالف منطق الأشياء ويناقض الواقع.

المبحث الثالث: المثقف في الفكر الغربي

أولاً: جان بول سارتر :

١ـ المثقف العضوي عند سارتر:

في مرافعة دفاع عن المثقفين، الذي هو في الحقيقة عنوان كتاب لسارتر، هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات القاها علي عدد من طلبة جامعة اليابان في الخمسينيات من القرن الماضي، يعدد مختلف التهم الموجهة للمثقفين مفنداً إياها في نفس الوقت، قبل أن يعرف المثقف يعرفه أولاً بوجوده، وثانياً بوظيفته في المجتمع المعاصر ودوره، وهو يستند في ذلك علي منطلق أساسي حاول أن يدمجهما معاً في الرؤية الوجودية ، التي كانت موضة فكرية، وثانياً التحليل الماركسي في أحدث طبعته آنذاك أي في الصيغة الجرامشوية، فكان حقاً شخصية فكرية سجالية متطورة.

عرف سارتر المثقف العضوي " إنه ذلك الإنسان الذي يدرك التعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العملية مع كل ما يترتب علي ذلك من ضوابط وبين الايديولوجيا السائدة مع منظومتها من القيم التقليدية، وما هذا الوعي سوي كشف النقاب عن تناقضات المجتمع الجوهرية، فالمثقف من وجهة نظر سارتر يقوم بدور الكاشف عن الايديولوجيا المهيمنة لفرض السلطة وهذه الايديولوجيا التي تُصاغ في شكل قيم وتقاليد، تنُشر من طرف خونة الثقافة حسب سارتر.

فالمثقف ليس عاملاً يدوياً ولا رأسمالياً، بل دائرة نفوذه هي الوعي الذي لا يعترف بأهميته أحد، إن كانت الطبقة المهيمنة السائدة تعمل علي تزييف هذا الوعي، وإعادة إنتاج ايديولوجيتها المهيمنة، وهو في الأغلب أي المثقف ينضم إلي طبقة لا تنتج مثقفيها أي يأخذ الجانب التاريخي بالتبني، وهو بذلك يزرع الشكوك في طبقته وفي الطبقات الأخرى، لقد انطلق سارتر من فرضية مفاداها وإن تختلف التهم عليها التي يوجهها الخصوم للمثقفين، إلا إنها تلتقي جميعها في فكرة اساسية مفاداها، أن المثقف يتدخل فيما لا يعنيه ويخرج عن دائرة اختصاصه وكفاءته، ليقوم بوظيفة ليس مؤهلاً بها بالضرورة.

٣ـ دور المثقف العضوي عند سارتر:

أ- العمل ضد الايديولوجيا السائدة في صفوف الطبقات الشعبية، ونسق اساطيرها الخاصة كمقولات البطل الإيجابي.

ب- توظيف الثروة المعرفية القادمة من التاريخ الطبقي للمجتمع، في ترسيخ وابداع ثقافة جديدة للشعب.

ج- تأهيل أصحاب المعرفة العملية من التقنيين بتخليصهم من الوعي الشقي وضمهم إلي صفوف العمال

د- الحرص الدائم علي اعتبار شمولية المعرفة، وحرية الفكر والحقيقة، غاية واقعية يلامسها المثقف في معترك الكفاح العملي والفعلي، أي إنها مشروع حياة عملي يظل نسبياً وناقصاً أبداً ودائماً طالما يستهدف مستقبل الإنسان

ه- أن يجعل نفسه ضد أي سلطة، بما في ذلك السلطة السياسية، التي تتمثل في الأحزاب في الأحزاب الجماهيرية.

و- تجذير العمل العام بإيضاح الأهداف البعيدة من وراء الأهداف المباشرة

الملاحظة المهمة: هي أن سارتر أعتبر أن النضال السياسي والحزبي ليس حلاً، وأن المثقف ضد كل سلطة، هذا ما برز في الحراك الطلابي في فرنسا ١٩٦٧م، وهي الأجواء التي جعلته أكثر راديكالية فهذا الحراك لم يكن سياسي ولا حزبي، كذلك ضد كل سلطة وكل مؤسسة

- المثقف المزيف لا يقول "لا" بل "لا" و"لكن"

المثقف النقدي يعاين الوقائع فاصلاً بين الزيف والحقيقة، يقول سارتر كاشفاً زيف المثقفين البرجوازيين الطامحين إلي الارتقاء إلي مستوي الطبقة العليا في مجتمعه، فالمثقف المزيف لا يقول "لا" مثله مثل المثقف الحقيقي بل "لا" و"لكن" أو "اعلم ذلك حق العلم ولكن ينبغي ايضاً "وما إلي ذلك، كلمة ولكن يختبئ ورائها الكثير من الزيف، لأن المثقف المزيف يخشي قول الحقيقة، فهو ذو وجهين ينافق لمن فوقه، انتمائه الطائفي والقبلي يغلب علي انتمائه الوطني، المثقف المزيف ممكن أن يوهمك بأنه مثقف تقدمي باستخدامه بعض الصيغ التي يستخدمها المثقف الحقيقي، ويكثر في ثنايا كلماته كلمة ولكن دون أن تحسم موقفاً له.

وختاماً يمكن القول، ما أنبل المتمسكين من مثقفينا بالقيم الإنسانية، وما أسوأ تدنيس القيم ممن يقولون "لا " و" لكن" تهرباً من المسئولية الاخلاقية.

ثانياً: المثقف في فكر ميشال فوكو Michel Foucault(*):

١- المثقف الخصوصي:

لا يمكن لنا أن نحيط بمفهوم المثقف الخصوصي، ولا بشروط تكونه في خطاب فوكو إلا في ضوء الصراع الثقافي، الذي كان جارياً في الفضاء الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية، وهو الاتجاه الموضوعي ذو النزعة العلمية من جهة،و الاتجاه العقلاني من جهة أخري، دون أن ننسي الاتجاه الذاتي من جهة أخري، وكان سارتر يمثل سلطة مرجعية، في الحقل الفرنسي، لا يمكن لأي والج إليه إلا أن يتعاط معها سلباً أو إيجاباً، إذا آراد أن يؤسس لنفسه موقفاً فيه، لذا نجد فوكو ينتج ويؤسس لنفسه مفهومه عن المثقف الخصوصي ضد حقل سارتر الكوني تقابلاً ضدياً حيث اصبح المثقف الخصوصي،ووظيفته

(*) **ميشال فوكو Foucault**: ولد عام ١٩٢٦م، في بلدة غرب وسط فرنسا، لأسرة ريفية بارزة، كان والده الطبيب الجراح البارز بول فوكو، يُعتبر ميشال فوكو من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالبنويون، درس وحلل تاريخ الجنون في كتابه تاريخ الجنون، عالج مواضيع مثل الاجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون، عمل في مستشفي الامراض النفسية في عام ١٩٥٥كان أول كتاب له بعنوان الجنون واللاعقل عام ١٩٦١م، وتوفي أثر إصابته بمرض الإيدز عام ١٩٨٤م، يُعتبر ميشال فوكو أحد أهم المفكرين المؤثرين خلال القرن العشرين، كان لأعماله أثر كبير في مجالات عدة منها علم الجريمة، الدراسات الثقافية، النظرية السياسية، الطب النفسي، كذلك علم الاجتماع، علي الرغم من أن فوكو لم يكن عالم اجتماع إلا أن أعماله تناولت قضايا مهمة ومحورية لعلم الاجتماع، يمكن أن يكون افضل وصف له هو إنه مؤرخ النظم الفكرية.

في المجتمع المعاصر بديلاً لابد منه للمثقف الكوني الذي باتت رياح الأزمة في الثلث الأخير من القرن العشرين تقذف به في غيابة النسيان.

- تبرير ظهور المثقف الخصوصي عند فوكو:

أولاً: الاستقلال النسبي للحقل الثقافي الذي اخترقته الحركات الاجتماعية طارحة اسئلة عليها علي نحو يجعلها تندرج في سياق تاريخه واشكالاته، وفي مقدمة تلك الاسئلة سؤال المثقف، ومكانته ودوره وعلاقته بالسلطة ووظيفته.

ثانياً: المجال السياسي واستقلاله والوضع الاجتماعي، وما تمخض عنه من الصراعات واسئلة وممارسات جديدة سيساهم بدوره في بلورة مفهوم المثقف الخصوصي لدي فوكو، بل أن المفهوم الذي تبلور هو الآخر في خضم الصراع السياسي والحقوقي في مجتمع ديمقراطي يؤدي فيه الرأي العام دوراً مهماً، الذي تجسد في شكل تنظيمات، ومنظمات حقوقية، التي ظهرت في فرنسا ١٩٧١م، هذه هي الشروط حسب فوكو، التي جعلت وجه المثقف الخصوصي يظهر ويتميز ويلفت إليه الأنظار وسط هذا التدافع والسجال والصراع، الذي طال المجالين الثقافي والسياسي محاولاً دفع وجه المثقف الكوني، وقبله المثقف العضوي، ومن هنا يظهر لنا بأن فوكو يري أن الزمن الذي كان فيه المثقف الكوني يسمح لنفسه بأن يعطي الدروس للناس لما يجب عليهم فعله إلا أن هذا الزمن قد ولي وانقضي لأن الجماهير لم تعد في حاجه إليهم لتعرف لأن الجماهير تعرف تماماً.

وفي كل الأحوال ليس المثقف وصياً علي الناس ولا ضميراً لهم، وعندما يشعر بواجب عليه أن يقول قولاً ما، فإنه يقوله في حدود نطاق تخصصه المعرفي الذي يملك فيه سلطة شرعية. يتضح لنا جلياً مفهومه حول المثقف ودوره في هذا العصر من خلال حوار أجراه **"برنارد هنري ليفي"** حينما سأل فوكو عن السلطة، وعلاقتها بالمعرفة ففي ثنايا جوابه قال فوكو" اعتقد أن المثقفين، إذا ما كان لهذه الفئة من وجود، أو إذا ما كان لها أن تستمر في الوجودهذا أمر غير أكيد أو لعله من غير المرغوب فيه، أعتقد أن المثقفين صاروا يتخلون عن وظيفتهم القديمة، من هنا فأنا لا أفكر فقط في ادعائهم بالتنبؤ بما سيحدث لكنني أفكر كذلك في وظيفة المشروع التي طالما تبنوها هذا ما يجب فعله، هذا هو الطريق القويم، فأنا احلم بالمثقف الذي يحطم البديهيات والافكار الكونية ذلك المثقف الذي يكشف نقط الضعف والمنافذ وخطوط القوة، المثقف الذي ينتقل باستمرار دون أن يعرف اين سيكون ولا ما سيفكر فيه غداً لأنه مغرق الانتباه في الحاضر.

لكن السؤال الذي نبحث له عن إجابة دائماً ونريد طرحه علي مختلف المفكرين، ونطرحه علي فوكو اين يقع المثقف داخل الفضاء الاجتماعي؟ وهل له تعريف معين أو خصائص واضحة؟ وما دوره في

المجتمع الحديث؟ يوضح فوكو إجابة كل هذه الأسئلة من خلال حوار أجراه مع **فرانسوا ايوالد** Ewald[*] عندما سأله عن ماذا يجب علينا فعله؟

يجيب فوكو " ليس دور المثقف أن يقول للآخرين ماذا يتعين عليهم فعله، بأي حق سيفعل ذلك؟ ليس عمل المثقف أن يشكل الإرادة السياسية للآخرين، إنما يكمن عمله في التحاليل التي يقوم بها لميادين هي ميادينه وهي مسألة البديهيات والمسلمات وزعزعة العادات وطرق العمل والتفكير كما يكمن في تبديد الأمور المألوفة المقبولة وإعادة النظر في المؤسسات، مع المساهمة في إعادة الاشكلة التي يؤدي فيها المثقف وظيفته النوعية باعتباره مثقفاً في تشكيل إرادة سياسية عليه أن يلعب فيها دوره كمواطن،

٢- خصوصية المثقف:

حددها فوكو بمستويات ثلاثة:

أ - خصوصية موقعه الطبقي في المجتمع، بوصفه بورجوازياً صغيراً في خدمة الدولة.

ب - خصوصية موقعه في مجال تخصصه المعرفي، في ذلك المجال الاكراهات الاقتصادية والسياسية التي يتبين عليه أن يخضع لها أو أن يقاومها تبعاً للظروف والأحوال في كثير من القطاعات التي يضطلع فيها المثقف بمسؤوليات تقنية وإدارية.

ج -خصوصية سياسة المعرفة والحقيقة التي تؤطر وجوده في المجتمعات المعاصرة.

ونشير بأن هناك من سار في نفس الخط مع فوكو (المثقف الخصوصي)، وانتهاء عصر المثقف الكلي عند سارتر، حيث نجد المثقفين التقليدين كانوا يدعون إلي موضوع عالمي، أما اليوم، فإن المثقفين لم يعودوا قادرين علي التدخل في الشئون العامة باسم العالمية، والامكانات المتاحة هي فقط محلية ودفاعية، وأن نوع المثقفين العالميين اصبح نادراً أو في حقيقة الأمر انقرض وتلاشي تماماً ونسجل نفس الموقف عند المفكر العربي علي حرب، وبين هذا وذاك يكمن تفرد المثقف الخصوصي، مثقف المجتمعات العصرية التي اصبح فيها العلم والتقنية رأس مال حساس ورهاناً سياسياً يتحدد بنمط تدبير المصالح والارادات المتضاربة فيه لا مصائر تلك المجتمعات وحدها بل مصير البشرية جمعاء.

٣- صفات المثقف المتخصص:

أ- المثقف الجديد لا يعطي دروساً ولا يقوم بالتوجيه، وإنما يقوم أدوات للعمل ومناهج التحليل.

ب - المثقف الجديد هو الذي يوضح وضعية جديدة، أو يكشف حالة خاصة أو مسألة معينة.

ج- المثقف المتخصص ليس مرتبط بجهاز الانتاج، لكنه مرتبط بجهاز المعلومات

د- المثقف المتخصص هو الذي يقطع نهائياً مع دعوي الشمولية والكونية ويمارس يقظة سياسية

ه- المثقف الجديد هو المحلل والناقد لأنظمة الفكر والتي اصبحت تشكل بديهيات والتي ترتبط بشكل عضوي مع مفاهيمنا ومواقفنا وسلوكنا.

---

[*] **فرانسوا ايوالد Ewald**: من مواليد ٢٩ أبريل ١٩٤٦م، هو مفكر وفيلسوف وفرنسي ودكتور في الآداب مساعد لميشال فوكو، يعمل استاذاً في المعهد الوطني للفنون والحرف اليدوية

و- ليست مهمة المثقف الجديد سن القوانين واقتراح الحلول وتقديم النصح وإنما مهمته التحويل والتغيير من خلال ميدانه وذلك بتشخيص الحاضر.

يتفق فوكو وجرامشي في توسيع مستوي مفهوم السلطة، وكشف أوجه مختلفة منها فنجد فوكو قد ذهب إلي مناطق بعيدة ليبين كيف يمكن للسلطة السيطرة الكاملة ووضح في مفهومه عن الانضباط ألياته المختلفة لذلك، لكن حضور السلطة الدائم عن طريق انتاج ذاتها ينفي أي وسيلة للثورة، فوكو يري أن ما يحدث هو مقاومات، وفي النهاية هذه المقاومات بلا فائدة لأنها تحدث في حيز السلطة، وبسب ذلك الحضور الدائم الذي يشبه حضور الإله، تم انتقاد مفهوم السلطة عند فوكو، كما أن فوكو يرفض مفهوم المثقف الكوني ويرسخ لمفهوم جديد لمثقف متخصص.

تعقيب:

من كل هذه التعريفات والتصورات تُظهر بشكل جلي الاختلاف حول تحديد مصطلح المثقف إذ نجد من حدده بالمهتم بالشأن العام، في حين هناك من رأي أن فيه التفكير وابتكار الحلول، وهناك من عده صاحب المعرفة، والتحصيل الدراسي، في حين هناك من رأي فيه أكثر من ذلك لكن التشخيص الأكثر موضوعية لمصطلح المثقف هو إنه الشخص المنفرد عن غيره من أفراد المجتمع بقدرته علي التفكير وانتقاد الأوضاع وتشخيص المشاكل ووضع حلول لها.

والمتتبع لتعريفات المثقف المختلفة مما سبق ذكره في السابق يمكن من خلالها أن نحدد مجموعة من العناصر أو الصفات أو الشروط الواجب توافرها في المثقف **وهي:**

١- أن يتصف المثقف بقدر واسع من الاطلاع والمعارف المتنوعة.

٢- أن يمتلك المثقف القدرة علي الإدراك النظري فهماً و تأسيساً أي امتلاك القدرة علي فهم ما يُطرح من النظريات الفكرية.

٣- أن يستمد المثقف معارفه من الاطلاع علي شئون الواقع وأن يمتلك القدرة علي التفكير والنقد.

٤- الاهتمام بالشأن العام، وقضايا المجتمع، فلابد للمثقف أن يؤثر في حركة المجتمع، الذي ينتمي إليه، ويتفاعل معه بما يبتكره من افكار وما يساهم به في صناعة الرأي العام.

٥- ممارسة النقد وهي من الصفات الاساسية للمثقف، سواء كان النقد ثقافي، أم سياسي، أم اجتماعي.

٦- أن يتمتع المثقف بالشجاعة الفكرية في فهم المجتمع وظواهره، وأن يسعي إلي كشف الحقيقة وفضح الايديولوجيات المتآمرة علي المجتمع.

٧- أن يتميز المثقف بالاستقلالية، والبعد عن العصبية الضيقة، حيث تمنحه صفة الاستقلالية حرية ابداء الرأي، والتواصل مع الغير وضرورة الاستيعاب لفكر الآخرين.

الفصل الثالث
مفهوم المثقف عند أنطونيو جرامشي

ويشتمل هذا الفصل على أهم المباحث الآتية:

- تمهيد:

المبحث الأول: مبدأ استقلالية المثقف

المبحث الثاني: المثقف والثورة

المبحث الثالث: تعريف المثقف عند جرامشي

المبحث الرابع: تصنيف المثقفين عند جرامشي

المبحث الخامس: الثقافة الشعبية في سياسة جرامشي

- تعقيب:

تمهيد:

تدعو التطورات التي تشهدها الساحة العالمية، إلي الاشتغال مرة أخري علي موضوع دور ومكانة المثقف في المجتمع، خصوصاً وهو (المثقف) الذي يفترض فيه أن يكون الحاضر اليقظ، الذي لا تغفو عينه ولا يغيب عقله عن التقاط نبض الشارع من حياة وهموم هذا المجتمع. إن لكل شعب من شعوب العالم تراث فكري خاص به، ويعتبر من العوامل الرئيسية التي تتميز بها جميع الأمم بعضها عن البعض، حيث تختلف طبيعة الثقافة وخصائصها من مجتمع لآخر، وذلك للارتباط الوثيق الذي يربط بين واقع الأمة وتراثها الفكري والحضاري، كما أن الثقافة تنمو مع النمو الحضاري للأمم، لكنها قد تتراجع في بعض الأوقات بسبب عدم الاهتمام الكافي بها، مما يؤدي إلي غياب الهوية الثقافية.

لقد اصبح موضوع الثقافة محل اهتمام كثير من المهتمين بالعلوم الإنسانية، فالثقافة هي ذلك المركب الذي يشتمل علي المعرفة والعقائد والفنون والقيم والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع، فهي ذلك الجزء من البيئة الذي قام الإنسان بنفسه علي صنعه، ووليدة البيئة وثمرة التفاعل بين الأفراد، فهي بهذا المعني لا توجد في غير المجتمع، كما لا يوجد مجتمع بدون ثقافة.

إن ما نعنيه هو أن الثقافة ليست حقلاً حيادياً نتصرف فيه وفق إرادتنا الحرة، بعيداً عن المؤثرات أو المنبهات الخارجية أو الداخلية علي حد سواء، بل قل أن المثقف هو الحامل لهذه المنبهات وهذه المؤثرات التي يتحرك ضمنها الإنسان، وتحت وقعها وتأثيرها لأن بمقدورها أن تعمل عمل السحر علي الأفراد.

المبحث الأول: مبدأ استقلالية المثقف

إن عملية تحديد مفهوم المثقف ليست أمراً يسيراً، فهي إجراء نظري معقد، أي بالإيديولوجيات، ثم إن الحديث عن موضوع المثقف يأخذ ابعاداً وتشعبات عدة، منها علي سبيل الذكر لا الحصر تلك المرتبطة بالتصنيفات أو بالأنواع، كما بالبدايات أو بالجذور التاريخية لظهور هذا المفهوم أو في اقترانه بحادثة "درايفوس"(*)، لذلك فإن أي محاولة لتحديد مفهوم المثقف، ستعترضها مشكلة أساسية تتمحور حول مدي الاستقلالية التي يمكن أن يتمتع بها المثقف، وطبيعة الدور الذي يلعبه داخل المجتمع، وبمعني آخر لا تنحصر المشكلة في إعطاء تعريف مبسط أو بسيط لمفهوم المثقف.

أولاً: استقلالية المثقف

ونحن بصدد المثقف، نتناول ايضاً إشكالية مدي استقلالية المثقف حيال الأوضاع ، والظروف المحيطة به، فإلي أي مدي يمكن الحديث عن المثقف الحر أو المثقف المستقل؟ من ذلك وما دمنا بصدد مدي استقلالية أو تبعية المثقف، فلابد أن نذكر بأن الآراء حول مدي هذه الاستقلالية أو التبعية ليست موحدة ولا واحدة، فيمكن في هذا الموضع نذكر أو نعرض علي سبيل المثال لا الحصر، موقف "موسكا"، ثم بعده ببضعة عشرات من السنين "كارل مانهايم" ، وغيرهم ممن اعتقدوا في إمكانية أن يشكل المثقفون جماعة مستقلة، من دون أي ارتباطات اجتماعية.

فموسكا مثلاً ينظر إلي المثقفين باعتبارهم جماعة موجودة في وضع وسط ما بين البرجوازية والبروليتاريا، وهي قادرة علي أن تصبح نواة لنخبة جديدة، ويقول في هذا الإطار " إذا كانت هناك طبقة اجتماعية مستعدة ولو للحظة لنسيان المصلحة الخاصة، من أجل المصلحة المشتركة فإنها من دون شك تلك الطبقة التي سمح لها تكوينها الفكري بامتلاك، ما يمكن أن يعبر عن كرامة الأخلاق، سعة الأُفق، وعن الطاقات المتفتحة، هذه الطبقة هي الوحيدة القادرة علي التضحية بمنفعة آنية، من أجل تفادي الشر في المستقبل.

وكان موسكا بهذا الرأي، يشيد بقدرة المثقفين علي التمتع باستقلالية تفيد في التطلع إلي المستقبل

أما كارل مانهايم: ينظر إلي المثقفون علي إنهم شريحة اجتماعية، وهي تقريباً من دون انتماء طبقي، شريحة متجانسة، يمكن أن تتمتع بمعرفة كاملة، وموضوعية نسبياً عن المجتمع، وبشكل خاص عن مختلف جماعات المصالح التي تتعايش بداخلها، كما يمكن أن تساهم بحرية في ترقية المصالح

(*) **درايفوس**: عندما ادانت إحدى المحاكم الفرنسية ضابط فرنسي يدعي درايفوس، في عام ١٨٩٤م، بتهمة تسريب معلومات عسكرية إلي المانيا، عدوة فرنسا، ظهرت القضية كأنها قضية تجسس وخيانة وطنية، غير أن تعقد الوضع الاجتماعي السياسي في فرنسا في ذلك الوقت حول قضية درايفوس، إلي قضية شأن عام، بحيث تحولت إلي قضية سياسية كبري، وقسمت الشعب الفرنسي إلي مناصراً لدرايفوس ومعاد له، وظهرت جماعة من رجال الأدب ولفكر تسمي نفسها جماعة المثقفين محتجة علي الحكم علي درايفوس، في هذا التاريخ تم إعلان ميلاد المثقف.

الاجتماعية الأكثر عمومية، والواقع أن المثقفين وكما ذهب إليه **"بوتومور"** وإن كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلالية، مثلما يبدو احياناً، إلا إنهم وعبر تجارب تاريخية عديدة، قد استطاعوا أن يشكلوا نخبة جديدة ناضلت من أجل السلطة تحت شعارات مختلفة ويمكن أن نلمس هذا من خلال الاطلاع علي تاريخ المجتمعات الغربية، كيف أن الحركة العمالية التي وعلي عكس الحركات الاجتماعية التي سبقتها لم تكن حركة احتجاجية بل حركة حوت نظرية حول المجتمع كان للمثقفين دوراً في صياغتها.

والحال هذه فكأنما المثقفون عندما يتحولون عن القيام بدورهم الاساسي (دور الناقد الاجتماعي) إلي ممارسة السلطة، تجدهم يتحولون عن الاهتمام بالمسائل الجوهرية المتعلقة بمستقبل الإنسان إلي الاهتمام بالأمور الجزئية أو الثانوية، إن ما يمكن قوله في هذا الخصوص، هو إنه وبغض النظر عما إذا كان المثقفون يشغلون وظائف خاصة، أو عن وضعيتهم الاجتماعية، فإنه ليس لهم مفر من الاشتغال بالقضايا المصيرية للمجتمعات وللإنسانية قاطبة، ذلك أن لهم وظيفة اجتماعية خاصة، تختلف عن وظيفتهم المتعلقة بالمعرفة وهي وظيفة انتاج المجتمع نفسه، من حيث هو آلية تختص بجمع وتوحيد الأجزاء والعناصر التي يتألف منها، وبث الروح الجمعية فيها وتحويلها إلي كيان حي قادر علي الحركة والتنظيم والتنسيق والتحسين والإصلاح، بل قل ببث عزيمة الحياة في المجتمع.

ثانياً: سلطة المثقف

وبالفعل يقف المتتبع لمسار التاريخ علي حقيقة الدور الذي لعبه المثقفون ضمن هذا المسار، وفي تحديد اتجاهه منذ عصر الأنوار من فولتير وروسو إلي جون بول سارتر وبورديو، هؤلاء الذين شاركوا بفاعلية في صوغ الأحداث، وفي التأثير في ديناميكيتها، والحق أن سلطة المثقف ترتبط بقوة الأفكار التي يعبر عنها، وهناك سؤال هام يتم طرحه الآن هل يملك المثقف الاستقلالية الكاملة حتي يكون مؤثراً؟ قبل أن نجيب علي هذا السؤال، علينا أن نسأل مسبقاًأين هو المثقف اليوم في ظل كل ما يحدث حوله من تغييرات علي كافة الأصعدة؟ للأسف طوفان التغييرات التي عصفت بالعالم العربي منذ دخوله الألفية الثالثة، وما قبله ايضاً، لم يترك مجالاًللحديث عن دور فاعل للمثقف، سواء علي مستوي الاجتماع أو الثقافة أو الفكر أو السياسة، ففي حين كان عصر النهضة في القرن التاسع عشر، أنتج لنا مثقفين كبار كان لسلوكهم وخطابهم الأثر الواضح الذين تركوا بصيصاً من الأمل للخروج من مآزق عديدة علي رأسها الدولة والاستبداد، الآن لا مثقف ولا اجتهادات، فكيف والحالة تلك يمكننا الحديث عن دور للمثقف؟ لذلك بأي معني يكون المثقف مستقلاً؟ طالما لم يكن له دور فاعل ومؤثر؟.

ولكي يكون المثقف فاعلاً، فإنه يجب أن يكون مستقلاًوأن تكون آراؤه وأفكاره غير خاضعة وليست تحت تأثير أحد أو هيئة عليا، ومن بين أجمل الأجوبة حول استقلالية المثقف صدرت عن عالم الاجتماع الأمريكي "سي. رايت ميلز" المفكر المتطرف في إعلان استقلاليته والقادر علي توصيل أفكاره

بإقناع، حيث كتب ميلز" إن الفنان والمثقف المستقلين هما في عداد الشخصيات القليلة الباقية، المجهزة كي تقاوم وتحارب تعّرض افكار حية حقاً إلي قولبة جامدة وبالتالي إلي الموت " .

من هنا نصل إلي أن استقلالية المثقف اشكالية كبيرة، وليس من السهل تناولها خاصة مع الوضع الراهن، المتأزم للثقافة العربية، وفي ظل الأنظمة العربية الحاكمة ليس ممكناً دائماً، في كل الظروف والبلدان، لأن هذا يتوقف علي موقف السلطة من المثقف، ومدي اهتمامها به أو تجاهلها له، وليس كل سلطة لها نفس الموقف، لأن هناك سلطات لا تهتم بالثقافة أصلاً، وتراها عملاً هامشياً، وهناك سلطات تري أن الثقافة تؤثر في الناس ، لذا تضعها في أولي اهتماماتها ، وبالتالي تحاول استقطاب المثقف، واحياناً عندما تكون السلطة والمؤسسات الثقافية بها ليست هوجاء، فهي تسمح للمثقف أن يمارس استقلاليته، وعندما يمارس المثقف هذا الاستقلال فإن السلطة عادة تعاقبه بأن تمنع معه أي تعاون، وبالتالي ينعزل المثقف عن المجتمع، لأن الاستقلال لا يعجب السلطة التي تحب أن يكون الكل تحت سيطرتها .

ومن ثم ليس هناك استقلال المثقف، أياً كان لأن المثقف جزء من منظومة العالم، ومعني استقلاليته إنه سينفصل عن احتياجاته التي ستعينه علي الحياة، لذا يمكن القول أن كلمة استقلالية، كلمة غامضة وليس لها مدلول، سواء كانت هذه الاستقلالية للمثقف أو لغير المثقف، ولو فرضنا أن المثقف ينتمي إلي حزب من الأحزاب المعارضة، فهو هنا لن يكون مستقلاً ايضاً ولو كان خاضعاً لمذهب ديني من المذاهب، فالإنسان ينتمي بطبيعته لأشياء معينة، ولا يوجد إنسان مستقل، وغير خاضع لحدود، فالاستقلالية بالمعني المطلق مستحيلة، أما بالمعني النسبي فهي ممكنة إذا التف حول القيود، أما إذا خرج عن الحدود فلن يكون مسموح له وسيصادر، ومن ثم لا توجد استقلالية مطلقة، لكن مشروطة تتسع وتضيق حسب الديمقراطية الموجودة في البلد .

ومن كل ما سبق هل يمكننا أن نقول إنه من الصعب أن يكون المثقف مُستقلاً؟ ولماذا لا يمكنه هذا؟ رغم ما حققه من وجود عبر المؤلفات الورقية، والمواقع، والميديا، إلا أنه لم يصل بعد إلي مرتبة الاستقلالية الحقة، أو لقب المثقف المُستقل، لكن الأسطوانة التي يرددها المثقف غالباً مؤداها إنه يتمتع بهذه الاستقلالية، مُردداً أن المثقف المُستقل موجود حقيقة لا وهماً .

من جهة أخري هل يمكن القول أن الخطاب السياسي المُهيمن، والخطاب الديني المتشدد ساهما معاً في تعطيل وجود أو بروز هذا المثقف المُستقل، وتكميم خطابه أو صوته بطرق مختلفة ومتباينة، وما الذي يجب حتي يحقق المثقف المُستقل وجوده الفعلي والفّعال، وحتي تتخلص عبارة المثقف بين الوهم والحقيقة، إلا إننا نجد البيئة السياسية والثقافية العربية التي تتسم بالانغلاق والنمطية، تعادي استقلالية المثقف، بل وتحاول إجباره علي الخضوع وخدمة مشروع معين، وهو ما ينعكس علي دوره وفاعليته، إذ لا يمكن أن تنتظر الكثير من مثقف اختار أو أُختير له الانخراط في منظومة قد يرفضها

من منُطلق قناعاته وتصوراته، لكنه يتماهى معها في واقعه وممارساته، لأنه يعتقد إنها الجدار الذي يستند إليه، والمظلة التي يحتمي بها، ويعتقد إنها بزوالها سيفقد امتيازاته ومكانته المتوهمة، ويصبح المثقف أشبه بالمرتزق الذي يقدم خدماته لمن يدفع.

وعليه فإننا نعتقد أن استقلالية المثقف لا ترتبط بالجانب الوظيفي أساساً، بقدر ما ترتبط بضمان الجو الديمقراطي، الذي يفُرض هامشاً من الحرية والإبداع، حينها فقط يمكن أن نتجاوز حالة التبعية، التي يُعانيها المثقف، علماً أن هناك أنواع أخري من التبعية، لعل اهمها التبعية الايديولوجية، حيث يعاني بعض المثقفين من الإغراق في الايديولوجية،حيث يتطرف بعض المثقفين في اعتناقهم لها وتطرفهم في التعبير عنها، ورفض كل ما هو خارج دائرتها، وبالتالي فإن هذا النوع من المثقفين غير المستقلين، هم ايضاً يعيشون داخل سجون رسموا معالمها بأنفسهم وسيّجوها بأفكار دوغمائية، وهي بذلك لا تختلف كثيراً عن السجون السياسية، غير إنه سجن طوعي، إلا أن المشكلة الأعمق التي تجلّت هي أن المثقف وهو في طريقه للبحث عن مخارج لتحقيق استقلاليته ضل الطريق، فوجد نفسه مُستقيلاً عن مجتمعه.

وفق هذا المنظور يقف المثقف عند ثالوث مهم وهو الايديولوجيا والسلطة والمجتمع، وبحسب علاقته بهذه الاركان، تكون استقلاليته أو عبوديته، وتكو حريته أو خضوعه، ويكون التزامه أو تخليه، ومن ثم يتحدد دوره الإيجابي أو السلبي، ومن ثم تتحدد استقلالية المثقف بحسب مواقفه وبحسب قدرته علي الشعور بالحرية في التعبير عن هذه المواقف، ومن ثم يصبح الحديث عن المثقف المُستقل حديثاً مركباً و معقداً تتحكم فيه تجاذبات متعددة ووتباين الخطاب بكل انواعه (الديني والسياسي والشعبي).

المبحث الثاني: المثقف والثورة

أولاً: الفرق بين الثورة والإصلاح

المقصود بالثورة ،هنا الثورة السياسية ، التي تهدف إلي تغيير نظام الحكم ، بالتحرك الشعبي من خارج الدستور، وبما أن الأمر يتعلق بالفرق بين الثورة والإصلاح التدريجي، لأي نظام حاكم فسنحتاج إلي تمييزات أخري للمثقفين، فالمثقف العمومي، الذي يميل إلي وضع أفكار عامة لنظام أفضل، هو المثقف الذي يميل فكره إلي الثورة، أكثر مما يميل إلي الإصلاح، بل يمكن القول إنه يميل شخصياً للثورة، لأنه يطرح تصوراً شاملاً مغايراً للواقع، لقد كان هذا الأمر مصدر قوة الفلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر، نشير هنا إلي دور المثقفين الذين شاركوا في الثورة الفرنسية ذاتها، والذين تشربوا هذه الأفكار التي سبقت الثورة، ولقد تطور بين المثقفين الفرنسيين مثقفون إصلاحيون قادوا الجمهورية بالتدريج، وعبر آلام طويلة نحو الديمقراطية.

لا شك في أن المؤرخ والمثقف، الملمين بأوضاع بلادهم، لا يستحق الواحد منهما أن يُسمي مثقفاً فقط، ولا حتي مُفكراً فقط، لكنه ليبرالي نقدي، إذ يمكنه أن يدافع عن حقوق المواطن وحرياته، ولكنه يعارض الثورة، ويري أن النظام يجب أن يُنتقد وأن يصلح ذاته في إطار تراكم التقاليد والخبرات المتجسدة عموماً في حكمة الدولة، كما يمكن تصنيف المثقف الإصلاحي الذي يحاول أن يؤثر في اتجاه تقديم التغيير عبر تسويات مدروسة، ويساوم في سبيل تغيير النظام من داخله، وينجح هذا المثقف الإصلاحي في حالة انظمة تستنتج ضرورة الإصلاح والتكييف مع حركة التاريخ من أجل البقاء،لكن هذا المثقف الإصلاحي يصل إلي طريق مسدود في نظام الاستبداد المطلق، فيضطر إلي أن يختار ما بين الموقف المحافظ والثوري.

فالمثقف الثوري، ينظر إلي حالة الثورة وبما أنه ينظر لها، فإنه إذا ما وقعت ينضم إليها معنوياً علي الأقل إذ لم تتوفر لديه القدرة الكاملة للانخراط فيها بشكل مباشر، وهو يفعل ذلك من منطلقات ثلاثة:

الأول تحليلي نظري: إذ استنتج أن تحليل واقع النظام السياسي لا يسمح بالتغيير التدريجي الإصلاحي من دون ثورة، فالمثقف النقدي، ليس هاوي ثورات، وهو يدرك المخاطر الكامنة فيها، وهدف نقده ليس الثورة، بل التغيير نحو نظام أفضل، بمعني أكثر عدالة.

والثاني: لأن الثورة علي نظام الاستبداد هي فضيلة ضد الظلم، و**الثالث**: كي يكون قادراً علي التأثير في الثورة ذاتها، وحين ينضم المثقف إلي الثورة يتخذ منها مسافة نقدية، والمثقف الثوري يحافظ علي مسافة نقدية، ليس من النظام فحسب بل من الثورة أيضاً، فهو يملك الجرأة الكافية ليس لمواجهة النظام فحسب، وإنما لنقد الجمهور أيضاً، مع أن ممارسة النقد الثاني في ظرف ثوري مهمة أصعب معنوياً من نقد النظام الحاكم، وقد يتحول المثقف الثوري إلي خبير في خدمة الثورة، أو إلي ناشط بين المثقفين، أو إعلامي في خدمتها، ولابد أن يرتفع المثقف عن دوره وليس عن ممارسته، كي يكون قادراً

في اللحظة الملائمة علي أن يقوم بدوره كمثقف، المثقف في خدمة الثورة يقوم بعمل نبيل، لكن للقيام بدور المثقف يجب أن يكون المثقف الثورة لتقويمها نقديا.

أما علي مستوي الحكم القيمي، فالثورة هي فعل رافض للظلم، لا يجوز الحياد في شأنه والانحياز إليه هو من باب الفضيلة، إن موقف المثقف من الثورة مختلف، فهناك المثقف النقدي الذي يترد في الانحياز للثورة، وهو غاضب يشعر بالمرارة، ربما لأن الشعب لم يستشره، إنه المثقف الذي يغار من الجمهور، الذي توجه للثورة مباشرة من دون المرور بمراحل النقد المعهودة، وهذا وضع جديد لا يخلو من المخاطرة، وهي المخاطر التي تجعل بعض المثقفين يخافون من الجمهور، وينظر بعض الثوريين للشعب كأنه كائن ميتافيزيقي.

أما المثقف الذي يعادي الثورة، فلا يفعل ذلك تأييداً للظلم بل لأنها مؤامرة لا تتضح خيوطها الخفية إلا لاحقاً، وليس في إمكانه الآن إلا تقديرها بالتخمين والمضاربة، ناشراً في طريقه الجهل واللاعقلانية والإسفاف، وهو بذلك يخون وظيفته، فحتي المثقف المحافظ، إنما يدافع عن قيم محافظة مثل النظام والتقاليد،ولا يكتفي بنشر الشائعات، أما مثقفو الأنظمة في زمن الثورات، وفي أثناء وجود الشعب في الشارع، فليسوا حتي مثقفين محافظين، بل هم يعبرون عن ثقافة الأجهزة الأمنية، من هنا نصل إلي أن الثورة هي تلك اللحظة التاريخية التي تتحدي فيها إرادة الشعب الحرة نظام الهيمنة والسلطة وأدوات السيطرة والتسلط الذي تكرسه من خارج دستورها.

بناء عليه فالثورة هي حدث تاريخي مصيري ذو طاقة تحويلية خلاقة، تأخذ الناس من حال إلي حال، إنها تأخذهم من الخضوع إلي الحرية ومن الإحساس بالظلم، إلي التمتع بالعدالة، ومن الشعور بالغبن إلي عيش الكرامة، إنها بداية جديدة للتاريخ علي حد تعبير حنا أرندت.

ثانياً: خصائص الثورة

١- إن الثورة فعل احتجاجي جماعي، ينتظم خارج المنظومة الحاكمة والشرعية.

٢- إن الثورة ليست انقلاباً وليست انتفاضة ولا عملية اصلاحية تعديلية بسيطة للنظام الحاكم هي حراك شعبي واسع، ومشروع إصلاحي تغييري شامل.

٣- من خصائص الثورة التجديد والتأسيس لمرحلة تاريخية حضارية، فهي ليست تكرار للماضي، بل هي فعل في الحاضر، وتطلع لمستقبل أفضل

٤- ليست الثورة من إبداع زعيم أو حزب أو طائفة، بل هي من إبداع جماعة، وفيها تظهر وبها تتحرك وبها تنتشر وغايتها إسعاد الجماعة.

ثالثاً: المثقف والتغيير

يقول الفيلسوف اليوناني هرقليطس نحن لا نستحم في ماء النهر الواحد مرتين لأن مياهاً جديدة تجري من حولنا دائماً، نعم كل الأشياء من حولنا تتغير، رضينا أم أبينا، وكل شيء مآله التغيير سلباً أو إيجاباً".

إذا كان التغيير، مسألة حتمية في هذا الكون، ولا مناص منه، في كل لحظات الحياة، فليكن موجهاً لما يخدم مصلحة الناس، بدلاً من تركه يسير بلا قيود، أو ضوابط، كمياه الفيضانات، إذا تركت تتدفق علي وجهها فإنها تعيث فساداً، وتأتي علي كل ما يعترض طريقها، تدميراً وتخريباً، وإذا شقّت لها القنوات نحو البساتين والحقول، فإنها تغدو مصدر خير وبركة ونفع، والثقافة هي أضمن وسيلة من وسائل التغيير الإيجابي، وأكثرها مقدرة علي تحويل مسارات التغيير نحو مصلحة الكون والإنسانية، لأن الثقافة ضمير الناس وجوهر وجودهم، مثلما هي الأساس الثابت الراسخ، لأشكال التنمية والتطور كافة، فالمثقف هو عقل الأمة وقائد التغيير الحقيقي، الذي يأخذ بالأمم إلي بر الأمان وصحائف البقاء والخلود.

ولعل أكبر ما يستدعي التوقف والنظر ما يسمي تارة "بالمتغيرات"، وتارة "بالثورات" واحياناً "بالفورات"، وطوراً آخر "بالانتفاضات"، والتي يهتف بها الشعب ويلوح بشعارات بسيطة في تركيبها، لكنها عميقة في دلالاتها، يريد الشعب بها اسقاط النظام أو كلمة "ارحل" وغيرها من الكلمات التي اصبح يحفظها الإنسان العادي، فضلاً عن المثقف، الذي يتابع بعين فاحصة احداث هذه الثورات، هذه الملاحظة هي الاساس لتحديد دور المثقف تجاه التغيرات؟ وإلي أي مدي يسهم المثقف في التغيير؟ وهل كل مثقف يسعي لتحقيق هذا التغيير؟ ثم ما المعوقات التي تعيق المكونات الثقافية عن الإسهام الفعلي والهادف في تحقيق التغيير المنشود؟ واخيراً ما الشروط اللازم توفرها حتي يتسنى للمثقف أن يخترق الواقع ويسهم في تغييره؟ وهل كل مثقف يسعي لتحقيق هذا التغيير؟.

رابعاً: معوقات التغيير التي تواجه المثقف

كم من مثقف ولج إلي عالم الثقافة، لتقلد المناصب، وتحمل المسؤوليات في مجال الصحة أو التعليم، أو السياسة، أو غير ذلك لكن ما لبث أن انهارت قواه وخيبت آماله ولم يحقق مسعاه بسبب عوائق لم تكن في الحسبان، ربما لبراءته، كان متحمساً للعمل الثقافي، والتغيير الاجتماعي والإسهام التنموي الفعلي، لكن هذا الحماس لم يجد نفعاً لوجود إكراهات أشد صلابة من حماسه المصاب بالوهن، فما هي معوقات التغيير التي تحول بين المثقف والتغيير والمجتمع؟ يمكن إجمال هذه المعوقات التي تثني عزم المثقف وتثبط همته في نوعين:

١ ـ معوقات ذاتية: إن العمل الثقافي عموماً، والعربي خصوصاً، تعتريه مجموعة من التحديات، التي تقض مضجعه، ويجد فيها المثقف نفسه مسلوب الإرادة الثقافية، والحرية الفكرية، ليغير الواقع،

وهكذا نجد المثقف في احيان كثيرة يشعر باليأس وباللاتواصل مع الحراك الاجتماعي ولا يتفاعل مع واقعه الاجتماعي، واستحضر هنا مختلف المثقفين المبدعين من أدباء وشعراء، الذين تزخر بهم الذاكرة الشعبية، وإعلامين مشهورين ومفكرين مرموقين، ولا شك في هذا الوضع نكون أمام مثقف معوق إعاقة ذاتية، وتتجلي هذه الإعاقة في العجز عن تصريف الثقافة في بوتقتها، التي من خلالها يمكن للمثقف أن يغير أو يدعو للتغيير.

هذه المعوقات هي:

أ- النقص في التكوين الثقافي حسب التخصص الذي ينتمي إليه المثقف

ب- عدم الأهلية والكفاءة التي تؤهله لتقلد المسؤولية الثقافية الملقاة علي عاتقه

ج- الخوف من فقدان المنصب، حب الكرسي الذي يتربع عليه

د- النفاق الاجتماعي الذي يجعله يتقنع بالقناع الثقافي بدل الثبوت علي الوجه الثقافي الحقيقي

ه- غياب روح المواطنة مما يدفعه إلي عدم الاكتراث بوطنه وما يجري فيه من أحداث

و– الاستكانة والرضا بالواقع الحالي وعدم الإيمان بجدوي التغيير

٢- معوقات موضوعية:

إذا كان النوع الأول من المعوقات ترجع إلي الشخص نفسه، فإن النوع الثاني لا دخل له فيه، وإن كان الفصل بينهما صعب جداً بين هذه وتلك نظراً للتأثير العلائقي بينهم، إذ إنها تصدر من جهات بعيدة عن المثقف ويمكن إجمالها في:

- مقاومة التغيير من اتباع المثقف أنفسهم، والاضطهاد والقهر وكل أنواع التجاهل، والحرمان، وتهميش المثقف وعدم إشراكه في اتخاذ القرارات المصيرية، والخوف عن المكاسب والمناصب وعدم احترام التخصصات الثقافية.

تلك هي مجمل التحديات التي تقف حجر عثرة أمام المثقف الذي يرنو إلي التغيير

يتضح مما سبق أن التغيير شيء حتمي، لا مفر منه، لكن المشكلة تكمن في مدي قدرة انخراط المثقف في العمليات التغييرية، ثم أن هذه القدرة تتأرجح بين التحقيق احياناً وتميل نحو الذبول والخمول أحياناً آخري، من هنا نستنتج إنه كم من شخص يحسب علي الثقافة لكنه يخرب الثقافة أكثر مما يسهم في بنائها، ومن ثم فهو لا يسهم في التغيير المنشود وتبعاً لذلك يكون مغيباً عن المحيط الثقافي وعن ساحات التغيير، كما إنه يكون مثقفاً سالباً لذلك نقترح إنه علي المثقف الهادف للتغيير أن يستعين بالصبر لتحقيق اهداف التغيير والتحدي والصمود أمام كل المعيقات.

المبحث الثالث: تعريف المثقف عند جرامشي

لقد وصل جرامشي إلي ثقافتنا متأخراً نوعاًما، في حدود اضيق بكثير من التي تحرك فيها سابقيه، مع ذلك استطاع هذا السجين الإيطالي أن يحتل حيزاًمرجعياًفي قطاع محدود من المثقفين، إن افكار جرامشي حول مسألة العلاقة بين المثقف والسلطة، لها اهمية كبيرة، وقد قال بصدد إجابته عن كيفية التمييز بين المثقفين وغير المثقفين " يخيل لي أن الخطأ المنهجي الأكثر شيوعاًهو أن معيار التمييز بين المثقفين وغير المثقفين ذلك قد جري البحث عن في باطن النشاطات الفكرية لا في منظومة العلاقات التي نجد فيها هذه النشاطات.

لقد اعتمد جرامشي معايير جديدة، تقوم علي الوظيفة والمكانة الاجتماعية التي يشغلها المثقفون في البنية الاجتماعية، وقد وسع انطلاقاً من تلك المعايير مفهوم المثقفين بقوله " إن كل إنسان هو مثقف ولكن ليس لكل إنسان في المجتمع وظيفة المثقف " كما يري أن كل طبقة اجتماعية تفرز شرائح من المثقفين، لا يقومون بوظيفة تمثيلها فقط بل يرتبطون بها عضوياًوينشرون وعيها وتصورها عن العالم ".

كان هذا المناضل الإيطالي، قد أنكر في وقت مبكر التفرقة الحادة بين اليدوي والذهني، في محاولة توصيف المثقف بأنه ذهني، أما العامل فهو اليدوي، فالعمل اليدوي لا يخلو من الفكر، والعمل الذهني لا يخلو من اليدوي، كذلك المثقف ليس مجرد أحد عناصر البنية الفوقية، إنما يجب البحث عنه في مجمل علاقات الانتاج، ولم يستطع سارتر أن يجد مكاناًللمثقف ضمن هذه العلاقات، أما جرامشي وهو يتأمل دور المثقف في المجتمع الصناعي، قام بتوسيع تعريف المثقف فجعل من المثقفين جمهوراً متميزاً، تخترق وظيفته التنظيمية جميع فضاءات الحياة الاجتماعية.

أولاً: تعريف المثقف عند جرامشي

يري أنطونيو جرامشي أن ما يحكم تعريف المثقف ليس الخصائص الجوهرية لنشاطه الذهني فحسب بل الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها المثقف لمجتمعه.

فكل عمل مهما كان بدائياً فيه إلي حد ما شيء من النشاط الذهني، لكن ليس كل نشاط ذهني يقوم بوظيفة المثقف، وليس لكل إنسان وظيفة المثقف في المجتمع، المسألة إذن ليس لها علاقة بالبلاغة أو كم المعلومات، ولا حتي بالإنتاج العلمي والأدبي، وكثرة الكلام بالندوات والمحاضرات، وإنما تحديداً بما يقدمه المثقف لمجتمعه من دور قيادي يوجهه إلي الخلاص من هيمنة الدولة، الخلاص من هيمنة الدولة لا تعني أبداً الخروج علي القانون أو العصيان أو التمرد، إنما تُعني تحديداً عدم السماح للدولة بأجهزتها القمعية بالتلاعب بمقدرات الشعب وتبديد ثرواته وحرمانه من حقه في حياة كريمة.

إن جرامشي، لا ينطلق في تعريف المثقف، من التصنيفات والمراتب، التي تحددها الرؤية الأكاديمية الصرفة والسوسيولوجية للمثقفين والتي تعتمد علي معايير التخصص الدقيق والتقنية في التعليم ومستوي المعيشة، ونمط الاستهلاك وأسلوب الحياة، غير أن جرامشي في تحديده لمفهوم المثقف، نجده يتخطى جدلياً و تاريخياً المفهوم، الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر الأوروبي الذي يتسم بالتمييز بين العمل اليدوي والفكري والذهني، حيث ساعد جرامشي علي توجيه ضربة قاضية للأفكار المُسبقة حول المثقفين، حين قال أن كل البشر مثقفون مُستدركاً في الوقت ذاته، ولكن ليس لكل البشر وظيفة المثقف في المجتمع، في هذه الحالة يُعتبر كل إنسان يمارس مهنة وحتي خارج مجال مهنته هو إنسان يمارس نوعاً من النشاط الثقافي أي إنه فيلسوف فنان إنسان متذوق، يشارك في تصوره عن العالم لديه خط واع لمسلك أخلاقي.

إذن تحليل جرامشي لمفهوم المثقف ينطلق من النقض الثوري لكل فراق بين العمل الذهني والفكري والعمل اليدوي، لأن في نظره أي عمل عضلي حتي في شكله الأكثر ميكانيكية يوجد قدر ولو بسيط من التأهيل التقني أي فاعلية ذهنية مبدعة، لقد أنكر المناضل الإيطالي،في وقت مبكر التفرقة الحادة بين اليدوي والذهني في محاولة توصيف المثقف بأنه ذهني، والعامل إنه اليدوي.

من هنا نري أن جرامشي لا يستطيع أن يحدد تعريفاً محدداً لمفهوم المثقف،لأنه يري أن الثقافة هي أعدل الأشياء قسمة بين كافة أفراد المجتمع، وليست حكراً علي فئة أو شريحة معينة لأن اليدوي والفكري مشتركان ومتلازمان بنسب متفاوتة لكل عمل، ومن ثم يستخدم جرامشي معياراً آخر، فالمثقف سيجري تحديده بالمكانة والوظيفة اللتين يشغلهما في مجمل العلاقات الاجتماعية وعليه نجد جرامشي في تعريفه للمثقف لم يحدده بالمفهوم الدارج الذي لا يقيم وزناً إلا لكبار المثقفين.

ومن هنا نجد جرامشي لم يكن معنياً بالمثقفين الكبار أو المثقفين النجوم الذين يتصدرون الصحف والكتب والمجلات واللقاءات التليفزيونية، بل إنه لم يكن معنياً بالمثقفين بشكل عام الذين انفصلوا عن

تصورات الطبقات التي تحتاجهم في إعادة تشكيل آرائهم المعرفية والشعبية والدينية، حيث نجده مهموماً بالطبقة الاجتماعية وبتصوراتها الذهنية.

ثانياً: وظيفة المثقف عند جرامشي

١- هم منظمو الوظيفة الاقتصادية للطبقة التي يرتبطون بها عضوياً.

٢- هم حملة وظيفة الهيمنة التي تمارسها الطبقة السائدة في المجتمع المدني.

٣- هم منظمو الإكراه الذي تمارسه الطبقة السائدة علي سائر طبقات الدولة.

فالبحث عن المثقفين يجب أن يكون بحثاً في إطار الوظيفة التي تمارسها هذه الطبقة أو تلك بحكم المكانة التي تحتلها في نمط الانتاج، وهو البحث الذي لم يقم به سارتر أو الفضاء الذي لم يكتشفه.

ومن وظائفه

٤- أن المثقف هو الذي يقنع الطبقة المرتبط بها عضوياً إنها طبقية، وأن مصالح اصحابها واحدة وأن لهذه الطبقة تصوراً للعالم متجانساً ومستقلاً بذاته، إن تصور العالم هو في الحقيقة مزيج موروث ومكتسب من ينابيع عدة وعلي المثقف أن يحقق لها الانسجام والتجانس بحيث يتطابق هذا التصور مع الوظيفة الموضوعية للطبقة في وضع تاريخي،

٥- إنه يقوم بتطهير هذا التصور من كل ما هو اجنبي عنه،أي أن المثقف ليس انعكاس الطبقة الاجتماعية إنما يلعب دوراً إيجابياً في تحقيق تجانس العالم، وقد يبدو علي حد تعبير جان مارك بيوتي في كتابه فكر جرامشي السياسي أن العلاقة بين المثقف وطبقته تدور في نطاق جبرية جرامشية جديدة، وتبدو من ثم أن مكانة الطبقة ووظيفتها في نمط الانتاج تحددان أوصاف المثقف، فالمثقفون لا يشكلون طبقة اجتماعية محددة بل ينتسبون لمختلف الطبقات والفئات الاجتماعية من الطبقة الارستقراطية إلي البرجوازية والفئات البينية الوسطي، حتي الطبقة العاملة فلكل طبقة مثقفوها المعبرون عنها سواء بالانتساب الاجتماعي المباشر أو الانتماء الفكري .

إذن المثقفون ليسوا طبقة بثقافتهم وليسوا فوق الطبقات، إنما يختلف انتسابهم كشرائح اجتماعية إلي هذه الطبقة أو تلك، بطبيعة موقعهم من نظام الانتاج الاجتماعي المحدد تاريخياً، ويري جرامشي في المثقف والسلطة تعبيراً عن كتلة تاريخية اجتماعية واحدة تدور داخلها صراعات حول الخيارات الفكرية، وتفاوت النظرة للأمور وهو ما يعبر عن نفسه في سعي المثقف إلي بناء سلطته الثقافية، فيما تعمل السلطة ومؤسساتها علي تكوين مثقفيها وثقافتها الخاصة، ويؤشر هذا التعريف إلي تعقد العلاقات بين الطرفين، ولكون المثقف الحقيقي يصدر من حيث المبدأ عن نظرة نقدية للأمور وفكر يمارسه من موقع الاستقلال هادفاً من خلاله إلي تغيير الواقع فيما تعمل السلطة علي تعزيز الوضع القائم وترسيخه ومنع التغيير فيه، بل وتكريس القيم السائدة والحفاظ علي منظومتها .

ومن هنا بدأت مفاهيم جرامشي تحتل حيزاً نسبياً في تفكير المثقفين العرب، بدءاً من السبعينات علي وجه التقريب، حينها كانت مرحلة قصيرة إلا إنها مشحونة بالوعود لإعادة النظر بالمسلمات ومن بينها الجنوح إلي الفردية والفوضوية،، وبدأ جرامشي بالدعوة إلي المجتمع والحزب، وبالفعل بدأت حركة راديكالية جدية، لكنها في الاتجاه المضاد كلياً لمضمون جرامشي في المثقف العضوي والمثقف الجماعي.

المبحث الرابع: تصنيف المثقفين عند جرامشي

إن أفكار جرامشي حول المثقفين تعُتبر المساهمة الوحيدة التي يعترف بها الجميع من اليمين إلي اليسار وبدون استثناء، إن الكفاءة التحليلية، التي وظفها المنظر الإيطالي في تحليل ميدان المثقفين وفي السجون الفاشية **لموسوليني**(*)، وفي الصفاء الذهني والنصاعة الفكرية التي نسق بها أفكاره، تجعله المفكر السوسيولوجي الوحيد للبنية السياسية، حيث ارتبطت إعادة التفكير عند جرامشي بجملة من القضايا النظرية والتطبيقية التي طرحها صراع الطبقات سياسياً وايديولوجياً.

ينقسم المثقفون عند جرامشي إلي نوعان (المثقف التقليدي والمثقف العضوي)

أولاً: المثقف التقليدي:

هل المثقف التقليدي هو ما يحتاجه المجتمع؟ هل المثقفون التقليديون يمثلون طبقة متصلة تاريخياً أم منفصلة؟ مثل هذه الأسئلة تجعلنا نحاول أن نعرف ونحدد طبيعة المثقف التقليدي وعلاقته بالمجتمع وإن كان جرامشي لا يضع تعاريف نهائية وواضحة لمفاهيمه وبشكل أخص لا يضع تعريف لمفهومي المثقف العضوي والتقليدي، حيث نجد جرامشي لا يضع تحديداً واضحاً ونهائياً لمعني أو مفهوم المثقف التقليدي وحدوده بيد إنه يعلق أهمية كبيرة علي التمييز بين المثقف العضوي والتقليدي، تبقي النقطة المركزية في المشكلة هي التمييز بين المثقفين بوصفهم زمرة عضوية في كل فئة اجتماعية، وبين المثقفين بوصفهم زمرة تقليدية وهو تمييز تتولد عنه سلسلة كاملة من المشكلات والانجازات النظرية الممكنة

لكن ما هي المعايير المحددة للمثقفين التقليديين؟ وما هي خصائصهم الاجتماعية؟

انطلاقا من عمليات تكوينهم ونشأتهم عبر التاريخ والطبقات الاجتماعية التي ولدوا فيها، وطبيعة الروابط التي شدتهم اليها، والازمات التي شهدتها الكتلة التاريخية لمجتمعهم

١ـ خصائص المثقفين التقليدين:

أـ الخاصية الأولي: هي إنهم كانوا مثقفين عضويين لطبقات اجتماعية سابقة،سادت في زمن معين وداخل نمط انتاج معين، فذهبت ريحها وأنجلت انظمتها وظلوا شاهدين علي مجدها وتراثها الثقافي والروحي واحتفظوا باستمراريتهم التاريخية

بـ الخاصية الثانية: تؤكد أن المثقفين التقليدين يرتبطون داخل المجتمع الراهن بطبقة زائلة أو في طريقها إلي الموت، رغم وجودها فهي لا تعتبر طبقة اجتماعية اساسية بل ثانوية، فهم ذلك الحطام الاجتماعي والثقافي الذي بقي من انفجارات تاريخية سابقة وماضية.

(*) **بينيتو موسوليني Mussolini**: (١٨٨٣- ١٩٤٥) حاكم ايطاليا وشغل عدة مناصب بها، وهو من مؤسسي الحركة الفاشية الايطالية وزعمائها، سمي بالدوتشي أي القائد من عام ١٩٣٠ حتي عام ١٩٤٣م.
(عصام عبد الفتاح: (موسوليني.. الطاغية العاشق بين حلم الامبراطورية والنهاية المأسوية)، الطبعة الأولي، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٣٦).

ج-أما الخاصية الثالثة: تُعني أن مجموع المثقفين ينتجون أيديولوجيا، تصورهم علي أنهم مستقلون وممثلون لعصور تاريخية خالده، لتراث روحي وثقافي وتعطيهم بذلك الوهم الأيديولوجي القائل بعدم ارتباطهم بأي طبقة عن طريق حجبها لأصولهم الاجتماعية

د- الخاصية الرابعة: يشير مفهوم المثقف التقليدي إلي موضوع منظور إليه من الزاوية التاريخية والاساس الذي يقوم عليه هو تحليل الميول التاريخية للطبقات الاجتماعية

ه- الخاصية الخامسة: يصور هؤلاء المثقفون انفسهم علي انهم مستقلون عن الطبقات الاجتماعية وممثلون لاستمرارية تاريخية وهذه الايديولوجية تحجب أصلهم الطبقي وتخفيه عن الانظار، تحجب ايضاً موقعهم الطبقي الذي يبقي مائلاً علي الدوام في نشاطاتهم الفكرية

من هنا نري أن طبقة المثقفين التقليديين مهمومة بأمجادها وماضيها ورجالها وطبقتها أكثر من اهتمامها بإعادة تشكيل تصورات العالم، إنهم ببساطة عبيد الطبقات الصاعدة والحاكمة.

إن المشكلة الأساسية التي يطرحها جرامشي هنا فيما يتعلق بمفهوم المثقف التقليدي هي استمراريتهم التاريخية رغم انقطاع ادوارهم وزوال اوضاعهم،فهناك علاقة بين المثقفين التقليدين وبين السلطة التي تحاول ضم هؤلاء أيديولوجياً، ومن الطبيعي أن يحدث ذلك لأن التركيبة الذهنية والطبقية تؤهل هذه الطبقة لأن تذوب مع السلطة، وإلا لماذا لم يجعل جرامشي المثقفين العضويين يقومون بهذا الدور؟ لأنهم مختلفون من حيث التركيب الذهني والوظيفي، إذن مشكلة المثقفين التقليديين تكمن في انحلال ذهنيتهم التاريخية، لكن يتم توظيف هذا الانحلال ايديولوجياً من خلال بقاء اتصالاتهم بالطبقات الاجتماعية حتي تقوم نفسها وتعيد استمرارها التاريخي.

هناك سؤال هام نود طرحه هل يمارس المثقف التقليدي الدور العضوي للطبقات الصاعدة التي يعمل علي مؤازرتها واستمرارها بعد تخليه عن استمرار طبقته تاريخياً؟

يصبح المثقف التقليدي عضوياً لطبقة اجتماعية صاعدة عن طريق تخليه عن أمجاد وأوهام طبقته الماضية أو عن طريق تنبيه لبرنامجها السياسي والفكري أو وفائه لانحداره منها وانطلاقه من رؤيتها للعالم ونضاله في سبيل تحررها من المصاعب والحواجز، التي تقف في طريق حصولها علي الوعي المنسجم، وتكوين شخصية خاصة بها، إن الأمر لا يقف عند الاستمرارية التاريخية

بل يتعداه بكثير، لأن هناك ما هو اخطر من ذلك هو أن هؤلاء (أي طبقة المثقفين التقليديين) بإمكانهم أن يكونوا دولة هم رؤسائها واسيادها بعد ما خرقوا الطبقة الحاكمة

يقول جرامشي " إن العديد من المثقفين التقليديين صاروا يفكرون إنهم هم انفسهم الدولة وهذا الاعتقاد كانت له بحكم كبر حجم تلك الزمرة نتائج هامة احياناً"

بعد هذا العرض يمكننا القول أن المثقف التقليدي إنه يعاني من اضطراب في الوعي، حيث يتصوروا انفسهم دائماً هم الطبقة الحاكمة والمسيطرة والمهيمنة ولا يليق بها أي دور آخر، فلا تتصور نفسها إنها ليست حاكمة أو لا تتمتع برضا الطبقة الحاكمة.

من السهل أن ندرك أن صحة مفهوم المثقف التقليدي واهميته يتجليان بأكبر قدر من الوضوح في فترات القطيعة الثورية، **يقول جرامشي** "إن ما يتم هو تأليف حقيقي بين القديم والجديد توازن مؤقت" .

هناك سؤال هام يطرح نفسه هل يعتبر المثقف العضوي هو نقيض للمثقف التقليدي؟ إذا كان المثقف التقليدي يحمل في داخله بذرة المثقف العضوي؟، فهل يعتبر المثقف العضوي يحمل في طياته بذرة المثقف التقليدي؟

ثانياً المثقف العضوي:

هل المثقف العضوي عند جرامشي يتجاوز وظائف المثقف التقليدي؟

لا يمكننا إعطاء إجابة واضحة ومحددة ودقيقة ما لم نوضح ونشرح ما المقصود بالمثقف العضوي، حتي نري مدي الاتصال أو الانفصال بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي.

يقول جرامشي "إن كل فئة اجتماعية تري النور في بادئ الأمر علي أرضية وظيفة اساسية في عالم الإنتاج الاقتصادي، تخلق عضوياً في نفس الوقت الذي تري فيه النور شريحة أو عدة شرائح من الموظفين الذين يزودونها بتجانسها وبوعي وظيفتها الخاصة لا في المجال الاقتصادي فحسب وإنما في المجال السياسي والاجتماعي" .

١ـ الاختلاف بين المثقف التقليدي والعضوي:

من خلال هذا النص نري أن هناك تباين واختلاف بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي لأن هناك وظائف لم نجدها في مفاهيم المثقف التقليدي، كالوعي النقدي، وانتشار وعي متجانس للطبقات السائدة إلي جانب وظيفة الاصلاح الاخلاقي والثقافي لوجدان الشعوب، هذا يُعني أن المثقف العضوي ليس متعالي عن الثقافة الشعبية عكس المثقف التقليدي، فالمثقف العضوي هو الذي تكون علاقته مع الطبقة الثورية ينبوع تفكير مشترك، فليس هو ذلك الفرداني المُحلق علي أجنحة الفكر الحر والذي يقيم علي علاقة سرية مع الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، فالعلاقة العضوية هي قبل كل شيء علاقة مُعترف بها، ومرادة سياسياً، من أجل الدفاع بطريقة جيدة عن التصور الجيد للعالم الذي تحمله الطبقة الثورية الصاعدة.

من هنا يتبين أن المثقف العضوي هو العدو اللدود للمثقف التقليدي، لأنه يكشف تملقه للطبقات الحاكمة، يكشف الزيف الذي ينشره **هل المثقف التقليدي يقف ضد هذه الفكرة؟ وهي إقامة مجتمع مدني؟**

بالطبع أكيد يقف ضد هذه الفكرة بسبب إنه ينطلق من سياق نسبه وعشيرته وطائفته وعلاقاته، ناهيك عن ظروف القرابة وعصبية الدم، كل هذه العوامل تقف عائقاً للحيلولة دون تأسيس فكرة المواطنة وبالتالي فكرة قيام مجتمع مدني.

المثقف التقليدي المزيف هو الذي يقدم خدماته المدفوعة الأجر لخصتي المثقفين الحقيقيين وذلك لإبطاء عجلة التاريخ أو تحريفها عن مسارها الصحيح، " إن الطابع العام للمثقف المعاصر هو المثقف المزيف والمثقف المزيف هو قبل كل شيء مثقف مُباع، ذلك لأن المنظومة الاجتماعية المتحجرة والمنظومة السياسية التي أخفتت صوت المثقف الحقيقي.

إن الغاية من كل ذلك هو أن نبين إلي أي حد ممكن أن تتحلي صور المثقف التقليدي وتتداخل وتتفاعل مع كثير من المؤسسات التي هدفها هو تسويغ وتمرير ايديولوجية الدولة القمعية، إنهم يمثلون حراساً وعيوناً لهذه الإيديولوجية، فتراهم يشغلون مناصب عسكرية وأمنية، لكنهم في الوقت نفسه يشغلون وظائف إدارية وأكاديمية وتعليمية مرموقة.

كل هذه الصور التي يتقمصها المثقفون التقليديون تكشف لنا الوظائف الحقيقية التي يضطلع بها هؤلاء، وتبين لنا إلي أي مدي أنهم مستعدون للتعاون حتي مع الجلاد لطالما ذلك يعزز من مواقعهم، لهذه الأسباب تراهم منشغلين بشئونهم وبعالمهم أكثر من انشغالهم بالآخرين لأن الآخر ملغي من حساباتهم.

إذا كانت هذه صور المثقف التقليدي، فما هي صور ومفاهيم المثقف العضوي؟

من أهم النقاط التي يعتبرها جرامشي مركز المثقف العضوي هي تحقيق التجانس في نظام تصورات المجتمع حيث أن جرامشي يعتبر هذه الوظيفة هي الفيصل بين المثقف التقليدي والعضوي

- عملية التجانس:

من هنا نري جرامشي يبدو مهموماً بمسألة إيجاد حالة من تجانس التصور والوعي، لأن ذلك يخلق ذهنية قابلة للتغيير والتحول الثوري وهنا تكمن وظيفة المثقف وهي تحقيق التجانس لتصور العالم، الذي يخص الطبقة التي يرتبط بها عضوياً إيجاباً بأن يجعل ذلك التصور يطابق الوظيفة الموضوعية لتلك الطبقة في وضع تاريخي، بأن يجعله مستقلاً بذاته مطهراً أياه من كل ما هو اجنبي عنه، إذن ليس المثقف انعكاس لطبقته الاجتماعية إنما يلعب دوراً ايجابياً في تحقيق مزيد من التجانس لتصور الطبقة، نري هنا إنه تتم لأول مرة ولادة مصطلح فرد أو إنسان، بعدما كان ممنوعاً اكتشاف ذلك في ظل هيمنة المثقف التقليدي، **يقول جرامشي** " أن يعرف المرء ذاته يعني أن يكون ذاته أي سيد ذاته، أن يكون عنصر نظام "، لكن لا يستطيع الوصول لذلك إذا كان لا يعرف الآخرين وتاريخهم، وتعاقب الجهود التي بذلوها كي يكونوا علي ما هم عليه وحتي يبدعوا الحضارة التي أبدعوها

يمارس المثقف عملية التجانس علي مستويين:

- "مستوي المعرفة ومستوي النشر" يطرح جرامشي ثلاثة مفاهيم هي المعرفة والنشر والايديولوجيا وهذه ثلاثتها تمثل بني فوقية عند جرامشي، تشكل فيما بعد أسس المجتمع المدني الذي يود نشر معرفته من أجل تحقيق الهيمنة، بطبيعة الحال عندما نقول بني فوقية هذا يُعني إنها مستقلة عن البنية التحتية، ولكن ما هو موقع المثقف العضوي إزاء هاتين البنيتين؟

الوظيفة الأساسية لكل مثقف عضوي داخل البنية الاجتماعية هي أن يربط بين البنية التحتية والفوقية، فهو وزملائه يقوم بخلق وتوزيع ونشر الايديولوجيا من جهة، وضمان انسجام وعي تلك الطبقة التي يرتبط بها عضوياً من جهة أخري وتجانس تصور العالم بتلك الطبقة .

لا نحتاج إلي عناء لنري اختلاف مشروع المثقف التقليدي اختلافاً جذرياً عن مشروع المثقف العضوي، حيث إننا لم نلمح من المثقف التقليدي هذه الرؤية النقدية للذهن السائد، الأمر الذي يجعل من المثقف العضوي أكثر تاريخية واندماجاً في المؤسسات ابتداءا من مؤسسة الدولة وانتهاء بالمؤسسة الخيالية والشعبية للمجتمع، فالمثقف عند جرامشي يتحدد انطلاقاً من ادائه لوظيفة اجتماعية فهو عضوي في علاقته المباشرة بالفئات الاجتماعية، التي تسيطر علي الاقتصاد وذلك من خلال ادائه لوظيفة اجتماعية سواء في الحقل الاقتصادي علي المستويين الاجتماعي والسياسي.

من ناحية اخري يوجد المثقف التقليدي وعلاقته بالفئة المسيطرة غير المباشرة، فعضويته تنتمي إلي طبقة أخري رحلت تاريخياً، بمعني أن المثقف العضوي مؤسسي، أما المثقف التقليدي علي علاقة غير مباشرة بالمؤسسات، من هنا لا يمكننا أن نتصور أن المثقف التقليدي والمثقف العضوي يحققان الإنجازات والتطورات نفسها في المجتمع وفي الوعي الشعبي أو ما يسمي الثقافة الشعبية، مثل هذا العمل لا يحققه علي مستوي الواقع إلا المثقف العضوي لأنه يحمل علي عاتقه مهمة الإصلاح الفكري والثقافي والشعبي.

هكذا نري التحولات الفكرية والسياسية والثقافية والايديولوجية التي يحققها المثقف العضوي بانفصاله عن وظائف المثقف التقليدي، والتي من أهمها علاقة المثقف بطبقته الاجتماعية، لكن هذا لا يعني إنه ليس للمثقف العضوي أية استقلالية علي الرغم من اندماجه في طبقته السائدة ولئن كان المثقفون مرتبطين عضوياً بالطبقات الاجتماعية، فإنهم يشكلون مع ذلك شرائح تتمتع باستقلال نسبي حيال الطبقات الاجتماعية.

ثالثاً: مثقفي الشمال ومثقفي الجنوب

السؤال الذي يطرح نفسه هو أن المجتمع يتكون من شرائح مختلفة من الفئات الاجتماعية، فهل تتفق هذه الشرائح في نظرتها الطبقية، بمعني أن لكل فئة ثقافة تميزها، فهل هناك تقارب بين ثقافة فئة معينة مع فئة آخري؟ صنف جرامشي هذا الاشكال من خلال تصنيف الثقافة والمثقفين تبعاًللجهة التي انحدروا عنها سواء كانوا منحدرين من الشمال أو الجنوب أو من الريف تبدو الكتابة الآن عند جرامشي قد تجاوزت مرحلة التنظير الأبستمولوجي، لأنها بدأت تتعامل مع المفاهيم الاكثر معاصرة لواقعنا، نجد جرامشي أنطلق من واقع ايطاليا الذي كان مقسماً إلي شمال وجنوب، إذا انتقلنا من التصنيف الأفقي بين المثقفين التقليديين والمثقفين العضويين الذي اعتمده جرامشي ضمن ارتباطهم بوضعهم في حركةالصراع الطبقي، نجد جرامشي نفسه ينتقل إلي دراسة واقع المثقف ضمن خصوصية الجغرافيا والأصول الطبقية والعلاقة بين الشمال والجنوب والمدينة والريف، التي يتمزق بها خصوصاً ايطاليا .

١ـ مثقفي الشمال:

المثقف المدني المنحدر من الشمال جاء من بيئة اجتماعية اقتصادية متطورة صناعية وبالتالي ترعرع في الصناعة وارتبط بمصائرها، واصبح يمثل نموذج المثقف العصري الذي يربط بين الجماهير العمالية والطبقة الرأسمالية، فالمثقف المدني مرتبط بعملية الانتاج الرأسمالي، حيث أن برجوازية المدن الكبرى تنتج المثقفين للصناعة الرأسمالية فلا يري في الدولة كياناً متعالياً ومحايداً، بل يراها كعلاقة فاعلة تبعاًلذلك يكون المثقفون المدنيون عضويين.

٢ـ مثقفي الجنوب:

فهم عادة ما يكونوا موظفي الدولة، واعضاء المهن الحرة باعتبارها حلم كل مثقف ريفي إيطالي حيث إنه يعمل لإخضاع الجماهير الفلاحية لسلطة الدولة، وفضلاً عن ذلك فإن المثقفين الريفيين الذين يضعون في صلبهم القسم الأعظم من رجال الدين تقليديون أي مرتبطون بالجماهير الاجتماعية الريفية والبرجوازية الصغيرة في المدن التي لم تتطور بعد إن كل طبقة تاريخية جديدة لابد لها من تعزيز مثقفيها العضويين الجدد الذين يقومون بدورهم بخلق ثقافة جديدة لها.

هنا نجد جرامشي يساوي بين تقليدية المثقف وريفية موقعه الذي يشغله، حيث أن جرامشي لا يفصل ذلك لأنه يعتقد بأن الريف يمثل مركز إنتاج المثقف التقليدي، **يقول جرامشي "** إن المثقفين من النمط الريفي هم إلي حد كبير تقليديون أي مرتبطون بالكتلة الاجتماعية الفلاحية والبرجوازية الصغيرة في المدن".

إذن من كل ما سبق هل نستنتج أن الشمال يُعتبر مصدر البرجوازية الصناعية للمثقفين العضويين، والريف الجنوبي مصدر المثقفين التقليديين؟

يربط جرامشي التمييز بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي بدراسة المشكلة التي يطرحها علي توحيد البلاد من الإنقسام بين الشمال والجنوب، فالجنوب هو منطقة زراعية أساساً ينتج مثقفين تقليديين، بينما نجد الشمال منطقة صناعية، من هنا نري جرامشي لا يحبذ الثنائيات، حيث نراه يستعمل هذين المصطلحين اجرائياًأي ليس هو الذي يعرضهما إنما الواقع الإيطالي الذي كان يعيشه.

يقول جرامشي في نص له يختصر مسألة مثقفوا الريف والمدن، يستعرض تاريخياً هذه المسألة حيث يقول في فصل عنوانه مثقفوا الريف ومثقفوا المدن (نشأ مثقفوا المدن مع نشوء الصناعة ونمو بنموها، وارتبط مصيرهم بمصيرها، فمثقفوا المدن بشكل عام فئة منمطة تتصل المرتبة العليا منهم بالقيادة العامة للقطاع الصناعي وتندمج بها، أما مثقفوا الريف فهم في معظمهم مثقفون تقليديون أي إنهم مرتبطون بالجماهير الفلاحية التي لم يؤثر فيها النظام الرأسمالي، يتولى هذا النمط من المثقفين الوساطة بين الجماهير من جهة والإدارة المحلية أو المركزية من جهة أخري، فيمارسون بالتالي وظيفة سياسية اجتماعية هامة، لأنه يصعب الفصل بين الوساطة المهنية والوساطة السياسية).

بالإضافة إلي ذلك يتمتع مثقف الريف بمستوي معيشة متوسط يعلو علي مستوي معيشة الفلاح أو يختل عنه علي الأقل، وبذلك يمثل هذا المثقف في نظر الفلاح نموذجاً اجتماعياً يتطلع إليه في سعيه للخروج من وضعه أو لتحسين حالته، يختلف الأمر عند مثقفي المدن فالفنيون في المصانع لا يمارسون أي وظيفة سياسية تجاه الجماهير العاملة أو أن المرحلة التي كانوا يمارسون فيها مثل هذه الوظيفة انقضت، غير أن محور المسألة يبقي التمايز بين المثقفين بوصفهم جماعة عضوية مرتبطة بطبقة اجتماعية أساسية، وبين المثقفين بوصفهم جماعة تقليدية قائمة بذاتها.

يتركنا جرامشي هنا بين ثقافتين، ثقافة الجنوب وترسباتها السلبية التي تنتج ثقافة تقليدية شعبية غير عضوية، وثقافة الشمال التي هي نخبوية عضوية فعالة مهيمنة، هذا هو الاشكال الحقيقي الذي يحاول جرامشي معالجته، وهو لماذا توجد ثقافة مسيطرة وثقافة خاضعه؟ ولماذا يوجد تفاوتات في المستويات الثقافية كما رأينا بين مثقفوا الشمال ومثقفوا الجنوب؟ ولماذا يتصف الجنوب بالجمود والتخلف علي عكس ما في الشمال؟ هذا الاشكال يطرحه جرامشي حتي يجد الحل المناسب له، لكن كيف يتم ذلك؟

يري جرامشي أن ذلك يتم من خلال الحزب والمجتمع المدني، إن الحزب السياسي بالنسبة لبعض الطبقات الاجتماعية ما هو إلا الوسيلة اتي تسمح لهذه الفئات بأن تكون لنفسها جماعة عضوية من المثقفين مباشرة في المجال السياسي والفلسفي، إلي جانب هذا أن الحزب يعتبر بالنسبة لجميع الفئات آلية تمارس في المجتمع المدني الوظيفة ذاتها التي تمارسها الدولة.

المبحث الخامس: الثقافة الشعبية في سياسة جرامشي

لا ينظر جرامشي إلي ثقافة البسطاء أو ذوي الحس الشعبي نظرة ازدراء أو تهميش، بل علي العكس، إنه يحاول أن يرتقي بهذه الثقافة، لأنها في نظره تكمن فيها كبري تناقضات الفكر.

نجد الماركسية لا تنوي ترك البسطاء في مستوي فلسفة الحكمة الشعبية(*) البدائية التي يدينون بها، إنما تطمح إلي قيادتهم نحو بلورة رؤية شاملة أرقي للعالم، وإذا كانت تؤكد ضرورة الاتصال بين المثقفين والبسطاء، فليس من اجل تكبيل النشاط العملي أو المحافظة علي الوحدة الفكرية وأخلاقية نوفر الفرصة السياسية لتقديم الجماهير فكرياً، إن عملية تكوين المثقفين عملية مُدبرة وشاقة تكثر فيها التناقضات والطفرات والبعثرة والانتظام التي لا تلبث أن ترهق الجماهير وتزعزع ولاءها.

هنا يكمن جوهر البراكسيس الجرامشي الذي يتجاوز منطق الثنائيات التقليدية لطالما هو حقق اكثر من قطيعه معه كالقطيعة بين المتعالي والحسي، والمطلق والنسبي والذاتي والموضوع إن جرامشي وعي وعياً جيداً للعبة الثنائيات التي تؤسس الخطاب السياسي لذا عمل علي تقويضها من خلال فكرة التاريخية والممارسة، وهذا ما نلمسه في موضوع المثقف وعلاقته بالثقافة السائدة (الحكمة الشعبية).

نري جرامشي لا يجعل أي تمايز أو تعالي للمثقف علي حساب أي ثقافة لأنه لا يؤمن بالمثقف اللا تاريخي الذي يفكر خارج أسوار البسطاء، إنه يؤمن بالمثقف الذي يتحرك بصورة عرضانية مع المجتمع لا بصورة طولانية، لأن النظام الطولاني يكرس لفكرة الهرمية التي تبدأ من الأعلى وتنتهي بالأدنى، هذا يتناقض مع فكرة البراكسيس التي تتنافي مع الهرمية إن المجتمع والناس عند جرامشي كلهم مثقفون ليس لأحد أفضلية أو امتياز، لكن ليس كلهم يمارسون دور المثقفين

إذن ليست الماركسية هنا إلا المنهج الذي يساعد المثقف في تأسيس خطاب نقدي يستوعب ثقافته ويعمل علي إعادة النظر بأصل هذه الثقافة الشعبية والبحث في الصالح منها وغير الصالح، هذا أهم ما يطلبه جرامشي من الماركسية، حتي لا تتحول إلي مجرد شعارات مذهبية، ونسق كلي شمولي لا يؤمن بفاعلية أي نقد اجتماعي، وإذا ما أراد المثقف أن يقوم بدوره الحقيقي في المجتمع عليه أن يبدأ أولاً من نقد أساسيات الذهن وهي الحكمة الشعبية.

أولاً: الدين والحكمة الشعبية

يؤكد جرامشي علي العلاقة المتبادلة بين الدين والحكمة الشعبية، حيث يتحول الدين إلي حكايات وحكم شعبية، وتتحول الحكم إلي أديان مقدسة وتتحكم بالجماهير وتوجههم كيفما أرادت يري جرامشي أن

(*) **الثقافة الشعبية:** هي شكل من اشكال التعبيرية المنطوقة، التي تخنزنها الذاكرة، فهي جزء من الثقافة الإنسانية ككل، يتم حفظها بشكل شعوري أو غير شعوري، وتتجسد فيه العادات والتقاليد والممارسات الحياتية،، تشمل هذه الثقافة الموروث السردي والحكم والامثال الشعبية

الحكمة الشعبية هي لاهوت بدون إله، لأن لها صفة القداسة والإطلاق والتعالي وهذه الحكمة تتحول إلي عقائد صلبة، والعقائد ثورة مؤجلة، وهذا ما يؤكد عليه جرامشي في رؤيته لمنطق الحكمة والثقافة الشعبية **السؤال الذي يطرحه جرامشي هو كيف نجعل من هذه الثقافة ثقافة تاريخية؟ وكيف يحدد جرامشي هذه الثقافة؟ وما علاقتها بثقافة الحس العام، التي كانت أكثر الاشياء قسمة بين فئات المجتمع المختلفة؟**

يمكننا أن نقول أن جرامشي يعتبر ثقافة الحس العام هي مركز الثقافة الشعبية لأن المجتمع الإنساني يتحرك من خلال هذا الحس اليومي الذي يمكنه التفاهم والاتصال ومعرفة العالم، وإن كان مبعثراً و مفككاً.

والسؤال هو **هل نظرة المثقفين تختلف عن نظرة هؤلاء البسطاء والمتماهين بخطاب الثقافة الشعبية؟ وهل أن طريقة رؤية المثقفين للأشياء تختلف عن طريقة رؤية الثقافة الشعبية؟** نجد جرامشي دأب علي تجاوز منطق الثنائيات، كما كان سائد في النظريات المعرفية فلم يعد هناك وعي مركزي ووعي ثانوي أو وعي عقلاني ووعي حسي

ثانياً: الاحساس والفهم والمعرفة

العنصر الشعبي يحس لكنه لا يعرف أو لا يفهم علي الدوام والعنصر الفكري " المثقف " يعرف لكنه لا يحس علي الدوام) يكمن خطأ المثقف في اعتقاده بأنه يستطيع أن يعرف دون أن يفهم وعلي الأخص دون أن يحس،أو تثور حماسته إلا للمعرفة في ذاتها، بل لموضوع المعرفة أي في الاعتقاد بأن المثقف يمكن أن يكون مثقفاً حقيقياً لا مدعياً فحسب، إذا كان منفصلاً عن الشعب ولا يحس بأهواء الشعب فلا يفهمها ولا يبررها، وبدون هذا الربط بين المثقفين والشعب والأمة لا تقوم قائمة للسياسة والتاريخ.

ومن ثم نري أن جرامشي طهر فكره الفلسفي من كل ما هو خارج التاريخ أو السياسة حتي في ايمانه عن علاقة المثقف بالمثقف وكذلك علاقته بالشعب، وقد رأينا كيف انتقد استقلال المثقفين المتقوقعين علي مركزيتهم وانفصالهم عن هموم طبقتهم التي قد تكون في حاجة ماسة لها،لأن جرامشي، يدعوا إلي فلسفة تاريخية حتي يقوض كل ما هو متعالي وميتافيزيقي.

يحّمل جرامشي المثقفون المسئولية الكاملة علي تخلف ذهنية الجماهير وعدم شعورها بالقدرة علي التغيير، إذا ما اهملوا علاقاتهم التاريخية الحقيقية مع هؤلاء البسطاء، بشكل أكثر دقة يجب أن تكون هذه العلاقات تتسم بالصدق والاخلاص والدقة في وصف ما تعانيه هذه الطبقات من تعثر معرفي.

تعقيب:

١- يهدف جرامشي إلي إنشاء طبقة من المثقفين داخل المجتمع يكون هدفها الأساسي زعزعة الفكر السائد المتحجر والشعارات الزائفة داخل المجتمع ويسعي لتجديدها.

٢- يفرق جرامشي بين أنواع من المثقفين فمنهم المثقف الإنتلجنسي أو مثقف السلطة، الذي يكثر ظهوره في الفضائيات ويتباهي بكثرة مقالاته ومؤلفاته، وكثرة جوائزه، وبين المثقف الحارث الذي يشبه - كلب الحراسة– الذي يحرس طائفة معينة أو إيديولوجية ليدافع عنها من خلال ثقافته، وهناك المثقف العضوي الذي هو غير منتمي لأي طائفة وليس حارساً لأي ايديولوجية وليس مدفوعاً بمصلحة، ولا يملك أعلي الشهادات العلمية.

٣- يرفض جرامشي الفكر المتعالي مثل الفيلسوف الذي يفكر في أشياء متعالية بعيدة عن خدمة أهداف مجتمعه، فالمثقف عند جرامشي لا يعادي طوائف مجتمعه ولا يسخر منها ولا يتعالى عليها، لأن هدفه في النهاية محاولة صنع ارتقاء ثقافي.

٤- يري جرامشي أن المثقف الحقيقي هو نتاج مجتمعه، فكلما كان المجتمع ملئ بالمشاكل والتناقضات والصراعات يكون المجتمع في هذه الحالة في حاجة ماسة للمثقف، الذي سيتفاعل في مجتمعه بهدف تغيير الوضع السيء الذي يعيش فيه المجتمع كل.

٥- المثقف عند جرامشي يعمل علي تأسيس الخطاب داخل المجتمع، بحي يفرق بين خطاب الايديولوجيا وبين خطاب الثقافة الشعبية وبين الخطاب الفولكولوري التي تُسير المجتمع بطريقة خيالية، أكثر منها حقيقية، وبعدما يشتغل المثقف في تللك المناطق المتعددة من المفاهيم، فإنه لا يعمد إلي هدمها دفعة واحدة باعتبارها لا عقلانية، بل بإعتبارها التصورات الفلسفية البسيطة للناس.

٦- إن جرامشي يري بأن كل الناس فلاسفة ومثقفين، ولكن قلة قليلة منهم هي التي تهتم بالعمل الفكري بينما الغالبية العظمي تفضل الركون والعطالة الفكرية، فهو يريد التأكيد علي عدم التفرقة والتمييز بين الناس فكرياً.

٧- أخيراً يصل جرامشي إلي أن المثقف عندما يتخلي عن قضايا مجتمعه وينشغل بالممارسة الحياتية فإن عند هذه اللحظة يموت المثقف.

الفصل الرابع
من المثقف إلي العقل السياسي

ويشتمل هذا الفصل على أهم المباحث الآتية:

- تمهيد

المبحث الأول: مفهوم الحزب عند جرامشي

أولاً: تعريف الحزب عند جرامشي

ثانياً: وظائف الحزب عند جرامشي

المبحث الثاني: جرامشي والأمير الحديث

أولاً: الاتفاق والاختلاف بين الحزب والأمير عند جرامشي

ثانياً: مفهوم الأمير بين ميكافيللي وجرامشي

المبحث الثالث: مفهوم الهيمنة عند جرامشي

أولاً: تعريف جرامشي للهيمنة

ثانياً: الهيمنة الثقافية

ثالثاً: عولمة الثقافة

رابعاً: القضاء علي هيمنة الأمم والتقاليد

المبحث الرابع: النظرية والممارسة في ماركسية جرامشي

المبحث الخامس: أنطونيو جرامشي والتعليم من منظور ثوري

المبحث السادس: فلاحو جرامشي

المبحث السابع: فلسفة الحس العام

- تعقيب:

تمهيد:

فيما يتعلق بنقد الخطابات التي شكلت المرجعية الاساسية لفكر جرامشي التاريخي منه والسياسي وصولاً للثقافي، إنطلاقاً من الثالوث الذي لم يجب عنه جرامشي واعني جدلية السياسي والفلسفي والتاريخي، لكن لم يكن جرامشي يعني أن الفلسفة والسياسة والتاريخ تتحرك بمنظومة مفاهيم موحدة، قدر ما كان ينظر إلي هذه المعارف بوصفها تبحث بإشكالية واحدة هي إشكالية الواقع وتناقضاته وصراعاته،هذا يُعني ان هذه المعارف إذا ما أردت أن تكون معارف عليها، أن تكون إشكالية أي تبحث في منطق الأزمات الهيكلية التي تعيق المجتمع وتمنعه عن التغير الثوري، هذا ما جعل جرامشي يعيد النظر بمفاهيم تحولت إلي أقانيم مقدسة لا يأتيها الباطل من امامها ولا من خلفها، كمفهوم الحزب، والهيمنة السياسية، والدولة، والمجتمع المدني، وغيرها.

هذه المفاهيم لم يأخذها جرامشي كما هي بمحمولاتها الايديولوجية والمسيسة من قبل الاحزاب الماركسية التي كانت سائدة آنذاك وكما مر بنا سابقاً، فهل فعل جرامشي الشيء نفسه في نقد العقل السياسي الذي يحتوي علي فكرة الحزب والأمير والهيمنة؟ وهل يعتبر الحزب والمجتمع المدني الوسيط الابستمولوجي والاقتصادي والسياسي للاتصال بالجماهير من جهة وبالمثقفين من جهة آخري؟

هذا سيكون موضوع بحثنا في الفصل الرابع

المبحث الأول: مفهوم الحزب عند جرامشي

عندما تتردد كلمة حزب يتبادر إلي الأذهان علي الفور صور التسلط والقمع والاضطهاد وهذه لطالما حفظت في أذهاننا وذاكرتنا الجمعية وتحولت إلي مخيال سلطوي في لا شعورنا جراء الممارسات اللاإنسانية واللاقانونية التي رسخت الانظمة العربية المتسلطة، **فأي حزب يعنيه جرامشي؟ هل هو حزب الشعارات البراقة الذي لا يدوم إلا بوقود الدماء؟**

أم هو حزب الولاء الأعمى للقائد المطلق (ستالين وهتلر وموسوليني)؟

أم هو هو حزب الاجتماعات الليلية التي تقمع المجتمع في مقابل الحفاظ عليه؟

أولاً: تعريف الحزب عند جرامشي

نجد جرامشي لم يعتبر الحزب منظمة سياسية منغلقة علي نفسها، ولا يعتبره كياناً مُستقلاً عن المجتمع أو عن المثقفين، وهذا ما يجعل جرامشي ينفرد برؤيته للحزب، حيث إنه لا يؤسس أي قطيعة بين المثقف والحزب يكاد يجعل من دور الحزب مقارباً من دور المفكر العضوي.

يقول بيوتي " ما هو تنظيم المثقفين المرتبط أشد الأرتباط عضوياً بطبقة اجتماعية؟ وما هو تنظيم المثقفين الأكثر قدرة علي إعطاء طبقة اجتماعية ما وعي بمكانها ووظيفتها في مجتمع ما؟ ما هو التنظيم الأعظم فاعلية في تحول العلاقات الثقافية القائمة، ما هو التنظيم الأصلح لضمان هيمنة طبقة اجتماعية علي اخري؟ الجواب يفرض نفسه: **إنه الحزب "** فالحزب هو الجهاز الثقافي الأمثل، الذي يجسد عينياً معني مفهوم المثقف، فالحزب هو المثقف الجماعي، إن الحزب يطابق علي احسن وجه مفهوم المثقف، إلي درجة قد تحسب معها أن جرامشي حدد هذا الأخير نسبة إلي الحزب، ومن ثم فإن دراسة الحزب ستكون خير وسيلة لاستيعاب المثقف.

ليس من شك أن جرامشي دأب علي إعطاء أهمية كبيرة لقضية الحزب السياسي، ليس فيما يتعلق بحزب الطبقة العاملة فقط، إنما للأحزاب في حياة الدول الرأسمالية الغربية، لأنه يعتبر الحزب أداة للتثقيف والتحضر، حيث يقول " وفي الأحزاب أصبحت الضرورة حرية، هذا هو منطلق القيمة السياسية الكبرى للانضباط الحزبي الداخلي، ومن وجهة النظر هذه يمكن اعتبار الأحزاب كمدارس للدولة، من هذا المنظور فإن علي الأحزاب أن تمثل للحكم القانوني الراهن الذي ينظم علاقاته بالدولة،أما فيما يتعلق بمقولة وفي الأحزاب أصبحت الحرية ضرورة، فإن المقصود بها إنه بواسطة الانضباط الحزبي الذي يُعد ليس بالتأكيد قبولاً سلبياً، وليس تنفيذاً ألياً للمهمات، ولكن فهماً واعياً وواضحاً للأهداف التي يجب تنفيذها، والانضباط بهذا المعني لا ينفي الشخصية الفردية بل يحد من الاندفاعات المرتبطة بالرغبات غير المسئولة، أي من خلال هذا الدور الانضباطي للحزب تستطيع الطبقة التابعة أي الطبقة الموجهة قبل الاستيلاء الفعلي علي السلطة أن تحقق اهدافها.

تحقيق الملحمة الفكرية والثقافية الجديدة داخل الكتلة الثورية الجديدة فالحزب الثوري في علاقته العضوية مع المثقفين والجماهير، ويصبح العامل العال ليس لوعي الطبقي فقط إنما ايضاً التصور الجديد للعالم والحياة أي لحضارة جديدة في كل مجالات الحياة.

ثم أن الجماهير الشعبية عامة والطبقة العاملة خاصة، تصبح في لحظة معينة من تاريخها وتطورها واعية تفتقد في لحظة معينة من تاريخها لعنصر مكون ضروري كي تمثل صراعاً رفيعاً في ركة الصراع الطبقي، وهنا يجب عليها تنظيم نفسها في حزب ثوري.

ثانياً: وظائف الحزب عند جرامشي:

نري أن جرامشي جعل من الحزب مُنظماً لوظائف الدولة الداخلية من اجل تنظيم العمل ومن خلال علاقتها بالمجتمع وبالأفراد، كما أن الحزب "المثقف الجمعي والمثقف العضوي" لا يتمكنان من تملك نظريتهما الثورية إلا عبر إنتهاج سياسة ثورية قوامها تأمين العلاقة بين النظرية والممارسة، لا في النظرية فقط، إنما في الممارسة ايضاً، هذا يتطلب إقامة العلاقة العضوية بين المثقفين العضويين والجماهير الشعبية بنفس قوة علاقة الوحدة المطلوب تحقيقها بين النظرية والممارسة، لكن هذه الوحدة تصبح مشروطة بالدور الذي يلعبه المثقفون العضويين وبقدرتهم علي أن يجعلوا أنفسهم مفكرين عضويين لتلك الجماهير الشعبية.

نري هنا أن جرامشي قريب جداً إلي ماركس في مفهومه لعمل الحزب ودوره الاجتماعي، والثقافي لا سيما للطبقات الشعبية، التي تفكر من خلال ثقافة الحس العام، إن الحزب لا يشكل مجرد أداة فعل بين يدي ذات تاريخية موجودة سلفاً، ولها أهدافها وطابعها المحدد بدقة بل هو يمثل التوسط الذي تبني هذه الذات نفسها عبره محددة أهدافها الخاصة وهدفها التاريخي، كما إنه لا يمكن التوصل إلي هذا الهدف ضمن أُطر مجردة، بل علي العكس إن الهدف نفسه نتاج وعي التطور للطبقة التي تتشكل خلال الممارسة، بهذه الطريقة تصبح العلاقة بين الطبقة والحزب جدلية كليا.

في الواقع لا يمكن للحزب أن ينهض نهضة اجتماعية وثقافية، مالم يصف حسابه مع الوعي العفوي، هذه العفوية التي تشتت وتبعثر الذهن والفكر، الأمر الذي يجعله فريسة لكل ما هو فضوي ولا عقلاني، هذا جعل ما جعل جرامشي يتقارب مع لينن ، في نقده للعفوية في الخطاب السياسي يقول **منير شفيق "** كان جرامشي من القادة الشيوعيين القلائل الذين فهموا لينن بأصالة لا كصيغ وشعارات،أو بمعني أصح كان من القلائل الذين فهموا لينن،لذا جاءت أفكار جرامشي حول الحزب وقضية الوعي والعفوية إغناء للينية.

لقد انطلق جرامشي من النظرة اللينية حول الحزب والوعي بوصفه شرطاً لحدوث القفزة النوعية، إن الإنسان ينتمي دائماً إلي فئة أو طبقة أو مجموعة من البشر وتتكون شخصيته بطريقة غريبة، إنها

تحوي عناصر من رجل الكهف وعناصر من كل التكوينات التاريخية السابقة، إلي جانب عناصر من التكوين الاجتماعي القائم وتطلع إلي المستقبل

من هنا ينطلق جرامشي من ضرورة نشوء الأحزاب من أجل نشر الوعي المحدد، والعمل المنسجم، وتوحيد كل من يقبل بهذا الوعي أو نشره، وإعطاء الانسجام والوحدة لمختلف النشاطات الإنسانية، لكن هذه الأحزاب قد تعمد لعملية توحيد الطبقات وتهبط بالمثقف لمستوي الجميع، أما الماركسية فهي علي عكس تلك الحركات التي تولدت في عصور العبودية والإقطاعية،إذ أن الماركسية تعمد علي تحرير المجتمع من الانقسام الطبقي، لهذا تحاول توحيد المثقفين والعمال من أجل رفع مستوي وعي الطبقة العاملة والجماهير لتساعدهم علي العمل باستقلال وتمكنهم من امتلاك السلطة السياسية وبناء المجتمع، إن المثقفين في نظر جرامشي لا ينيرون طريق الثورة بالعلم فحسب، إنما يلعبون دوراً وسيطاً بين واقعين تاريخين كل منهما يؤثر علي الآخر، واقع عفوية العمال وواقع الثقافة بمعناها الواسع، لذا علي الحزب أن يكرس قيادته في كل المجالات، ويعبر عن نفي ما هو قائم بما في ذلك نفي الطبقة لذاتها، لذلك آراد جرامشي للحزب ألا يصبح بيروقراطياً حاكماً إنما يمثل باستمرار نقد الواقع القائم.

هكذا نري أن جرامشي تعامل مع الواقع كما هو بسلبياته وشعبيته وعفويته ووصل إلي نتيجة هامة وهي أن الجماهير لا تترك وحدها لأنها ليست لديها القدرة علي أن تنظم نفسها، ولو كان لديها القدرة علي ذلك لما كانت طبقة شعبية، هنا يضع جرامشي ثالوثاً جديداً لقيادة الواقع قيادة براكسيسية، يتكون هذا الثالوث من المثقفين والحزب والأمير.

المبحث الثاني: جرامشي والأمير الحديث

أولاً: الاتفاق والاختلاف بين الحزب والأمير عند جرامشي

عندما نقرأ مفهوم الأمير عند جرامشي نجد تقاربه الشديد مع مفهوم الحزب لديه، حيث أن الحزب والأمير يكادان يحققان هدفاً واحداً، وهو خلق وعي جديد متحرراً من التسلط ويمارس التفكير بطريقة نقدية، إلا أن الأمير يختلف عن الحزب من حيث أن طبيعة الأمير استراتيجية أكثر منها تملكية، بمعني إذا كان في الحزب تنظيم قيادي وثوري من قبل جماعة تتحرك في فضائه، فإننا لا نري في الأمير مثل هذا الشيء لأنه ممارسة واستراتيجية ينأي بعيداً عن التملك، **يقول جرامشي عن الأمير"** بإمكان الأمير أن يكون شخصاً حقيقياً فرداً عينياً" .

ثانياً: الأمير بين ميكافيلي وجرامشي

إن الخاصية الأساسية للأمير في سياسة ميكافيللي هي إنه ليس معالجة منهجية لموضوعه بل هو كتاب حي تتلاحم فيه الايديولوجيا السياسية وعلم السياسة تلاحماً دراماتيكياً علي شكل اسطورة فعلي عكس الاشكال التي كانت سائدة في الكتابات السياسية السابقة لميكافيللي، فبالإمكان دراسة أمير ميكافيللي علي إنه نموذج تاريخي للأسطورة السوريالية أي نموذج لعقيدة سياسية معروضة لا كمذهب عقلاني بحت، بل كابتكار لخيال حسي يؤثر علي شعب مسحوق ومشتت لتحريكه وتنظيم إرادته الجمعية، يكمن الطابع الطوباوي للأمير الميكافيللي في أن الأمير لا يوجد تاريخياً ولم يعرض نفسه علي الشعب الإيطالي بطريقة موضوعية مباشرة،إنما كان تجريداً مذهبياً صرفاً، إلا أن هذه العناصر الأسطورية والعاطفية التي يعرضها ميكافيللي تُستعاد وتحيا بعرضه علي ما ينبغي أن يكون عليه الأمير حتي يتمكن من قيادة الشعب، لتأسيس دولة جديدة وهو يفعل ذلك بمنطق صارم دقيق .

١ـ صفات الأمير عند ميكافيللي:

لا تزال صفات الأمير المثالي كما يراها ميكافيللي تذكر في كل النصوص التي تُعني بالقيادة:

- القيادة في فن الحرب.. من أجل بقاء الدولة.
- القدرة علي إدراك أن القوة والعنف قد يكونان جوهريان للحفاظ علي الاستقرار والسلطة.
- الحصافة.
- الحكمة في التماس المشورة فقط عند الضرورة.
- القدرة علي أن يكون متصنعاً وكتوماً وكالأسد في قوته وكالثعلب في مكره وكالقنطور في التوفيق بين قوة الحيوانات وعقل البشر
- وقبل كل شيء علي الأمير المثالي أن يوجد الدولة ويحافظ عليها .

إن ميكافيللي لم يكن يبحث عن ديكتاتور إنما كان يبحث عن الوحدة التي تجمع الأقطاب الأربعة المتناحرة (روما – البندقية – ميلانو – فلورنسا)، ولهذا فالمطلب الأهم لميكافيللي هو أن تحمل الدولة

عنصر تقدمها في ثنايا استقرارها وأن تتجدد باستمرار من خلال آليات داخلية وإلا فإن الدولة ستنهار، لقد نظر ميكافيللي للطبيعة البشرية كما هي بالفعل، وكما تتجلي في التاريخ الفعلي، وليس كما ينبغي أن تكون كما فعل فلاسفة السياسة، فقام بإتباع منهج جديد مختلف عن مناهج من سبقوه فعلي الرغم من دراسته للمنطق والفلسفة إلا أنه اهمل مبادئها اهمالاً تاماً، وركز علي التاريخ، فكانت خلاصة فكرته أن أفعال البشر تؤدي إلي نفس النتائج دوماً.

يقول ميكافيللي في كتابه الأمير " هناك بُعد شاسع بين ما يعيشه المرء وما ينبغي أن يعيشه " يمكن أن نستشف من هذا النص في التأكيد علي التباعد بين الواقع المعيش واليوتوبيا، لقد كان ميكافيللي علي وعي بوجوب تغيير نمط قراءة الفعل السياسي، فبدل القراءة اليوتوبية، التي تنظر إليه من منظور ما يجب أن يكون عليه، حاول فيلسوف فلورنسا التنظير لطريقة مغايرة تقرأ الواقعة السياسية في مستواها الفعلي، مما جعله أول مؤسس لعلم السياسة الحديث.

٢ـ صفات الأمير عند جرامشي:

هل يُعتبر الأمير البيان التأسيسي لكل حزب ممكن؟ هل يُعد الأمير سياسة الحزب؟ أم هو النظام الخفي الذي يسير نظام الأحزاب؟ يبدو أن جرامشي كان ينوي أن يطور أو يحدث فكرة الحزب، بمعني أن يخرجه من إطاره التقليدي.

ـ فجعل من الأمير الحديث مبشراً بخطاب جديد يتفاعل مع الحزب من أجل تأسيس مشروع الإصلاح الجماهيري بفاعلية أكثر وحداثة أكبر

ـ لقد جعل جرامشي الأمير حزباً آخر يختلف عن فكرة سياسة الأحزاب التي لا هم لها إلا السلطة الكيانية، **يقول جرامشي "** لقد قلت بعدم إمكانية أن يكون الأمير الحديث في العصور الحاضرة بطلاً فرداً، إنه حزب سياسي ذلك الحزب الذي يهدف إلي تأسيس نوع من الدولة الجديدة ".

ـ إذن ينظر جرامشي إلي الأمير بوصفه ممارسة ضد التحجر الحزبي، الذي لطالما انتقده جرامشي بكافة صوره وممارساته الطقوسية التي تقدس الشخصية، من يعدو الأمير دليل عمل الحزب والمثقف والبراكسيس، حيث تجتمع هذه مع بعضها لتشكيل ثقافة نقدية تتجاوز القديم الذي يحتضر وتتعجل بولادة الجديد الذي يُنتظر، **يقول جرامشي "** أن الأمير الحديث يُعيد قراءة الماركسية العالية ويعيد صياغة الحس العام ويطرح برنامج عمل، إن الوظيفة الاساسية للأمير هي تحقيق الوحدة الجدلية بين النظرية والسياسة، فيجب علي الأمير الحديث أن يكون عامل إصلاح ثقافي وأخلاقي، إذ أن الاصلاح هو أرضية تحقيق تطور لاحق للإرادة الجماعية.

فهل يمكننا أن نقول بعد كل ذلك أن الحزب هو الحركة التاريخية، والأمير هو مادتها؟ بحيث لا يمكننا أن نتحدث عن فكرة الحزب بدون فكرة الأمير والعكس صحيح،عندما يكون الحزب واقعياً فإنه يكون معقولاً من خلال الأمير لذلك جعل منه جرامشي ضرورة تاريخية.، لكن السؤال الذي يطرح نفسه

ماذا يعنينا الأمير والحزب في مرحلتنا الراهنة؟ هل احزابنا حققت التلاحم العضوي بين الثقافة الشعبية والمثقف والحزب؟ أم أن كل واحد من هؤلاء يقف علي طرفي نقيض، هل تعيش الاحزاب السياسية أزمة عضوية أي أزمة الطبقة المسيطرة كما يقول جرامشي؟

يبدو أن جرامشي كان دقيقاً جداً في عباراته عندما قال أن الأحزاب معلقة في الفضاء، هذا ما نلاحظه اليوم في مراحلنا الانتقالية لبلادنا، حيث لم نر أي حزب استطاع أن يحقق كسب للمجتمع بشرائحه المختلفة، باستثناء الاحزاب الدينية التي حصلت علي كسب كبير من الشعب لأنها قريبة من المجتمع، لأن المجتمع ينجذب لكل ما هو ديني ومذهبي وطائفي وعاطفي، لأن المجتمع لا يجمهره إلا الدين بطريقته الطقوسية الساذجة الذي يسميه جرامشي التدين الشعبي الذي يميز بينه وبين الدين الرسمي أو النخبوي الذي يمتاز بالاعتدال والعقلنة وبُعد النظر، هذه الأحزاب بقيت بعيدة جداً عن هموم الحياة اليومية لأنها لا تفكر إلا بمراكزها ورجالاتها وهذا ما جعلها تتحجر في قلوب المجتمع الذي انهكته فكرة الأحزاب الفضفاضة.

في فقرة بعنوان الحزب أو المثقف الجمعي يقول جرامشي " يجب إبراز ما للأحزاب السياسية من أهمية في العالم الحديث من جهة اعدادها واذاعتها لتصورات العالم الجديدة أي من جهة اعدادها لفلسفة اخلاقية وسياسية موافقة لهذه التصورات، فالأحزاب تصطفي الجمهور الفاعل فرداً فرداً ويجري الاصطفاء في المجال العملي أو النظري، وكلما كان التصور المجدد أكثر حيوية واكثر مناقضة لا نماط الفكر القديمة كانت الصلة بين العمل والنظر أكثر وثوقاً.

المبحث الثالثً: مفهوم الهيمنة عند جرامشي

بعدما تكلمنا عن مفهوم الحزب وعلاقته بمفهوم الأمير الحديث، رأينا إنه من الضروري ومن المنطقي، إذا ما آراد الحزب أن ينشر افكاره ويعممها من خلال الأمير الذي يعُتبر المثقف الجمعي، فمن الضروري أن تتوفر هنا فكرة **الهيمنة**(*)، أي هيمنة هذا الخطاب المراد انتشاره بين صفوف الثقافة الشعبية والعاملة من جهة وضد الطبقات المسيطرة أو التي تحاول أن تُسيطر بشكل مستمر، حيث جعل جرامشي من الهيمنة العنصر الاساسي والضروري لأي خطاب سياسي يحاول النهوض بالمجتمع، ولقد رأينا أن جرامشي يحاول دائماً الخروج عن المفاهيم المسيسة، الأمر الذي جعله لا يؤسس لأي مفهوم لا يحدث معه قطع ابستمولوجي، حيث يتجاوز صوره التقليدية، هذا ما جعل جرامشي مفكراً محدثاًفي كافة مفاهيمه وخطابه الفلسفي.

أولاً: تعريف الهيمنة عند جرامشي

نجد الهيمنة بمعناها الشائع في العصر الحديث في الفكر الجرامشوي تُستخدم بمعناها القيادي، ولقد مرت فترة حتي استقر هذا المعني في أذهان قيادات الحركات السياسية في كثير من بلدان العالم، كان جرامشي قد صاغ هذا المصطلح بهذا المعني الجديد قبل أن يلقي القبض عليه في أواخر العشرينات ويزج به في سجنه طويل الأمد، فالهيمنة التي يعنيها هي القوة وقد كان جرامشي في دعوته إلي مولد الهيمنة الجديدة، في قيادة العمال الفلاحين يهدف إلي تصفية الذهنية، التي سادت أوروبا واجزاء شاسعة من العالم، بعد الحرب العالمية الأولي، تلك الذهنية التي نشأت في أجواء أزمة الفترة العصيبة والكساد العظيم، والتي قادت فيما بعد إلي اندلاع جحيم الحرب العالمية الثانية.

هكذا نري أن جرامشي استطاع الخروج عن المعني التقليدي للهيمنة من خلال القطع الابستمولوجي مع المفاهيم القديمة التي كانت سائدة في عصره التي تعني السيطرة والقوة، لقد خرج مصطلح الهيمنة علي يد جرامشي عن ذلك المعني التقليدي الذي يستخدمه المحافظون ويعنون به سطوة البرجوازية وتسلطها واستغلالها، وكذلك المعني القديم كسطوة بلد علي بلد آخر والاستغلال القائم علي أساليب الابتزاز الاستهلاكي.

من هنا نري أن مفهوم الهيمنة عند جرامشي يتداخل مع كثير من مفاهيم العقل السياسي، كالحزب والأمير الحديث، والمجتمع السياسي إلي جانب الديمقراطية، والليبرالية في الخطاب السياسي، هذا ما اكده كارلوس نيلسون كوتنهو في دراسته الهامة بأسم "الإرادة العامة والديمقراطية عند روسو وهيجل

(*) الهيمنة **Hegemony**: هي نوع غير مباشر من الحكومة ذات السيادة الامبراطورية حيث تمارس الدولة المسيطرة القيادة علي الدول المسيطر عليها، يري جرامشي أن القوي الكبرى تحمي مصالحها عن طريق السعي نحو الهيمنة وليس السعي نحو السلطة بمفهومها المباشر، إذ يري أن المناصب والمسميات الحكومية ليست نهاية طريق الهيمنة

وجرامشي " (إن مفهوم جرامشي عن الهيمنة يمثل مساهمة جوهرية في فكرة الديمقراطية وخصوصاً في فكرة احداث عملية الدمقرطة الراديكالية للمجتمع)

هذا يُعني أن جرامشي لا ينظر إلي المفاهيم بطريقة جزئية، بل يُنظر إليها بطريقة بنيوية بمعني أن كل مفهوم لا يؤسس لمركزية فهمه الخاص بمعزل عن المفاهيم الأخرى وكأنها منفصلة بعضها عن البعض الآخر، بل ينظر جرامشي إلي المفاهيم بطريق تاريخية واشكالية، يقول "جوزيف فيميا"، يحتاج مفهوم الهيمنة إلي اسهاب وتحليل جديد،قبل معرفة كيفية تطبيقه فعلي الرغم من الأدب الضخم، الذي كتب حول جرامشي،فقد كرس اهتماماً صغيراً للنظر في معرفة معني المعاني والتي لها قابلية الأخذ والرد، وقد افسدت معالجة واستخدام الهيمنة عموماً وبواسطة الغموض النظري وصارت واحدة من الصيغ السياسية المسايرة للغة الحديثة .

إذن كيف يمكن التحدث عن الهيمنة في ظل هذ الغموض النظري؟ وهل أن الهيمنة عادة ما تضم عند جرامشي القيادة والسيطرة معاً؟ وهل أن فكرة السيطرة عنده تتفق مع فكرة الهيمنة؟ وكيف يمكن له أن يجمع بين فكرة أخلاقية كالهيمنة وفكرة سياسية كفكرة السيطرة؟ عندما اشار جرامشي إلي فكرة الهيمنة في طبقاته فهي تكاد أن تكو ثابتة وبكل وضوح في السياق وهو ما عبر عنه علي نحو صرف بمعني القيادة الايديولوجية، عندما يتحدث عن الهيمنة السياسية فهو من غير شك يعني المظهر الرضائي التام، لقد حاول جرامشي الابتعاد عن المفاهيم خاصة فيما يتعلق بمفهوم الهيمنة، لأنها عند جرامشي حالة من الانسجام الرضائي، التي تتم بين الأفراد.

هذا يُعني أن جرامشي يخرج عن أغلب الرؤي والمفاهيم التحليلية لمصطلح الهيمنة، بل تراه يختلف عن ماركس نفسه، حيث أن ماركس ينظر إلي الهيمنة علي إنها جزءاً من البنية التحتية والعلاقات الانتاجية التي تشكل الطبقات الاجتماعية، حيث أطلق ماركس مفهوم الهيمنة علي علاقات الانتاج الاجتماعي المتعددة،الاقتصادية والسياسية والتعاقدية والفكرية، باعتبارها مفهوما يتضمن درجة كبيرة من الغني والعمق، إذا كان ماركس يري البنية التحتية هي المهيمنة، فإن جرامشي في المقابل لا يختلف معه حول هذه المسألة بل إنه ينجذب نحو الجدل بين البنية التحتية والفوقية وإن كان يحدد الهيمنة في المحصلة النهائية للبنية الفوقية .

من الملاحظ أن جرامشي كان مهتماً جداً بمسألة الانتقال بالهيمنة من الجانب السياسي إلي الجانب الثقافي، حتي يتسنى لهذا المصطلح أن يتحرك في فضاء ثقافات أخري كالثقافة الشعبية والدينية هذا يعني أن مفهوم الهيمنة، يتمفصل في كثير من الخطابات هذا يجعل من فكرة الهيمنة فكرة جهدية، بمعني إنها تتحرك وتتمفصل مع الحقل والجهد التي تشغلها.

ثانياً: الهيمنة الثقافية

مفهوم الهيمنة مفهوم واسع ومشتت، يختلف الباحثين في تحديده، وذلك حسب المنظور والرؤيا، فإذا حاولنا تحديد إجرائي لمفهوم الهيمنة، نجد أن العنصر الذي يرتكز عليه هو التسلط والإكراه، فالهيمنة تُعني فرض ثقافة معينة من المتسلط علي المتسلط عليه، بشكل ظاهري أو خفي، وإن كنا لنختلف حول تسمية الهيمنة بالفعل الثقافي، فهذا ما سوف يدخلنا في قضايا الجدل الذي يحمل عناصر تفكير مثالية، ويكثر الحديث عن تقليد المغلوب لثقافة الغالب، وكمثال علي ذلك هيمنة الاستعمار الغربي عند احتلاله لشعوب العالم الثالث، ومحاولة فرض لغته وثقافته وأنماط تفكيره (المغرب وفرنسا)، ليس ذلك فحسب بل تحمل الهيمنة بُعد آخر وهو التصورات لهذا الغالب، أما الشكل الخفي من الهيمنة الثقافية فينقسم إلي قسمين:

- **الخارجي:** تبرز فيه الخطط الاستراتيجية للاستعمار طويلة المدي (مصر وانجلترا)
- **الذاتي**: متمثلة النظم المصرفية في الثقافة العربية، وآلياتها ووتلك الآليات هي آليات خفية تتحكم في العقل العربي بشكل لا شعوري، ومناهجها في إنتاج العلوم والثقافة العربية، إن الكشف عن النظم المصرفية العربية والبني الخفية التي تتحكم في تكوين الثقافة ضرورة لأنها من أخطر أشكال التسلط والهيمنة بل أشد خطورة من اشكال الهيمنة الاستعمارية.

من أسباب الهيمنة علي الثقافة العربية:

الخطط الاستعمارية التعليمية في المستعمرات العربية، في القرن التاسع عشر، مثلاً نجد مستشار التربية في مصر، في عهد الحاكم الإنجليزي اللورد كرومر، عمل علي الكشف علي خصائص العقلية الشرقية، وتجذيرها في البنية التشكيلية، واستقر في ذلك إلي خاصية معينة من خصائص العقلية الشرقية، وهي تقديسها للكلمة المكتوبة للنصوص، وعمل علي تقسيم تعليماته الدورية، للمفتشين علي اساس الحفظ بالذاكرة دون أن ينمي ملكة التفكير النقدي والإبداع الخلاق وكانت الخطة الاستراتيجية للهيمنة علي الثقافة المصرية من خلال إنتاج مثقفين بلا ثقافة، ولا يملكون وسائل الثقافة الفعالة وهي الحوار والنقاش والجدال والنقد، بل يكتفون بالحفظ والتكرار.

من اسباب الغزو الثقافي للثقافة العربية:

١- الغزو الإعلامي السمعي والبصري عبر وسائل الأعلام التي تهدد القيم والأخلاق

٢- قصور العرب في تبني الحداثة، أدي إلي قصور في العقل والتخطيط، علي جميع المستويات العلمية والثقافية، والاقتصادية وهذا مؤشر لعدم فهمنا واستيعابنا لأسس الحضارة المعاصرة

٣- إسقاط الحاضر علي حساب المستقبل، وتقديم حلول للحاضر بكل ما يحمله من نقائص، وإعادة إنتاج القديم علي المستوي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والفكري

أما المستوي الثقافي فهو متروك للسياسة تمارس عليه المراقبة والقمع، وعليه فإن الهيمنة الثقافية في البلدان العربية لا تقتصر علي ما تكرره الأدبيات الثقافية العربية ممثلة في الغزو الاعلامي عبر وسائل الاتصالات المعاصرة ووكالات الانباء والكتب والمجلات وغيرها، إلا أنها تمثل العوامل الخارجية للهيمنة الثقافية، وهي تلعب دوراً لا شك فيه، لكن نقطة الضعف المركزية تكمن في البنية التعليمية في بلادنا العربية لأنها الأساس الذي تتكون وتتخذ فيه الكوادر العلمية والفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

إذن الهيمنة الثقافية هي ظاهرة ترمي إلي نشر ثقافة الطرف المهيمن وضرب الثقافات المحلية، أو القومية، من أجل سيادة نموذج واحد للتفكير، ونشر قيم إنسانية معينة عميقة، وتسطيح الوعي ومن هنا تقوم الثقافة الغربية المهيمنة علي ثقافات العالم، علي خمس افتراضات:

- **أولاً**: الفردية التي ترمي إلي إلغاء الطبقية والأمية كإطار اجتماعي
- **ثانياً**: الخيار الشخصي الذي يكرس نوعاً من السلوك الأناني
- **ثالثاً**: الحياد بمعني أن الفرد يعيش محايداً يؤدي إلي انعدام التزامه بأي قضية جماعية وطنية
- **رابعاً**: الاعتقاد بأن الطبيعة البشرية لا تتغير
- **خامساً**: غياب الصراع الاجتماعي كأداة للتغيير يؤدي إلي استسلام الشركات المستقلة وغياب التغيير المبني علي الصراع الاجتماعي.

ثالثاً: عولمة الثقافة:

يأخذ مفهوم العولمة حيزاً كبيراً في الفكر المعاصر، ولأن العولمة في بعض جوانبها جزء من الحياة اليومية، لكثير من الشعوب فهي ظاهرة العصر الشاملة، والعولمة ليست حدثاً يكتمل مرة واحدة مثل اندلاع حرب أو توحيد دولتين، ولكنها عملية تتشكل باستمرار، من هنا نجد كتابات كثيرة تركز علي كيف تحدث العولمة أكثر من البحث عن ما هي العولمة؟

١- مكونات أو عناصر العولمة وهي:

أ - ظهور عالم منكمش أو منضغط الزمان والمكان وتربطه علاقات اعتماد متبادل

ب- ظهور نظام عالمي جديد نتيجة الانتقال إلي مرحلة ما بعد الحرب الباردة

ج - ظهور تقسيم دولي جديد للعمل واقتصاد عالمي متفاوت

د- بروز تدفقات جديدة تشمل الأفراد والثقافات والأفكار، وظهور تكنولوجيات جديدة مع صعود ثورة المعلومات وتخطيها الحدود، حيث تحتوي العولمة علي كل أو أغلب هذه العناصر، فهي بالتالي مفهوم مركب ومتنوع ولا يمكن حصره في كلمة أو جملة.

ولقد تعولمت الثقافة مثلها مثل الاقتصاد، ويصعب الحديث عن ثقافة عالمية واحدة، لكن يسهل الحديث عن عولمة وسائل الثقافة مع اختلاف المضامين، فقد يستخدم الجميع الانترنت ولكن ما يقدم يختلف حسب الثقافة والايديولوجيا والاهتمامات الشخصية

رابعاً: القضاء علي هيمنة الأمم والتقاليد

يعطي الكتاب الشهير خيانة المثقفين " لجوليان بندا " الانطباع بأن المثقفين يعيشون فيما يشبه الحيز الكوني، غير مقيدين لا بحدود قومية ولا بهوية عرقية، وبدا لبندا بوضوح عام ١٩٢٧م أن الاهتمام بالمثقفين معناه أن تكون معنياً فقط بالأوروبيين، لقد تغيرت الأمور كثيراً منذ ذلك الحين، فأوروبا والغرب في المقام الأول لم يعدا مقرري المقاييس للعالم بدون منازع، إذ أن تفكك الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية، أضعف قدرة أوروبا علي إنارة ما كان يسمي بالأماكن المظلمة في الأرض فكرياً و ثقافياً وسياسياً، ومع حلول الحرب الباردة وبزوغ العالم الثالث، ووجود الأمم المتحدة، اصبحت الأمم والتقاليد غير الأوروبية تبدو في الوقت الحاضر جديرة بالاهتمام الجدي، في المقام الثاني خلق التسريع المذهل للسفر والاتصالات علي السواء وعياً جديداً لها يسمي بالاختلاف والآخرية، ويعني هذا ببساطة إنك إذا بدأت تتحدث عن مثقفين، فلن تتمكن من التحدث بمثل هذا التعليم الذي كان مُتبعاً في السابق، بعبارة أخري إن التحدث عن المثقفين اليوم يعني التحدث علي وجه التخصيص عمّا بينهم من فوارق قومية ودينية وحتي قارية.

فعلي سبيل المثال تعيش كل من جماعة المثقفين الأفريقيين أو المثقفين العرب في محيط تاريخي خاص جداً بها، وما يختص بهذا المحيط من معضلات وانتصارات وباثولوجيات، وخصوصيات، وهذا التضييق في التركيز علي الطابع المحلي، في كيفية نظرتنا للمثقفين، ناجمان إلي حد ما للمثقفين ناجمان إلي حد ما عن التكاثر الخيالي للدراسات المتخصصة التي لها ما يبررها في تعقيب، دور المثقفين المتزايد الاتساع في الحياة العصرية، ففي معظم المكتبات الراقية في الغرب التابعة للجامعات أو المخصصة للأبحاث، يستطيع المرء اكتشاف، الاف العناوين عن مثقفين مختلفين في بلدان مختلفة، يستدعي فهم كل مجموعة منها فهماً كاملاً سنوات عديدة، يتحتم كذلك علي أي مؤرخ يحاول جدياً تفهم المثقفين في هذه التقاليد الأخرى المختلفة أن يمضي أعواماً في تعلم لغاتهم مع ذلك، وبالرغم من كل هذا الاختلاف والآخرية.

إلا إن هناك ثمة افكار عامة عن المثقف الفرد، تبدو ممكنة التطبيق خارج النطاق المحلي الصرف، أولي هذه الأفكار هي:

- الجنسية وتلك النبتة المنبثقة منها وهي القومية، وما من مثقف عصري - ويصدق هذا علي شخصيات رئيسية مثل نعوم تشومسكي، وبرتراندراسل، مثلما يصدق علي الشخصيات الأقل شهرة- يكتب بلغة مصممة كي تكون لكل بلدان العالم واعرافه أو لا تكون لأحد منها، فكل فرد يتربى علي لغة

ما، ويمضي في الغالب بقية حياته في كنف تلك اللغة، التي هي الأداة الأصلية للنشاط الفكري، بالتأكيد فإن اللغات (العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية وهلم جرا) هي دائماً قومية، وإحدى النقاط الاساسية هي أن المثقف مُلزم باستعمال لغة قومية ليس فقط لأنها ملائمة له ومألوفة لديه، إنما من باب امله أن يخلق في اللغة انطباع عقلية معينة ولهجة مميزة، وفي النهاية منظور يختص به، لكن المشكلة المحددة للمثقف هي أن ثمة جماع لغوية موجودة أصلاً في كل مجتمع تتحكم فيه عادات التعبير وإن إحدى وظائفها الرئيسية هي حماية الوضع الراهن، والتأكد من الأمور تجري بسلاسة لا تبديل فيها ولا اعتراض عليها.

لقد قدم جرامشي الذي لم يعاصر الحرب العالمية الثانية، نموذجاً لمستويات الهيمنة السياسية والثقافية:

المستوي الأول: عالمي:

وتمارسه القوي الكبرى علي دول العالم وأنظمتها، وتنضوي تحت هذا المستوي هيمنة اللاعبين الدوليين الكبار، إضافة إلي اللاعبين الاقليميين المؤثرين في جوارهم، إلي جانب سطوة المؤسسات الدولية لا سيما سلطة النقد والبنك الدولي ومجلس الأمن وغيرها من المؤسسات أو الشركات عابرة القارات.

المستوي الثاني: محلي:

ويمارسه المجتمع السياسي "الدولة " علي الشعب، وتسعي الدولة إلي قيادة الشعب عن طريق القوة " القمع" حين تفشل في قيادته عن طريق التراضي "العقد" أي أن الهيمنة الثقافية هي أساس ممارسة السلطة، أما الدولة هي هيمنة محصنة بالقمع، وتلجأ الدولة إلي مؤسسات التعليم والدين والأعلام لفرض هيمنتها، إذ تشترك المدارس والمعابد الدينية والأعلام في عملية القمع بطريقة لا تقل خطورة عن أدوار الشرطة والقضاء والجيش.

إن آثار الهيمنة الثقافية هي محسوسة علي المستوي الشخصي، علي الرغم من أن كل شخص في المجتمع، يعيش حياة ذات معني، في نطاق طبقته الاجتماعية، فإن الطبقات الاجتماعية المنفصلة قد تبدو لهم غير ذي صلة مع حياتهم الفردية الخاصة، ولكن عندما ينظر إلي المجتمع ككل فإن حياة كل شخص تساهم في الهيمنة الاجتماعية العامة علي الرغم من وجود التنوع الاجتماعي والاقتصادي والحرية السياسية ظاهريا،إلا إنهم عاجزين علي إدراك نمط الهيمنة العام.

إن الهيمنة الثقافية تتجلي ويحافظ عليها من خلال وجود ظروف مختلفة قليلا لا يدركها العامة الذين يعيشون داخل ثقافة ما، ومن أجل ادراك الهيمنة الثقافية فإن الطبقة العاملة والفلاحين تعتمد علي المثقفين الذين ينتجهم المجتمع، يميز انطونيو جرامشي بين مثقفي الطبقة البرجوازية ومثقفي الطبقة العاملة.

لقد أثرت الهيمنة الثقافية علي الشيوعية الأوروبية والنشاط السياسي لسياسيين ليبراليين اجتماعياً إن الخطاب التحليلي للهيمنة الثقافية مهم للبحث في علم الإنسان والعلوم السياسية وعلم الاجتماع والدراسات الثقافية في التعليم نشأت من نظرية الهيمنة الثقافية.

المبحث الرابع : انطونيو جرامشي والتعليم من منظور ثوري

أثارت جائحة كورونا وتأثيرها علي المؤسسة التعليمية، جدلاً حول كل دول العالم، تساعدنا افكار الثوري الإيطالي أنطونيو جرامشي التي تُقرأ وتُفسر بطرق مختلفة، علي إعادة التفكير في المدرسة، والدولة والتعليم، منذ بدء الأغلاق الصحي، ناقش عدد كبير من الخبراء ما يجب فعله بالتعليم والتقييمات في زمن التعليم عن بُعد، بيد أن هناك من يشكك في التقويم المدرسي، وأولئك الذين يعيدون التفكير في المؤسسة المدرسية بأكملها: الجداول الزمنية والإجازات... الخ بعد سنوات من الانهيار في خدمة التعليم العام من (اكتظاظ الصفوف، ونقص الموارد البشرية والمادية) تسلط هذه الأزمة الصحية الضوء علي حقيقة أن المدرسة لا تستطيع العودة إلي ما كانت عليه، وهذا يدعوا المعلمين للتفكير في مدرسة الغد.

بعيداً عن السياق التاريخي والمناقشات الموضوعية التي أجراها أنطونيو جرامشي مع التيارات الفكرية المختلفة وكتاباته عن التعليم وأفكاره حول التدريس في إطار النظام الرأسمالي، هناك ايضاً افكاره التي تدافع عن نوع جديد من الدولة، وعلينا أن نؤكد أن هناك فكرة مشتركة تمر عبر كتابات جرامشي، وهي أن الثقافة مرتبطة عضوياً بالسلطة المهيمنة، ويتم تأسيس هذه الهيمنة والحفاظ عليها من خلال نشر القيم داخل المدرسة وأحزاب النظام والمؤسسات العلمية والأكاديمية والفنية ووسائل الأعلام ونشر العديد من المراكز الثقافية التي تغزو عقول الناس تدريجياً وتجعل من الممكن الحصول علي قبول الشعب والطبقات الشعبية.

أولا: التربية الثقافية والابداع عند جرامشي

يطرح انطونيو جرامشي المسألة التربوية، ضمن تناوله لمشكلة الحضارة والثقافة، وفي إطار حرصه علي تكوين المثقفين تكويناً ثورياً، وتنظيم الثقافة وإصلاح المدرسة، لإنتاج مثقفين عضويين، من هذا المنطلق يرفض جرامشي وجهة النظر التي تقول بها الفلسفة المثالية، حول عبارة اليوتوبيا السياسية التي تمنح لمفكرين والمثقفين وضعاً استثنائياً، ويمتحن مسألة إنتاج النخب الفكرية وتكوين شريحة من المثقفين العضويين داخل مجموعة الأطر التربوية والمؤسسات التعليمية، وضمن المُناخ الفكري العام الذي انتج تصورهم للعالم والإنسان، كما أن حضور بعض العلوم والمعارف والاختصاصات علي غرار الفلسفة والعلم والاخلاق والقانون والإدارة والتربية بات ضرورياً في بناء شخصية ثورية

ذيادة علي ذلك يرفض التمييز الذي يتم في نظم التعليم بين رجال الفكر والفلسفة ورجال الدين والقانون، ويبحث عن توفير شروط اجتماعية تساهم في عملية زرع مفهوم المثقف داخل فضاء القداسة، دون حدوث مشاكل ودون حصره في الفضاء الدنيوي والحق أن لفظ مثقف يمكن قبوله داخل مؤسسة تربوية، تساهم من حيث البدء في إنتاجه لقد صار الدخول إلي المدرسة أو العزوف عنها والانقطاع عن متابعة دروسها هو الذي يحدد المثقف عن غيره، ويميز المتعلم عن الأمي، والمفكر الحر عن التابع

الجاهل، والأنسان العارف عن الصانع، بهذا المعني لا تعاني الحياة التربوية من غياب البعد الثقافي، ومن تفشي الجهل والخرافة.

إلا أن هناك ثمة اخطاء من جهة المناهج المتبعة، وضمن المنظومة التربوية وقد أدت هذه الأخطاء إلي تعقد الوضعية وظهور مشاكل مستعصية، وكذلك أفرغت المدرسة من دورها التنويري ومن أبعادها التوعوية والتثقيفية وجعلتها تقتصر علي التكوين والإعداد وفق البرمجة الإدارية، وإذا كانت المدرسة تفصل بين النشاط الذهني والجهد العضلي وبين التعليم النظري والفعل الميداني، فإن خلق شريحة موهوبة من الخريجين تقتضي التأليف بين البعدين والجمع بين تمرين الذكاء وتقوية الجسم، علي المدرسة أن تأخذ بعين الاعتبار تصوراً للإنسان يضم الصناعة إلي المعرفة، والتعمق في البحث إلي التوسع في الأبعاد وتضيف البراعة اليدوية إلي الموهبة الفكرية، علي هذا النحو يفترض أن يكون التعليم قادراً من جهة عناصره التكوينية وتصوراته للعالم وتفسيره للحياة علي تخريج العديد من المهن والمهارات من جميع الاصناف والحرف، وأن يكون منبع ميلاد المثقف والمفكر والفيلسوف والفنان والخبير والسياسي والقانوني وغيرهم.

يطالب جرامشي بأن يتحول الإنسان العارف والإنسان الصانع إلي كائن واحد، من أجل تطوير مفهوم جديد عن المثقف العضوي، حيث يطرح جرامشي قضية إصلاح التعليم في اتجاه التربية علي الابداع والالتزام ويطلب تشكيل مقاماً وجودياً للمثقف الجديد الذي يتعدى الحضور الشكلي، عبر الخطابة إلي الفعل في الحياة العملية بشكل ملموس من حيث هو مبدع ومنظم وموجه، وينتقل بالتجربة من تقنيات الشغل إلي العلوم التقنية، علي هذا الأساس يناضل جرامشي في اتجاه تضمين المؤسسات التعليمية، بنية ديمقراطية، في مستوي البرمجة والتدريب، ويحرص علي العودة إلي الواقع الملموس، ومعالجة انخفاض الوعي والتصدي للبطالة والفقر، وقد يؤدي اعتماد جرامشي علي أسلوب السياسة المباشرة التي تتعهد بإصلاح فلسفة الحشود والانتقال من الحس المشترك إلي الحس السليم، إلي تبني أسلوب التعليم عن قرب، علاوة علي ذلك يبتعد جرامشي عن تنزيل المسألة التربوية ضمن إطار العلاقة بين التعليم وعالم الانتاج، يبدو أن المناخ العام الذي تشكلت فيه المدرسة في الحقبة المعاصرة، ينبني علي تعقد الانشطة التطبيقية وتجذر العلوم في الحياة العامة، وتغلغل التخصص في مختلف جوانب المعرفة البشرية والذكاء العملي.

علي هذا النحو يميز جرامشي بين النمط الإنساني للمدرسة الذي يتعلق بالعصر القديم، ويقوم بتطوير الثقافة العامة لدي الفرد من حيث القدرة علي التفكير والمعرفة وتوجيه الحياة الاجتماعية، وبين النمط التخصصي ، الذي تفرد باختراع نسق من الاختصاصات التطبيقية التي تنمي لدي المتكونين جملة من المهارات في مجالات متنوعة، كما أن المدرسة الكلاسيكية بقيت حكراً علي الطبقات المهيمنة، وتقوم بمهمة تخريج فئة من المثقفين الذين يحافظون علي هذه الهيمنة، بينما المدرسة المهنية ظلت مشرعة امام الشرائح الاجتماعية الصاعدة، وتنتج فئة من التقنيين والحرفيين والصناع، الذين يفتقدون للثقافة العامة

والوعي السياسي الضروري للتغيير، لذا يراهن جرامشي علي نمط جديد من المدارس غير مكترث بالتكوين والتوجيه ولكن معني بالتثقيف والتنوير، لذلك يطالب جرامشي بالتعويل علي مدرسة موحدة مختصة في الثقافة العامة، تجمع بين كسب القيم الإنسانية والمهارات التكوينية وتحقق التوازن بين تطوير ملكات النشاط الذهني وقدرات العمل العضلي واليدوي، صحيح أن الدولة هي التي تشيد المدارس والمعاهد والكليات وتضع البرامج وتسهر علي التوجيه والإدارة، ولكن الفعل التربوي الهادف يظل من مشمولات الناشطين في هذا المجال وقدرتهم علي التفاعل والابتكار.

من المفروض أن تدخل المدرسة في صراع مع الجهل والخرافة والتقاليد البالية، وأن تواجه جل العناصر الضارة من الفلكلور، وتجادل الخطابة وتنقي أقوال البشر من المغالطات وتتسلح بالمقاربات الموضوعية، ويعود جرامشي ويؤكد علي ضرورة أن تكون الأسرة هي الرحم التربوي الأول، حيث يجد الطفل في الحياة الأسرية الطبقات الفكرية التي تمنحه العناصر التربوية والقواعد التوجيهية.

يدور محور العملية التربوية حسب جرامشي حول القيم الأساسية التي نادت بها النزعة الانسانية، وبالخصوص التنوير العقلي بدل التعصب الايديولوجي، والحرية بدل العبودية، والكرامة بدل التشيؤ والاستقلالية الأخلاقية بدل الاغتراب الاقتصادي، يدعو جرامشي إلي التخلي عن الإكراه عن السلطوي الذي يمارسه المعلم علي المتعلم، وأن تكون العلاقة بينهم متأسسة علي الاحترام والتقدير، وأن يوجه المعلم المتعلمين بشكل ودي وإقناعي، ويدفعهم إلي التعلم الذاتي، ويدعوهم إلي تثقيف ذواتهم وصقل شخصياتهم.

ثانياً: وظيفة المدرسة ومفهوم الدولة الشاملة

قدم جرامشي أطروحات مختلفة لمفهومه عن الدولة الشاملة، في مقطع من كراسات السجن أوضح أن العناصر التي يجب ربطها بالدولة وبمفهوم المجتمع المدني بمعني أن الدولة = المجتمع السياسي + المجتمع المدني، أي هيمنة محمية بالإكراه والقمع، كذلك في فقرة أخري عرف جرامشي الدولة الشاملة بأنها تتكون من الديكتاتورية + الهيمنة، علينا أن نؤكد أن العناصر المختلفة المكونة للدولة الشاملة،أي السياسية والمدنية ليست متعارضة بشكل اساسي، ويتضمن هذا التصنيف التمييز المنهجي بين المجتمع المدني (الأحزاب والنقابات والصحف والجمعيات الثقافية) والمجتمع السياسي (الدولة) في عملية تاريخية يتقاطع فيها هاذان القطبان.

أما بالنسبة للمدرسة: فإن جرامشي لا يضعها في أحد قطبي تعريف الدولة الشاملة، لأن دور المدرسة يتعلق بهذين القطبين إنها تروج إلي الانضباط والنظام (معايير، تنظيم مدرسي عمودي) وايضاً إلي الهيمنة (الإجماع والمساواة والثقافة البرجوازية العامة)، فالمدرسة تاريخياً هي جزء من المجتمع المدني، وتعتبر أيضاً مؤسسة تنبثق مباشرة من الدولة، والتي تحتاج إليها لبناء أنظمة تعليم جماهيري، ووفقاً لجرامشي فالمدرسة يمكن أن تكون في نفس الوقت انضباطاً وهيمنة، إذ إنها فاعل للهيمنة من خلال

التوجيه الفكري والأخلاقي، إذن في هذا التعريف للدولة الشاملة تهدف المدرسة إلي تنظيم الجوانب المركزية لمهمة تشكيل الدولة، وتتمثل هذه المهمة في رفع السواد الأعظم من السكان إلي مستوي أخلاقي وثقافي معين، يتوافق مع احتياجات القوي المنتجة واحتياجات رأس المال، وبالتالي مع مصالح الطبقات المهيمنة.

ووفقاً لجرامشي، من الخطأ النظر إلي المدرسة، علي إنها جهاز دولة إيديولوجي فقط، والتخلي عن التمييز بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني، فالمدرسة ليست مجرد مكان لإعادة إنتاج الإيديولوجية المهيمنة للدولة البرجوازية بدون أي إمكانية للصراع داخلها، لأن المدرسة أيضاًمكان للنضال والتحرر، علاوة علي ذلك، فإن المدرسة ليست المكان الوحيد للتعليم في المجتمع، لأننا نجد هذه الوظيفة التربوية في نضالات العمال داخل المجتمع المدني (النقابات والنقابات العمالية)، من هنا قال جرامشي " لابد من التفرقة بين التدريس والتعليم، فالتدريس هو نقل المعرفة التي حددها المعلم بالفعل للطالب، أما التعليم، فهي عملية إبداعية، يتعلم الإنسان طوال حياته، ويثقف نفسه ويوسع شخصيته، ويؤكدها ويتقنها " .

لا يناضل جرامشي من أجل إلغاء المدرسة، لكن من أجل إنشاء مدرسة مختلفة تماماً، مدرسة في خدمة نضال الطبقة العاملة، والتي يمكن أن تصبح مدرسة ثورية، تحتوي كراسات السجن علي مشروع مدرسة أو تعليم إنساني، لجميع الأطفال من نفس الجيل، حيث يؤكد جرامشي إلي أن المدرسة الوحدوية، للثقافة العامة هي مدرسة إنسانية وتكوينية، تجمع بين تطوير القدرات اليدوية وقدرات العمل الفكري، ويبدو أن التفكير في منظور المدرسة الوحدوية، يرتبط بالتجربة السياسية والتعليمية للثورة الروسية التي يعاصرها جرامشي، ففي الاتحاد السوفيتي، كانت المدرسة من أهم الأنشطة الأساسية إذ أرتبط ظهور الشيوعية بتطور منظومتها التعليمية.

مدرسة بحيث يمكن لكل عامل أن يصبح قائداً:

في السجن، طور جرامشي في كراسات السجن، أفكاراً عميقة عن فلسفة البراكسيس (فلسفة الممارسة، والتي بموجبها لا يمكن أن تكون الفلسفة مسألة مختصين، منفصلة عن الناس، بالنسبة لجرامشي الفكر والعمل مرتبطان ارتباطاًوثيقاً، وهو ينادي بامتلاك جماعي للفلسفة، وتتجسد هذه المفاهيم في مشروع المدرسة الموحدة الذي طوره، حيث كان التقسيم الأساسي للمدرسة إلي الكلاسيكية والمهنية نمطاً منطقياً: فالمدرسة المهنية للطبقات المنفذين، والمدرسة الكلاسيكية للطبقات الحاكمة والمثقفين.

يقول جرامشي " المدرسة هي الأداة التي يتم بها تطوير المفكرين من مختلف المستويات، ومدي تطور الوظيفة الفكرية في الدول المختلفة، يمكن قياسه بشكل موضوعي باستعمال عدد وتدرج المدارس المتخصصة، فكلما كانت مساحة المواضيع التي يغطيها التعليم أكبر، كلما كان العالم الثقافي وحضارة الدولة أكثر تطوراً وتعقيداً، يمكن هذا بشكل أوضح بمقارنته بالتكنولوجيا الصناعية، فمدي تقدم الدولة

صناعياً يمكن قياسه بمدي تجهيزها لإنتاج الآلات التي تقوم بصناعة الآت آخري، فالدولة التي تكون أكثر قدرة علي صناعة الأدوات المستعملة في التجارب العملية، يمكن اعتبارها أكثر تقدماً و تطوراً، وصاحبة أعلي من الحضارة".

المبحث السادس: فلاحو جرامشي

في السنين الأخيرة، تمت استعادة كتابات انطونيو جرامشي، لما تقدّمه من إضاءات علي السياسة، في المجتمعات الصناعية المعاصرة، وكمصدر لماركسية محّدثة من أجل الغرب، لكن في المقابل، لم تلق طروحات هذا المفكر الإيطالي عن الفلاحين والمجتمعات الريفية الكثير من الانتباه، ربما يكون غموض المعاني في دفاتر السجن الخاصة بجرامشي، وصعوبة استخراج نظرية متماسكة منها، قد لعب دوراً في هذا، في الحقيقة لابد، أن تشكل كتابات جرامشي مصدر جاذبية، لأي دارس للمجتمعات الفلاحية، فعلي المستوي النظري العام، يقدم اهتمام جرامشي بمسألة الوعي وبالأبعاد الثقافية الايديولوجية لمسألة الهيمنة الطبقية أساساً لفهم وتحليل للطبقات الاجتماعية المهمشة.

يقدم جرامشي صورة للفلاحين كقوة حية، سياسياً وثقافياً واجتماعياً، ويعتبر جرامشي أن الطبقة الفلاحية بحاجة إلي تمعن وتحليل دقيق بالتحديد من خلال الانتباه إلي خصوصيتها التاريخية وإلي وعيها المهمش المرتكز علي المعتقدات الشعبية والفلكلور، كان جرامشي شديد العداء لكل من آراد اختصار الماركسية بمجموعة من الثوابت الجاهزة أو القوانين التاريخية الحتمية، الهدف هنا هو تفحص أفكار جرامشي المتعلقة بالفلاحين ومن ثم النظر إلي كيفية الاستفادة من هذه الأفكار، كان اهتمام جرامشي بالفلاحين في بلده ايطاليا لم يُفض إلي دراسة مستقلة عن الموضوع، وحتي ولو لم يقض المفكر الماركسي ردحاً من حياته في السجن من غير المحتمل أنه كان سيهتم بكتابة دراسة من هذا النوع، لأن الصفة البارزة في كتاباته المتوفرة هي نظرته للقضية الفلاحية كجزء من نظام سياسي اجتماعي أشمل لا كظاهرة منفصلة أو مستقلة بنفسها، مع ذلك شكل الفلاحون عنصراً متكرر الحضور في كتابات جرامشي السياسية خلال اوائل العشرينات.

- اسباب اهتمام جرامشي بالفلاحين:

يعود اهتمام جرامشي بطبقة الفلاحين، بلا شك إلي تاريخه الشخصي، فأبن العائلة المتأرجحة بين توسط وفقر الحال المولود في جزيرة سردينيا، أحتك بشكل مباشر مع الحياة الفلاحية في أحد واحدة من أكثر المناطق الايطالية تخلفاً، في البداية كان جرامشي الشاب منجذباً إلي الحركات الانفصالية السردينية، لكن بعد انتقاله إلي تورينو ليتابع دراسته وبعد إن بدأ يهتم أكثر بأكثر بالفكر الماركسي تحولت مشاعره الأولي إلي التزام سياسي صلب بإيجاد حل القضية الجنوبية، ضمن إطار مجتمع ايطالي اشتراكي، لذا وصل جرامشي لقناعة أن تبعية الفلاحين في الاراضي الجنوبية الايطالية بما فيها صناعي

المناطق الشمالية، هي المشكلة الجوهرية لا في الحياة الايطالية فحسب بل في تشكيل نظرية الحزب الشيوعي الايطالي.

حيث كانت احداث ايطاليا وروسيا وتجربة جرامشي السياسية، عمقّت من تقديره للأهمية السياسية للفلاحين، ثورة عام ١٩١٧م البلشفية، والتي بات جرامشي الخبير الإيطالي الأول بشأنها، أظهرت له الحاجة إلي أرقام الفلاحين الكبيرة في أي محاولة للإطاحة بالدولة البرجوازية، نتائج الثورة الروسية ايضاً جعلته واعياً بالمشاكل المتعلقة بهيمنة الطبقة العاملة – البروليتاريا - في مجتمع كإيطاليا حيث بقي الفلاحون قوة عددية طاغية، انخراط جرامشي في تجربة مجالس المصانع الفاشلة في مدينة تورينو، كانت مؤشراً واكثر مباشرة علي أن الشيوعية في ايطاليا لن تنجح إذا اعتمدت علي البروليتاريا وحدها وتجاهلت الفلاحين، لقد رأي جرامشي أن أي حركة ثورية، تنشأ في المدن ستبقي مهددة بخطر العزل من قبل الريف المجاور، فيجب كسب الريف إلي صف القضية الثورية من خلال تحالف بين عمال المدينة والفلاحين الأكثر فقراً

هناك سؤال هام ما الذي أبقي طبقة الفلاحين تابعة للطبقة السائدة تاريخيا؟ وبأي وسائل يصبح الفلاحون جزءاً من حركة ثورية ناجحة؟

في طرحه لهذه الاسئلة، وفي سعيه للإجابة عليها، لم يكن جرامشي يتخلى عن إيمانه بأن الطبقة العاملة الصناعية هي الطبقة الثورية القائدة، لكنه مقتنعاً أن البروليتاريا لا تستطيع أن تمارس دورها إلا من خلال تحالف طبقي يجيش عموم الكادحين ضد الرأسمالية والبرجوازية في ايطاليا، لكن ينبغي التأكيد هنا أنه بالنسبة لجرامشي، ضم الفلاحين إلي ثورة الطبة العاملة، لم يكن بغرض نفعي أو انتهازي، يتم من خلاله تضليل الفلاحين مؤقتاً لدعم ثورة سيكونون هم أول ضحاياها، التحالف بين العامل والفلاح يجب أن يكون حقيقياً وصادقاً وطويل المدي، الفلاحون سيدخلون هذا التحالف طوعاً من خلال إدراكهم أنهم والعمال يتشاركون مصلحة الخلاص من قمع البيروقراطيين والرأسماليين ومن هنا سيتحول فلاحو الجنوب إلي طبقة ثورية بحق، وبعد الثورة يتم تطبيق نموذج مجالس المعامل علي التجمعات الريفية، لتشجيع التعون بين الفلاحين وبين المدينة والريف، خبرات المدينة وطاقتها ستوظف هنا لتحرير الفلاحين من الحجر الواقع عليهم نتيجة فقرهم المادي والتقني.

بالنسبة لجرامشي إذا لم يكن الفلاحون تلك الطبقة المحكوم عليها بالانقراض، كما رأي ماركس، لكن في الوقت نفسه لم يذهب جرامشي إلي النقيض المقابل: طفولته القاسية في سردينيا وتجرته الحميمية مع الفلاحين حصنتاه ضد أي نظرة طوباوية للحياة الريفية، فباستطاعة المرء أن يستخلص من كتابات جرامشي المتأخرة مجموعة من الصفات السيئة للطبقات التابعة وفي مواجهتها مجموعة من الصفات الإيجابية أو التي لديها القدرة لتكون إيجابية، علي الجانب السلبي توجد نقاط الضعف المعروفة عن الفلاحين كقوة سياسية من دراسات أخري، تشتّت الفلاحين وعزلتهم تجعل من الصعب جمعهم في تنظيم

صلب، هم منقسمون فيما بينهم بشكل أساسي بين من يملك الأرض من بينهم ومن لا يملك الأرض، وهذا خلاف انقسام يستثمره ملاّكو الأراضي الكبار لصالحهم إذاً لا يملك الفلاحون إلا شذرات وعي طبقي، وهم يشاركون في عملية إخضاعهم لأنهم يحملون قيماً تشرع الهيمنة عليهم، ويسعون إلي الكثير من الطبقات السائدة، لذلك فإن كراهيتهم لا تتوجه نحو الملاكين أو نحو البرجوازية الصغيرة بل إلي موظفي الدولة القادمين في معظم الاحيان من المدن، هذه الكراهية لا تمثل سوي موقفاً سجالياً وبدائياً و سلبيا .

ضعف الفلاحين يجد تعبيره ايضا، في الحركات النضالية التي ينتجها وعيهم، فتلك كانت عفوية هلامية عنيفة وتدميرية، وصف جرامشي فلاحي الجنوب عام ١٩٢٦ ككيان في غليان مستمر، لكنهم كمجموع غير قادرين علي إنتاج تعبير ممركز لطموحاتهم واحتياجاتهم، ضمن هذه القائمة من الصفات السلبية توجد بعض التناقضات، التي لا يحاول جرامشي التوفيق بينها بين السلبية والغليان علي سبيل المثال ويمكن رد هذه التناقضات إلي كون كتابات جرامشي في السجن ذات طابع غير منتهي، لكن المتوافق مع فلسفة جرامشي هو رد هذه التناقضات إلي واقع الطبيعة المتناقضة لثقافة وسياسة الطبقات التابعة، المجتمع التابع هو دائماً في صراع جدلي مع نفسه بين صوته الفاعل وصوته الساكن، وبين المقاومة والقبول وبين التجمع والعزلة ثنائية التبعية هذه ستتوضح أكثر عندما نلتفت إلي الجوانب الإيجابية للفلاحين، بالعودة إلي الصفات التي اعتبرها جرامشي ايجابية لدي الطبقات التابعة فقد كانت في المجمل تنتمي إالي الحقل الثقافي السياسي، لا يبدو أن جرامشي وجد أي نقاط قوة في النشاطات الاقتصادية أو التنظيم الاجتماعي للطبقات التابعة، أقله ليس في الريف، عداء جرامشي للحتمية الموضوعية لدي بعض المنظرين وعناصر الماركسية الإنسانية في فكره جعله مؤمناً بأن الثورات لا تنتج فقط نتيجة لظروف أو بني مادية فقط بل ايضاً من خلال العمل السياسي وتطور وعي طبقي لدي الفئات المهمشة.

وعلي الرغم من نقده للطبيعة غير المتسقة لمنطق الجماعي والثقافة الشعبية، نظر جرامشي بعين إيجابية إلي هذه الثقافة بوصفها تعبيراً عن وعي الطبقات التابعة، لقد كان موقف جرامشي تجاه تلك المعتقدات الشعبية إنه يراها مستمدة بشكل اساسي من ثقافة الطبقات السائدة، ولهذا السبب تشكل أحد الروافع الأساسية للهيمنة الطبقية.

من خلال العرض السابق:

قد وضح الأهمية التي عقدها جرامشي، علي الفلاحين، فلاحو ايطاليا قدموا لجرامشي برهاناً تاريخياً علي كيفية بقاء الطبقات التابع أسيرة أسيادها بسبب نقاط ضعفها الداخلية، وبسبب قبولها بالقيادة الاخلاقية والسياسية والاجتماعية للطبقات العليا، أي بهيمنتها، ومن خلال فهمه لطبيعة هذه الهيمنة، آمن جرامشي أن باستطاعته كسرها من خلال تحالف بين العمال والفلاحين، وتعميق الوعي الطبقي لدي القوي الفلاحية بشكل عام، لم ينظر جرامشي إلي الفلاحين بعين الاحتقار، ولم يعتبر أنهم ينتمون إلي مقبرة التاريخ، كان مقتنعاً باستطاعتهم التحول إلي طبقة ثورية، ولذلك اعتقد أن مهمة الماركسيين كانت تكمن في فهم ونقد الايديولوجيا والثقافة الفلاحية من أجل تجاوز جوانبها السلبية وتقوية وتطوير جوانبها الإيجابية. فاستخدام جرامشي لكلمة تابع يدعونا لنتمعن في الصفات والثقافة المشتركة لجميع الفئات الخاضعة في المجتمع- تهميشهم وضعفهم الداخلي ونقاط قوتهم المحدودة، فما يقدمه لنا جرامشي باختصار هو شيء مُختلف تماماً عن المقارنة الحادة التي قدمها لنا ماركس، بين العمال والفلاحين، بوصفها مقارنة بين القوي الثورية والقوة الرجعية، فجرامشي يتحدث عن درجات متفاوتة من الوعي والتضامن لدي كلاً من الطبقتين، وعن قدرتهما معاً علي التحول إلي طبقة ثورية.

المبحث السابع: فلسفة الحس العام

يعتبر جرامشي ثقافة الحس العام هي مركز الثقافة الشعبية، لأن المجتمع الإنساني يتحرك من خلال هذا الحس اليومي، الذي يمكنه الاتصال والتفاهم ومعرفة العالم وإن كان مُبعثراً و مفككاً، كان جرامشي يصف فلسفة الحس العام بأنها فلسفة اللافلسفة، أي أن من تصور العالم تصوراً غير نقدي علي النحو الذي نجده في مختلف البنيات الاجتماعية والثقافية التي تنمو فيها الفردية الأدبية للإنسان الوسط، فالحس العام ليس تصوراً وحيداً يظل علي حالة واحدة عبر الزمان والمكان، بل له صوراً لا تحصي كالفلكلور.

أما عن البنية الداخلية التي تحكم فلسفة الحس العام، فيقول جرامشي عنا (سمة الحس العام الأكثر تمييزاً له هي إنه علي مستوي كل دماغ، تصور متقطع لا متماسك ولا منطقي، ويوافق الواضع الثقافي والاجتماعي للجماهير التي يُعبر عن فلسفتها كلما تشكلت عبر التاريخ زمرة اجتماعية متجانسة، تكونت معها فلسفة متجانسة ومنتظمة مضادة للحس العام).

علي الرغم من أن جرامشي ينتقد هذه الثقافة، ويعترف إنها غير متماسكة، وحتي غير منطقية، إلا إنه يعتبرها عاملاً من عوامل تماسك المجتمع، إن المذاهب تؤثر في الجماهير الشعبية من حيث هي قوة سياسية خارجية، أو عنصر متماسك بين الطبقات الحاكمة، أي عنصر اخضاع لزعامة خارجية، يضع حداً لسلبية التفكير الأصيل عند الجماهير الشعبية ولا يؤثر فيها تأثيراً إيجابياً، وما قلناه حتي الآن لا يعني إنه ليس من حقيقة في الحس العام، بل يعني أن الحس العام مفهوم مُلتبس ومتناقض ومتعدد الصور، وإنه لا معني في الرجوع الي الحس العام لاتخاذه محكاً للحقيقة، ومن الصواب القول أن الحقيقة ما اصبحت حقيقة حس عام، وذلك إشارة إلي إنها قد تجاوزت في انتشارها حدود أهل الفكر، علي أن هذا القول، لا يعدو أن يكون مشاهدة ذات طابع تاريخي، إثباتاً في الوقت نفسه لمعقولية التاريخ، لهذا المعني يكون للحجة قيمة شريطة أن تستعمل باعتدال، لأن الحس العام من صفاته أن يكون محافظا .

كثيراً ما نجد عند ماركس، تلميحاً إلي الحس العام، وإلي رسوخ معتقداته، لكنه يقصد أن يحيلنا لا إلي صحة تلك المعتقدات بل إلي متانتها الصورية، وبالتالي إلي طابع الأمر فيها، عندما تصنع قواعد السلوك يضمن ماركس احالته، هذه إثباتاً لضرورة المعتقدات الشعبية الجديدة، أي ضرورة حس عام جديد، وبالتالي ضرورة ثقافة وفلسفة جديدة، تتأصلان في وجدان الشعب بقوة المعتقدات التقليدية .

يشخص جرامشي هنا طبيعة الحس العام الذي يختلط فيه المعرفي بالاعتقادي، والذاتي بالعقلاني، إنها معرفة المجتمع السائد، يقول جرامشي لماذا وكيف تذيع المذاهب الجديدة في تصور العالم حتي تصبح شعبية؟ إن عملية الذيوع هذه تتأثر أولاً بالصورة العقلية التي يعرض فيها التصور الجديد، ثم سلطة الشخص الذي يعرضها والعلماء والمفكرون الذين يستند إليهم في الحقيقة إن هذه العناصر تختلف باختلاف الزمرة الاجتماعية المعينة ومستواها الثقافي، وفيما يتعلق بالجماهير الشعبية والتي يصعب عليها تبديل تصوراتها، والتي لا تبدلها ابدا .

فالصورة العقلية للاستدلال المتماسكة تماسكاً منطقياً، وصفته الموجبة التي لا تهمل أي حجة مؤيدة أو مضادة لهما لكنهما بعيدتان عن أن تكونا حاسمتين، إلا انهما عنصران قد يكونان حاسمين علي مستوي ثانوي، بالنسبة لشخص يمر بأزمة فكرية ويتأرجح في الرأي بين القديم والجديد ويضع ثقته في القديم دون الأخذ بالجديد، لكن جرامشي كان يدرك أن هذه التصورات تحتاج إلي جهد كبير، يبذله المثقفون والمفكرون، يمكن القول أن سلطة المفكرين والعلماء كبيرة جداً عند الشعب، صحيح أن لكل تصور علماءه، ومفكريه علي درجات، فالسلطة إذن موزعة ففي وسعنا إذن أن نستنتج من ذلك أن عملية الذيوع تحدث لأسباب سياسية

هكذا يمكننا أن نستنتج أن الفلسفة لدي الجماهير، من جهة ما هي جماهير لا يمكن أن تكون إلا ايماناً يتكون من المنظومات والمعتقدات، ومن قوانين التمييز وقواعد السلوك، كأن جرامشي هنا يريد أن يقول لنا أن المجاميع البشرية لا يحكمها المنطق، ولا العقل ولا الاستدلالات المنطقية ولا الوضوح البديهي، إنها بكل بساطة تتحرك وتعيش بمنطق الإيمان بالجماعة، التي تنتمي إليها، وتفكر من خلال مخيالها ورموزها ومعتقداتها، لذلك فهي لا تتعب نفسها في البحث عن الجديد أو عن نظام بديل، لأنها مطمئنة للأصل، يقول جرامشي " أهم العناصر دون شك عنصر غير عقلي أي عنصر ايماني، لكن بمن يؤمن المرء؟ وبماذا يؤمن "؟

إنه يؤمن قبل كل شيء بالزمرة الاجتماعية التي ينتمي إليها، إن الشعب يعتقد أن الجمهور الفقير لا يمكن أن يغلط كلياً، وإن كانت حجج الخصم تريد منه أن يقتنع بذلك، وإن كان هو نفسه عاجزاً عن دعم حججه وتوسيعها كما يفعل الخصم.

بهذا المنطق نستنتج أن ثقافة الحس العام تحيا بعيدة عن الحجج والبراهين والصور العقلية، إنها تتحرك بفضاء دوغمائي اعتقادي، يعلي من شأن الاعتقاد علي حساب الانتقاد لأنها إنه شبيه بالنسق البنيوي الذي يشذ من الجزء، يقول ريجيس دوبريه: الزمرة نظام علاقات، معلوم أن العلاقات لا تستطيع صنع نظام مالم يجعل كيان النظام نفسه مستعلياً العناصر التي يدخلها في علاقة، إنه لعدم كمال اجتماعي، وإنه لحاجه شكلية لا تتبدل مهما كانت الاشكال المتغيرة للغاية التي يضيفها ذلك الاستعلاء .

تعقيب:

من كل ما سبق نري:

- أن جرامشي يشخص الواقع المعرفي المتردي، الذي تعتنقه الجماهير التي اعتادت علي لغة واحدة ومفاهيم واحدة ورؤية واحدة وممارسة واحدة وثقافة واحدة،

- من هنا نري أن جرامشي يؤكد علي تشخيص ثقافة الحياة اليومية، لأنه في الحقيقة معنياً بهذه الثقافة أكثر من غيرها، أي إنه يفكر بإصلاح هذه الثقافة بعد تشخيص انتماءاتها الباثولوجية (المرضية) لذا بدأ بفلسفة الحس العام وبعدها بالثقافة الشعبية.

- ولقد أصر جرامشي علي الربط بين مفاهيم تحرر الجماهير والمثقف العضوي والحزب السياسي، وهو يعطي في أعماله للحزب دور أداة بتصرف الجماهير، وهو الاداة القادرة علي التعبير عن الإرادة والطموحات الجماعية لطبقة اجتماعية معينة، وذلك لغرض محدد وهو أن تبلغ الجماهير حالة الهيمنة السياسية "أي بناء أداة هيمنة للطبقة العاملة أو للحزب" بوصفه مثقفاً عضوياً وقيادة سياسية، ومثقفاً جمعياً، واداة لتنظيم الطبقة وللتقدم السياسي للكتلة الشعبية.

- ولقد رأي جرامشي أن الحزب الثوري هو القوة القادرة علي إعداد مثقفين عضويين من أجل العمال وهيمنة في المجتمع المدني وتوحيد مثقفي البروليتاريا مع بعضهم ويوحد ثقافاتهم وبذلك يكون هو المثقف الجمعي الذي يقوم بالتجارب ويواجه الوقائع السياسية يومياً، فالحزب هو الأكثر قدرة علي تغير ميزان القوي الثقافية وفرض هيمنة طبقة اجتماعية بعينها (الطبقة العاملة).

- لقد استطاع جرامشي أن يؤسس مفهوماً حديثاً وعصرياً للهيمنة، وأن يخوض نضالاً قاسياً ضد الاقتصادية الايديولوجية في مجال علم التاريخ وفي مجال نظرية وممارسة السياسة - ولقد استطاع جرامشي من خلال رؤيته لمفهوم الهيمنة أن يعطي أهمية خاصة وفائقة للبنية الفوقية وللمثقفين العضويين، حيث أن الهيمنة الثقافية هي المحرك للدور السياسي للطبقة، أي انتقال البنية التحتية وتناقضاتها للبنية الفوقية، كي يتم بناء تنظيم ثوري يستطيع أن يحكم الأرض، وأن يكون التنظيم جمعاً للطبة العاملة وحلفائها المنحازين للطبقة الثورية العاملة.

- وفي النهاية نأمل أن تكون آراء وافكار جرامشي مساعدة للثوريين في بلادنا في هذه المرحلة التي اتسع فيها نفوذ الطبقة السائدة في أوساط الجماهير الشعبية، والتي خبأ فيها أفق الثورة الاجتماعية، وابتعدت المعارك المباشرة بين الطبقات الاجتماعية، مما يجعل الثقافة الجبهة الأساسية للصراع الاجتماعي.

الفصل الخامس
جرامشي وقضايا المجتمع المدني

ويشتمل هذا الفصل على أهم المباحث الآتية:

- تمهيد:

المبحث الأول: صيرورة مفهوم المجتمع المدني كأداة تحليلية وكمقولة معيارية

أولاً: المجتمع المدني كأداة تحليلية

ثانياً: المجتمع المدني كمقولة معيارية

ثالثاً: الخلفية الفلسفية لفكر جرامشي

المبحث الثاني: الأبعاد الثلاثية لفلسفة جرامشي السياسية

أولاً: الُبعد الأول مفهوم القيصرية

ثانياً: الُبعد الثاني مفهوم حرب المواقع

ثالثاً: البُعد الثالث المجتمع المدني

- تعقيب:

تمهيد:

تُعد ظاهرة القرن العشرين فاتحة عهد الديمقراطية التشاركية ، مفاعيل الهيمنة الجديدة ، كلها مسميات ارتبطت بمفهوم المجتمع المدني، بهيئاته شبه الرسمية والخاصة وغير الحكومية، حيث شهد مصطلح المجتمع المدني منذ الثمانينات من القرن العشرين عودة قوية إلي ميدان النظرية السياسية بل والنظرية الاجتماعية ونظراً للطابع الاشكالي الذي ينطوي عليه المصطلح سنسعي إلي تحديد الإطار النظري لمفهوم المجتمع المدني من خلال تتبع نشأته وتطوره كمفهوم له امتداداته السابقة في الفكر السياسي والفلسفي الغربي، حيث خضع لسيرورة تطور تاريخي.

تكشف طبيعة الاجتماع الإنساني لبني البشر عن ظواهر كانت ميدان النظر الفلسفي، ولعل في مقدمتها ظاهرة المجتمع المدني، الذي تعرضت له كل فلسفة قدمت نفسها كفلسفة سياسية، وأن اختلفت المفاهيم والتحليلات لكل من تلك الفلسفات، وهو ما أدي إلي اختلافها في بلورة هذا المفهوم، لقد أصبح مفهوم المجتمع المدني في الآونة الأخيرة علامة تجارية هامة ورائجة ومتداولة في العالم المعاصر، إذ أصبح مجالاً خصباً للندوات والدراسات السياسية والاجتماعية وأصبح يتردد صداه علي ألسنة مثقفي العالم وسياسيه، وفي المنابر الإعلامية المختلفة.

لقد اصبحت منظمات المجتمع المدني العالمي منها والمحلي بمثابة رجل المهام الصعبة في تذليل العقبات السياسي منها والاقتصادي علي حد سواء، حيث تُعد واقعة المجتمع المدني حالة زحزحت الحدود بين ما هو دولتي من شأن الدولة وبين ما هو مجتمعي من جهة وبين ما هو مدني واقتصادي من جهة أخري، يأتي هذا السعي بشكل موسع لتباين أن فكرة المجتمع المدني يمكن أن تكون مدخلاً لتناول سيرورة الدمقرطة والاجتماع السياسي.

ولقد تطور مفهوم المجتمع المدني في صيغته ودلالته المعاصرة والناجزة مع الفيلسوف الإيطالي انطونيو جرامشي صاحب الباع الواسع في النضال السياسي، مع الأخذ في الاعتبار الخلفيات والمرتكزات الفلسفية التي استند اليها جرامشي في بلورة مفهومه عن المجتمع المدني.

فمفهوم المجتمع المدني مثله مثل باقي المفاهيم في الوقت الراهن، كمفهوم الديمقراطية وحقوق الإنسان، يتمتع بسيرورة تاريخية نقف عليها، والوقوف علي مصادره الفلسفية كخلفيات لها الدور الأكبر في بلورة المفهوم.

المبحث الأول: صيرورة مفهوم المجتمع المدني[*] كأداة تحليلية ومقولة معيارية

لعله من المفارقة الكبيرة أن مركب مجتمع مدني علي شيوعه وتداوله واستخدامه كأداة تحليلية لتفسير صيرورات كبيرة، هو مركب لا تجده في أي من المعاجم العلمية الكبيرة، ولا في دوائر الموسوعات المعرفية المعروفة، وهو غياب قد يكون السبب المباشر فيه هو تنوع استعمالات المفهوم، الأمر الذي جعله يبدو غائماً وضبابياً بعض الشيء وبالتالي عصياً علي التحديد، لكن علي الرغم من ذلك شكل المفهوم أحد أهم محاور النظريات السياسية والفلسفية المهتمة بتفسير النقلات التي عرفتها المجتمعات من حالة الطبيعة إلي حالة المجتمع المنظم ولقد تم استخدام هذا المفهوم كأداة تحليلية وايضاً كمقولة معيارية لتحديد شكل ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع والدولة

أولاً: المجتمع المدني كأداة تحليلية

الاستخدام الأول الذي يعمل علي توظيف المفهوم كنموذج تحليلي، فكلما كان السياق مناسباً إلي استعمالات المفهوم المعيارية سوف نجدها مثبتة في العديد من الفلسفات والنظريات حيث ظل مفهوم المجتمع المدني طوال فترة تذيد علي العشرون قرناً من الزمن سواء تم استخدامه بصيغته المركبة المباشرة (مجتمع مدني) أو أسُتخدم بصيغ أخري يعبر عن صور تجلي المواطنة المدنية ومسارات تطورها، في إطار علاقة يطبعها الاضطراب مع الدولة من جهة والمجتمع من جهة أخري، أو هكذا يقرأ العقل الأوروبي صيرورة تطوره السياسي عبر استخدام مفهوم المجتمع المدني كمفهوم تحليلي التي تستبعد الصورة النمطية الكاريكاتورية لتعريف المجتمع المدني كمجتمع لا سياسي محايد تجاه الدولة، ذلك لأن المفهوم وليد مخاضات تاريخية طويلة متعددة الصور والاشكال، هي التي أوصلته لحالته وتجسيده الراهن وما يوازي ذلك الفكر من تطورات اجتماعية واقتصادية، لا يمكن أن يكون لمفهوم المجتمع المدني أي قيمة دون ربطه بتاريخ العمليات السياسية والاجتماعية التي عرفها الغرب، فالمجتمع المدني هو صيرورة فكرية وتاريخية نحو المواطنة والديمقراطية[1].

---

[*] **المعني اللغوي والاصطلاحي للمجتمع المدني:** سنحاول أن نقف علي الجذر اللغوي لمركب مفهوم المجتمع المدني في اللسان العربي، من خلال المعاجم اللغوية، حيث يحيل الأصل اللغوي لمركب المفهوم إلي دلالات تتعلق بطبيعة البيئة وبطبيعة المُعاش، إضافة إلي الكثافة وأسلوب العيش داخل مجتمع المدينة، حيث يري ابن منظور أن المجتمع مشتق من الجمع وهو كالمنع أي تأليف المتفرق، وجماع الناس أخلاطهم من قبائل شتي، وهو بذلك يتعارض مع منطق التجمعات الصغيرة في الفضاء البدوي المعروفة باسم العشيرة أو العائلة الممتدة حيث يتعمق الفهم اللغوي للمفهوم في الشق الثاني لتكوينته " المدن" الذي هو مرتبط بالحضر، الذي هو خلاف البداوة، والحاضر هو المقيم في المدن، وهو ما يشاطر فيه صاحب القاموس المحيط، فالإنسان يكون مدنياً بإقامته في المدينة وانصهاره في نمط عيشها، حيث يسمي المقيم في المدينة مديني أو مدني، فالحضر هو خلاف البادية فهو نمط عمراني تحكمه ظواهر لا تتوفر في البادية، هكذا يتحدد الفهم اللغوي لمركب المجتمع المدني باعتباره نمطاً حضارياً متفرداً في أسلوب عيشه، ونمط بيئته، فهو يتحدد بالتعارض مع البداوة ونمط عيشها وبيئتها

في هذه اللحظة التحليلية يمكن أن نشير إلي مضمون للمجتمع المدني، أولهما الذي كرسته فلسفة العقد الاجتماعي مع روادها هوبز، ولوك وروسو، الذي يماثل بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي، أي أن المجتمع المدني يخص الحالة التي تعبر عن الانتقال بفعل التعاقد من حالة الطبيعة إلي حالة المجتمع الذي يعني الدولة، وفي هذا السياق يتم استحضار مجموع من المفردات التي لا يمكن للمجتمع المدني أن يقوم بدونها، مثل المتوحش كنقيض المدني، والمواطنة كتجسيد قانوني لفعل التعاقد، يقول برجسون "قوانين المجتمع المدني هي التي تكبح بغي الأفراد وتجاوزهم لقوانين العدالة".

ثانياً: المجتمع المدني كمقولة معيارية

أما الاستخدام الثاني : الذي يعبر عنه المفهوم فهو أحد تجلياته التاريخية، لكن هذه المرة في سياق الفلسفة السياسية اليونانية القديمة، وفي أطار دولة المدينة (أثينا) كمجتمع مدني يكون الاجتماع فيه لمجتمع المواطنين، انتماء مخصوصاً لفئة معينة تتحد في فئة أرباب المنازل الذين يديرون اقتصاداً منزلياً هو قوام الحياة الاقتصادية حينها، فمجتمع أثينا كمجتمع مدني قائم علي الديمقراطية المباشرة التي تفترض مشاركة المواطنين بفاعلية في إدارة شأن المدينة، هو مجتمع يفرض قيوداً علي استحقاق المواطنة حيث ظل العبيد والاطفال وحتي الشباب والرجاء الذين لا يمتلكون صفة رب البيت خارج دائرة هذا المجتمع المدني لكونهم لا يديرون نشاطاً اقتصادياً خاصاً بهم، كان ذلك هو معيار المواطنة الكاملة التي تعطي حقوقاً كاملة.

فليست العضوية في هذا المجتمع المدني عضوية طوعية أو خيارية، بل هي استحقاقية يعمل فيها الإقصاء دوراً اساسياً علي الرغم من قيامها علي الديمقراطية المباشرة، هذا الطرح هو ما يمكن استخلاصه من تنظيرات ارسطو السياسية، حول مجتمع المدينة الذي يبدو متحراً من أي قبضة أو ضبط خارجي مصدره الدولة أو السياسة

أما الاستخدام الثالث أما اللحظة التحليلية الثالثة التي ستمثل منعرجاً مهماً في مفهوم المجتمع المدني هي لحظة هيجل والفلسفات السياسية الماركسية، فالمجتمع المدني عند هيجل هو مجتمع الأفراد المنقسم علي نفسه، يعتبر نظام السوق وعلاقاته النموذج المثالي لصورته، لذلك لا يعتبر المجتمع المدني عند هيجل غاية في حد ذاتها، إنما هو تمهيد لمرحلة الدولة التي تتضمن مكاسبه وتتجاوز مثاليته، إن اهمية هذه اللحظة التحليلية هي تعميق علاقة مفهوم المجتمع المدني بمفهوم المجتمع والدولة، بحيث لا يمكن وعيه أو ادراكه بمعزل عن تلك العلاقة ذات المنحني الديالكتيكي التطوري عند هيجل ففي حين تشكل لحظة الأسرة والجماعة الأولية، لحظة أواصر التعاطف والمحبة والتكامل علي اساس شعوري، فإن لحظة المجتمع المدني علي النقيض تمثل لحظة بروز رابطة المصلحة، بالتالي يكون المجتمع المدني عند هيجل حقيقة اقتصادية أنانية بالدرجة الأولي، لكنه في جانب آخر هو الذي يتحقق فيه واقعة أن يكون الإنسان فرداً بما تعنيه الفردية في العصر الحديث من حرية.

ففي التقليد النظري الماركسي نجد مطابقة شبه تامة بين المجتمع المدني والبرجوازي، يعني ذلك ربط المفهوم بالواقعة الاقتصادية، وجعل مفهوم المجتمع المدني بمؤسساته وأجهزته أداة قسر وقمع بيد الطبقة البرجوازية ضد الطبقات الأخرى، هذه الإشارة ما سيلتقطها جرامشي ليستأنف القول الماركسي في المجتمع المدني الذي تم اهماله في النظرية الماركسية، فسيعمد جرامشي إلي رفع المفهوم من بنيته التحتية إلي جعله إحدى أسس البنية الفوقية والتحتية معاً، اللتان يخاض فيهما الصراع مادياً و ايديولوجياً معتبراً أن كل المؤسسات غير الرسمية بين الفرد والدولة والمجتمع هي مجتمع مدني.

المبحث الثاني: الأبعاد الثلاثية لفلسفة جرامشي السياسية :

إذا كان المجتمع المدني تحدد في السياقات الفلسفية قبل جرامشي، سواء في فلسفة العقد الاجتماعي بالمماهاة بينه وبين المجتمع السياسي، أو تحدد من منظور هيجلي باعتباره مرحلة التوسط بينه وبين الأسرة والدولة، أو تحدد من منظور ماركسي باعتباره فضاء للذود عن الحقوق من منطلق أن الدولة لا تعدو أن تكون جهازاً بيروقراطياً تمارس من خلاله طبقة مسيطرة اقتصادياً هيمنتها، فإن جرامشي ورغم إفادته من تلك التصورات التي مثلت مصادر له إلا إنه استطاع أن يقفز بالمفهوم إلي أبعد من تلك التصورات، ليتحدد المفهوم معه ضمن أُطر جديدة تتجاوز المحددات التقليدية التي في فلسفة العقد وتحديد يقفز به عن حالة السلب التي وضعه فيها هيجل كلحظة تمزق وصراع،ما يهمنا الآن هو أن جرامشي ُيقر في كراساته بضرورة تثبيت مستويين فوقيين أساسيين، أولهما هو المجتمع المدني أي مجموع التنظيمات الخاصة، وثانيهما هو المجتمع السياسي أو الدولة والقاسم المشترك بين هذين المستويين هو نمط الهيمنة الذي تتخذه كل صيغة من صيغهما (هيمنة قصرية وأخري شرعية) ومن هنا كان المجتمع المدني عند جرامشي ليس فضاء للتنافس الاقتصادي مثلما يعتقد هيجل أو ماركس، بل فضاء للتنافس الايديولوجي ومن هنا كان بناء فوقيا.

يتعمق فهمنا لأهمية المجتمع المدني عند جرامشي، عندما نربطه بما يميز الفكر الجرامشي وهو ذلك السعي الدؤوب، صوب رسم خطة استراتيجية، لنهضة الأحزاب الشيوعية، إضافة إلي استراتيجية الثورة الملائمة للغرب، من تأتي أصالة الممارسة الفلسفية عند جرامشي كفلسفة حقة للممارسة.

أولاً: البعد الأول مفهوم القيصرية:

تعود أهمية هذا المفهوم بالنسبة لموضوعنا في أن السياق التحليلي الذي يورده فيه جرامشي ينم عن تلك الوضعية من حالة توازن القوي بين الجماعات الاجتماعية، وهي الحالة التي يصعب فيها حسم الصراع لصالح إحدى القوتين، هنا يأتي ما يسميه جرامشي، بالحل القيصري،في هذا الظرف الذي يحتاج إلي بلورة حل لهذه الأزمة نرصد من خلال تحليل جرامشي لهذه الوضعية

إنها تنطوي علي بعدين أساسيين:

- **البعد الأول:** هو أن القيصرية إمكان لأن تتولي القوي التقدمية زمام الأمر وبالتالي نجاح المهيمن عليهم في إضفاء صيغتهم التحررية علي الدولة،

- **البعد الثاني:** للحالة القيصرية هو إنها قد تكون انتكاسة لبلورة هيمنة طبقية حادة، فما يظهر للوهلة الأولي، باعتباره مصالحة ينقلب مع القوي الرجعية إلي انغلاق يستحيل معه أي امكانية جديدة لبلورة مشروع ثوري تتقدم من خلاله القوي التقدمية إلي الواجهة، لكن جرامشي في معرض حديثه عن القيصرية ينبهنا إلي ضرورة عدم حصر الحالة القيصرية في حالة التوازن بين القوي أو حصرها في حل التسوية غير العضوي الذي يمثله قيصر، فلابد من أن ندرس التفاعل في العلاقات بين الجماعات الرئيسية بين الطبقات الأساسية وتخضع لنفوذها المهيمن.

إن قيصر هو شخصية كارزمية لها القدرة علي استيعاب التناقضات، فهو من رجال القدر الكارزميون، لكن قد يكون الحل القيصري لا يقتصر في حال الشخصية الفردية، بل قد يكون نموذج حكومة، فالصيغ الائتلافية للحكومات التوافقية، التي تمهد لتأسيس جديد تمثل حسب جرامشي حلاً قيصرياً، فاللحظة القيصرية هي لحظة استثناء مشحونة بالسلب الذي يميز النخب الطلائعية للطبقات الاجتماعية وأُطرها التنظيمية- الأحزاب والنقابات، فعندما يحدث الشرخ بين الطبقات واحزابها التقليدية، يصبح الوضع حرجاً، لأن المجال ينفتح أمام الحلول العنيفة ونشاطات القوي المجهولة التي يمثلها رجال القدر الكارزميون.

في هذه اللحظة يحدث ما يسميه جرامشي بتوغل البيروقراطية بجهازيها المدني والعسكري، وتكثر التداخلات وتنشط دوائر المال العليا، وهو ما يفتح الباب امام أزمة هيمنة الطبقة الحاكمة، لكنه كذلك هو ما قد يسد الباب امام الطبقات المسحوقة إذ لم تستثمر هذه اللحظة التاريخية، كل هذه الظروف تغذي الثورة وتهيئي لأزمة سلطة الطبقة المهيمنة، يقول جرامشي " إذا لم تجد الأزمة هذا الحل العضوي، وكان الزعيم الكارزمي هو الحل فهذا يعني وجود توازن استاتيكي قد تتباين عوامله لكن العامل الحاسم بينها هو نضج القوي التقدمية.

فعلي الرغم من إيجابية الحل القيصري كتسوية مؤقتة للأزمة إلا أنه يبقي سلبياً فهو يعبر عن عدم نضج القوي التقدمية، وهو من جهة أخري قد يُفضي إلي رجعية أكثر حدة في هيمنتها من سابقتها، كما أن

سلبية الحل القيصري لا تنبع فقط مما سبق ذكره، بل تنبع من أمر جوهري قد يكون السبب الرئيسي في عدم قبوله للحل القيصري، هو أن هذا الأخير يكرس للنفوذ الفردي الذي يقود إلي الديكتاتورية التي يراها جرامشي نحساً أصاب الغرب عموماً و ايطاليا خصوصاً، فنجد موسوليني حسب جرامشي، هو نموذج قيصري قادت إليه الأزمة التي عاشتها ايطاليا، كما أن السبب الكامن وراء هذا الشلل في عدم اقتناص هذه الفرص (وضعية أزمة الطبقة المهيمنة) يرجع إلي عدم فاعلية مؤسسات المجتمع المدني للطبقات الشعبية، إذ تحول الحزب ـ باعتباره اطاراً من أُطر تلك المؤسسات والذي هو المسئول عن إدارة مثل هذه الظروف ورصد فرص الهجوم فيها إلي مومياء بالية فالأحزاب يقول جرامشي تنشأ وتكتل كتنظيمات لكي تؤثر في الوضع القائم في لحظات تاريخية حاسمة بالنسبة لطبقتها، لكنها ليست قادرة دائماً علي التكيف مع المهام الجديدة والعهود الجديدة أو مسايرة تطور مجمل علاقات القوي.

والقيصرية بما هي استثناء، فنتيجة لعدم نضج القوي التقدمية التي توجد في الأوساط الشعبية قاعدتها الفلاحين (المزارعين)، وعمال الساعات في المصانع لأخذ زمام المبادرة، ونتيجة كذلك لعجز القوي المحافظة في الدفاع عن هيمنتها التي تجد قاعدتها في البرجوازية العليا عندها تكون طبقة من يسميهم جرامشي البرجوازية الصغيرة التي تمثل شريحة واسعة، وتكون هذه الطبقة هي اليد التي تضرب بها القيصرية، وهي التي تمثل الوظيفة البيروقراطية لها سواء كانت مدنية أو عسكرية، في المدن أو في القري.

ولئن كانت القيصرية في مفهومها القديم تعبيراً، عن وضعية التوازن المأساوي بين القوتين المتصارعتين، بحيث لابد أن يؤدي الصراع بينهما إلي تدمير كلا منهما للأخرى، فالقيصرية وإن كانت دائما تعبيراً عن حل خاص يعهد فيها إلي شخصية عظيمة بمهمة التحكيم في وضع تاريخي سياسي، إلا أن دلالاتها التاريخية ليست واحدة دائماً، فالقيصرية تكون تقدمية عندما يساعد تدخلها القوة التقدمية علي النصر، وأن يكون نصراً يقلل من القيود والحلول الوسط، وتكون رجعية عندما يُعين تدخلها القوة الرجعية علي الانتصار المقترن ببعض القيود والتنازلات وإن اختلفت قيمتها ومغزاها.

فالقيصرية الحديثة هي مشروع لا يستطيع أن ينجح كما هو شأن القيصرية القديمة في الاستيعاب المتبادل والاندماج، الذي استطاعت القيصرية القديمة من خلاله منع القوي المتصارعة من التحلل، فالقيصرية القديمة علي الرغم من سلبيتها حسب جرامشي إلا إنها تعبر عن وضع كاف لتحقيق الأهداف التاريخية والسياسية لتجاوز الطور المأساوي، ذلك لأن الصراع في العالم الحديث الذي هو من طبيعته ايديولوجياً من الأساس هو صراع قوي لا يوجد له حل تاريخي، وهو ما يعني أن الحسم الذي يؤدي إلي التوازن العضوي لا مفر من أن يكون لصالح بقاء واحدة منها علي حساب الأخرى، لذلك فإن المجال الذي يتحدد فيه الحل القيصري هو مجال يعبر عن ذلك العجز في كل من القوتين المتصارعتين عن التعبير المستقل وعن إرادة إعادة البناء.

من هنا نخلص إلي أن القيصرية هي دائماً استثناء، يؤكد قاعدة سابقة لا ينفيها، وإن خرج هذا الاستثناء عن قاعدته، فقد تتخذ شكلاً تقدمياً يبشر ببوادر عصر جديد، هكذا نختصر معني القيصرية عند جرامشي في إنها حل سلبي، قد يوجه إلي جرامشي، انتقاد مفاداه إنه من أنصار الثورة الدائمة أو حرب الحركة التي تستهدف نسق كل البناء السابق لأجهزة الهيمنة للطبقة المسيطرة، ليكون بذلك ماركسياً تقليديا، لكن هذا الانتقاد لا يستند لقاعدة صلبة في تحليله وانتقاده فجرامشي وخلافاً للماركسية التقليدية ينظر لصيغة ثورية تتحدد حسب سياقات مدروسة سلفاً لا ولعل مفهوم حرب المواقع الذي يمثل في نظره النموذج لثورة الغرب هو ما يجسد ذلك بكثير من الحرفية، تقوم علي سياسة المجازفة والمسح الكلي.

ثانياً: البعد الثاني مفهوم حرب المواقع

ضمن هذا المفهوم نتحدث عن الاستراتيجيات التي تتخذها صيغ الصراع في المجتمع المدني خاصة والدولة عامة، حيث نجد جرامشي يفيد في هذا الإطار من أساليب الحروب العسكرية وتكنيكها محاولاً سحب هذا التكنيك إلي فضاء الهيمنة (الصراع المادي والايديولوجي بين الأطر التنظيمية للطبقات) وفي هذا الإطار تبرز مفاهيم من قبيل حرب الحركة والحرب السرية وحرب المواقع الثابتة، فحرب المواقع من بين كل الأساليب التي يتجلى بها الصراع ومن خلالها يحسم فهي الأنسب للفضاء الغربي، حيث تكون الدولة محصنة بمتاريس المجتمع المدني التي تستنفذ إمكاناتها في وقت الهجوم، يقول جرامشي" ينبغي أن يحدث مثل هذا التحول في فن وعلم السياسة علي الأقل في الجزء الأكثر تقدماً".

إن ما يراه جرامشي أمراً ضرورياً هو الوقوف علي أي عناصر المجتمع المدني يناظر الأنظمة الدفاعية في حرب المواقع الثابتة؟، إن ذلك لا يأتي حسب جرامشي إلا بدراسة متعمقة لأحداث الثورة البلشفية ١٩١٧م، إذ من خلال هذه الدراسة يمكن اكتشاف السطح الملائم لحرب المواقع الثابتة، فاختلاف الظروف والتشكل الذي يتشكل به المجتمع المدني ومعرفة أساليب تخندقه هو الكفيل بضمان خوض حرب لا تستنزف الوضع الاجتماعي وبالتالي لا تؤدي للحل القيصري، تلك هي المهمة التي يحاول جرامشي - من خلال تحليله المعمق للظروف التي يتميز بها الغرب عن الشرق، أن يضطلع بها ومن ثم يرسم من خلالها نموذج الاستراتيجية الملائمة، لسيطرة القوي التقدمية ممثلة في اطرها التنظيمية من احزاب ونقابات علي الدولة في الغرب، من ثم بسط هيمنتها لقد أشار جرامشي إلي أهمية انتشار النماذج الحديثة في الدولة المعاصرة، أنظمة الجمعيات من اتحادات ونقابات ونمو بيروقراطيات الدولة مما تمخض عن تلك التغيرات التي عرفها الغرب هو أن تكنيك الهيمنة عرف منعطفاً جديداً وأساليب جديدة في تجسيده .

ينطلق جرامشي من إنحيازه لحرب المواقع الثابتة علي حرب الحركة التي نظر اليها تروتسكي(*) من رهانات، يتعلق بعضها بطبيعة المجتمع الغربي التي تميزه عن الشرق، في حين ينطلق في بعضها الآخر من رهان أكبر يتمثل في أن كسب حرب المواقع الثابتة يعني كسبها نهائيا.

يقول جرامشي " إن انتقال حرب المواقع إلي المجال السياسي يعني إنه قد تم الدخول إلي مرحلة انقلابية في الموقف السياسي، لأن حسم هذه الحرب في مجال السياسة يكون حسماً نهائياً في حين تمثل حرب الحركة كسباً للمواقع غير حاسمة، فالدولة لا تعبئ كل موارد هيمنتها"، يبدو ذلك واضحاً عندما تم التحول من حرب الحركة التي طبقت بنجاح في الشرق ١٩١٨ إلي حرب المواقع التي كانت الشكل الوحيد الممكن في الغرب لسبب يراه جرامشي جوهرياً وهو أن الدولة في روسيا انت كل شيء وأن المجتمع المدني كان هولامياً وبدائياً، أما في الغرب كان هناك تناسب سليم بين الدولة والمجتمع المدني، فعندما تتزعزع أركان الدولة تظهر علي الفور البنية القوية للمجتمع المدني، فالدولة خندق خارجي تقف وراءه منظومة جبارة من القلاع والمتاريس.

إذا أردنا الوقوف علي فهم دقيق لنماذج حرب المواقع وحرب الحركة، نعرض لتصور جرامشي عن أحداث تاريخية، **شكل كل منها نموذجاً لأحد أساليب الحرب:**

- إذ تمثل الثورة الفرنسية ١٧٨٩م حركة سياسية
- تلتها حرب مواقع طويلة امتدت من ١٨١٥م حتي ١٨٧٠م
- تمثل ثورة البلاشفة ١٩١٧م حرب حركة سياسية أخري قامت علي اساس الهجوم المباشر وامتدت حتي ١٩٢١م.
- ثم تلتها حرب مواقع ان ممثلها العملي والايديولوجي في ايطاليا هو الفاشية.

هكذا فإن المنطق الذي يحكم اختيار جرامشي لأسلوب حرب المواقع في الغرب علي أسلوب حرب الحركة هو سعي خفي يتمثل في عدم انجراره للمقولات الشيوعية المتحمسة، فجرامشي من خلال تعويله علي حرب المواقع، يستهدف هدفاً إصلاحياً فما يجعل اسلوب حرب الحركة الذي يأتي علي الأخضر واليابس ملائماً للدول المختلفة يكمن في عدم امتلاكها لبني مؤسسية هامة، في حين تنطوي الدول الحديثة علي بنية مؤسسية أفرزتها المسارات الطويلة لممارسة بيروقراطية، من هنا كانت استراتيجية الهجوم في حرب المواقع هي هجوم مباشر علي أجهزة الهيمنة القوية في لحظات الأزمة لكسر هيمنة الطبقة الحاكمة.

(*) تروتسكي Trotsky (١٨٧٩ – ١٩٤٠م) هو ماركسي بارز، وأحد زعماء الحركة الشيوعية العالمية في النصف الأول للقرن الماضي، ومؤسس المذهب التروتسكي الشيوعي بصفته إحدي فصائل الشيوعية الذي يدعو إلي الثورة العالمية الدائمة، وهو ايضاً مؤسس الجيش الأحمر

ثالثاً: البعد الثالث المجتمع المدني

إذا كان مفهوم القيصرية يُعبر في منطقه عن حالة السلب التي تعتري الطبقات وأُطرها التنظيمية، وكان مفهوم حرب المواقع، يُعبر عن الشكل الوحيد الممكن للنضال السياسي في فترات الاستقرار النسبي نتيجة للتوازن بين الطبقات، فإن المجتمع المدني عند جرامشي، يُعبر عن نقطة الارتكاز المحورية التي تدور حولها كل الاشكال التي يظهر بها الصراع، ويخاض بها ويتشكل فيها، وإن تعدد المنطق الذي يحمله المفهوم في كل مستوي من مستوياته من وضعية المتاريس التي تنتصب للدفاع وقت الهجوم مروراً بمستوي التنظيمات الفاعلة التي تحمل بوادر التغيير الجذري وصولاً إلي مستوي احتوائه لدور الدولة أي طور المجتمع المنظم.. كيف ذلك؟

سنحاول نستخرج الإجابة علي هذا السؤال من خلال شبكة عناوين يتعلق بعضها بماهية مفهوم المجتمع المدني وحقيقته العملية، ويتعلق بعضها الآخر بنسيج العلاقات التي ترتبط هذا المفهوم بمفاهيم اخري من قبيل الدولة والهيمنة والتحرر والاقتصاد والمجتمع المنظم، ومن الجدير بالذكر إننا ندرس هذه المفاهيم ليس في بُعدها النظري فحسب،بل في سياقها وبعدها العملي ايضاً، وهو ما سيمكننا من الإحاطة بفهم موضوعي ودقيق لحقيقة المجتمع المدني عند جرامشي، وإزالة اللبس الذي لدي البعض عن غموض المفهوم عند جرامشي.

و لكن كيف يري جرامشي المجتمع المدني؟

علي الرغم من أن ماركس أطلق مفهوم المجتمع المدني علي البنية التحتية ونمط الانتاج وقام بتحليله، إلا أن جرامشي نسب هذا المفهوم إلي البنية الفوقية، وقسم تلك البنية الفوقية إلي قسمين المجتمع المدني، يقابله المجتمع السياسي(الدولة) والمجتمع المدني في صورته المعاصرة المعقلنة كما فرضته الأدبيات الحديثة،عند جون لوك وهوبز، هو باختصار كل ما يقع خارج سيطرة الدولة

بالأساس لكونه نتج في شكل من أشكال التعاقد المجتمعي "عقد اجتماعي" تقوم عليه سلطة تحقق أمنه وضمان الحفاظ علي ممتلكاته ومصالحه الشخصية كما يري جون لوك.

ويّعرف جرامشي المجتمع المدني قريباً من تلك الأدبيات، لكنه يبعدها عن تدخل الدولة القهري فهو يعرفه، بأنه شبكة أفقية من المنظمات، والعلاقات المهنية، تنتظم في الحياة الاجتماعية مثل النقابات، والأحزاب والصحافة، و المدارس، باختصار كل ما هو خارج سلطة الدولة، أو كما يقول هابرماس(*) " الرأي العام غير الرسمي أي الذي لا يخضع لسلطة الدولة "، ومن خلال هذه المؤسسات يتم نشر القيم والأفكار، وهي منطقة صراعات الهيمنة، فيها يتم إنتاج وإعادة إنتاج أيديولوجيا الطبقة المسيطرة من خلال تجسيد تلك الإيديولوجيا وتحقيق إجماع جماهيري، من هنا نري جرامشي يضع المجتمع المدني، في موضع بين البنية التحتية (الاقتصادية)، والبنية الفوقية (الدولة والمجتمع السياسي) بخلاف ماركس.

وفي المقابل يموضع جرامشي، المجتمع السياسي، بوصفه المجتمع الذي يقوم علي ممارسات القهر والانضباط المباشر والوظائف التنظيمية، وفي الجمع بين المجتمعين السياسي والمدني تظهر الدولة في شكلها الجدلي، ويكون عمادها هو الهيمنة الثقافية من ناحية، والسيطرة السياسية والقانونية من ناحية أخري، وبين الناحيتين يكمن المثقف، ممارساً مهامه السياسية والثقافية والاقتصادية علي اعتبار أن المثقف العضوي هو الطبقة الإسمنتية بين البنية الفوقية والبنية التحتية لذلك اختصه جرامشي بالتنظير في المقام الأول.

١- دور المجتمع المدني ووظائفه ومكوناته:

إن جوهر دور المجتمع المدني هو تنظيم وتفعيل مشاركة الناس في تقرير مصائرهم ومواجهة السياسات التي تؤثر في معيشتهم، وما تقوم به من دور في نشر ثقافة خلق المبادرة الذاتية، ثقافة بناء المؤسسات والتأكيد علي إرادة المواطنين وجذبهم إلي ساحة الفعل التاريخي، والمساهمة الفعالة، في تحقيق التحولات الكبرى حتي لا تترك حكراً علي النخب الحاكمة.

وارتباطاً بهذا الدور تتبلور خمس وظائف تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني وهي:

١- وظيفة تجميع المصالح.

٢- وظيفة حسم وحل الصراعات.

٣- زيادة الثروة وتحسين الأوضاع.

٤- إفراز القيادات الجديدة.

٥- إشاعة ثقافة ديمقراطية.

أ- مكونات المجتمع المدني:

أما مكونات المجتمع المدني، فهي أي كيان مجتمعي منظم، يقوم علي العضوية المنتظمة، التطوعية، في قطاعات عامة أو مهنية، أو اجتماعية، ولا تستند فيه العضوية علي عوامل الثورة وروابط الدم،

(*) يورغن هابرماس: فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر، يُعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة، في عالمنا المعاصر، ولد في دوسلدورف في ألمانيا، وما زال يعيش في ألمانيا، يُعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت، له أكثر من خمسين مؤلفاً، وصل هابرماس إلي درجة عالية من الشهرة والتأثير العالمي

والولاءات الأولية مثل الأسرة والعشيرة والقبيلة، والطائفة وبالتالي فإن أهم مكونات المجتمع المدني هي: النقابات المهنية، النقابات العمالية، الحركات الاجتماعية الجمعيات التعاونية الزراعية والحرفية والاستهلاكية والاسكانية، والجمعيات الأهلية، نوادي هيئات التدريس بالجامعات والنوادي الرياضية، ومراكز الشباب الاتحادات الطلابية، الغرف التجارية والصناعية، وجماعات رجال الاعمال، والمنظمات الغير الحكومية المسجلة، مثل منظمات حقوق الإنسان والمنظمات الدفاعية والصحافة وأجهزة الاعلام والنشر غير الحكومية.

مما سبق نستنتج أن هناك ثلاثة مصطلحات تشكل اركان مثلث فكري لا يمكن فصلها عن بعضها عن بعض، لأي مجتمع ينشد التطور الحضاري وهي: المجتمع المدني وحقوق الإنسان والديمقراطية

- فالمجتمع المدني: هو مجتمع المؤسسات الأهلية المرادفة للمؤسسات الرسمية، وتشمل الميادين السياسية والمهنية والاجتماعية والثقافية

- وحقوق الإنسان: الحقوق الاساسية للإنسان في التمتع بالعيش الكريم وضمان حريته وصيانة كرامته وتوفر العدالة في حصوله علي حقوقه

- أما الديمقراطية: فهي المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار وقبول التعددية

ومن ثم فإن المجتمع المدني الذي نتحدث عنه اليوم، لم يُعد مجرد مفهوم يشير إلي مستوي من مستويات النشاط المجتمعي الذي يتسم بالتعددية والتناقض والجزئية والمصلحة الخاصة، لكنه يشير إلي مجموعة من المنظمات النشيطة، التي يمكن تعيينها،وتحديد موقعها ومكانها والأدوار الكبيرة، التي تلعبها بموازاة الدولة أحياناً و أحياناً ضدها، ولكن ما هو أهم من ذلك أن المجتمع المدني لم يعد يُنظر إليه علي إنه تجسيد للخاص، وللمصالح الجزئية،في مقابل الدولة المجسدة للعام وللمصالح الكلية، ولكن كدولة مقابلة، أي كمنظمات ذات نفع عام، واهداف كلية، تخدم أهداف عامة،ومن المؤكد أن فك الاشتباك بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني، وتحرير هذا الأخير من هيمنة الدولة، سيساهم في وضع مشروع دمقرطة المجتمع موضع التطبيق، وبالتالي في بناء مجتمع ديمقراطي فيدرالي موحد.

٢- المجتمع المدني بين ثنائية الهيمنة والتحرر:

تكمن أهمية مفهوم المجتمع المدني داخل النسق الجرامشي في عوامل اهمها: أن هذا المفهوم يُعد تتويجاً لمسار فلسفة الممارسة التي ساهم في التنظير لها، ميزة هذه الفلسفة كما يقول إنها لا تعترف بالعوامل المتعالية بالمعني الميتافيزيقي، بل تعتمد كلية علي فعل الإنسان الملموس الذي تجبره الضرورة التاريخية علي العمل وتغيير الواقع، كما تنبع محورية هذا المفهوم في التصور الجرامشي من شحنه بمدلولات تجد صيغتها الكاملة في أن كون المفهوم مرادفاً للدولة الاخلاقية

والثقافية ما نظر لها هيجل وكروتشة

إن مفهوم المجتمع المدني، هو المفهوم الذي يراهن عليه جرامشي في صياغة ثورة الغرب، ونهضة الأحزاب الشيوعية، من هنا كانت أهميته ومركزيته عنده.

٣- المجتمع المدني بين ثنائية الدولة والاقتصاد:

يقول جرامشي " ينبغي التمييز بين المجتمع كما تصوره هيجل وكما نستخدمه في هذه اللحظات (أي بمعني الهيمنة السياسية والثقافية لجماعة اجتماعية علي المجتمع كله باعتباره المضمون الأخلاقي للدولة) من جهة، وبين المجتمع المدني كما يتصوره الكاثوليك فهو عندهم المجتمع السياسي للدولة الذي يقابله مجتمع الأسرة ومجتمع الكنيسة.

تكشف السيرورة التاريخية للمفهوم أن جرامشي استعاده بعد فترة من غياب المفهوم عن الساحة الفكرية، لقد طرح جرامشي منذ عام ١٩٢٠م إلي أي مدي يمكن أن تتلاءم استراتيجية الاستيلاء علي السلطة من قبل الطبقة العمالية مع الظروف المميزة للمجتمعات الغربية؟ وللإجابة علي هذا السؤال استعاد جرامشي مثل بيرجسون(*) في القرن ١٨ مفهوم المجتمع المدني، لقد وجد جرامشي نفسه في وضع من يطرح اسئلة غير مألوفة إن ما يميز هذه الاستعادة الجرامشية للمفهوم هو أنها استعادة تفريغ وشحن جديد، بحيث لم تعد التحديدات الهيجلية وحتي الماركسية صالحة، حيث اصبح المفهوم يُعبر عن صيغ جديدة، تجد التعبير الأمثل لها في مفهوم الهيمنة، الذي اعتبر جرامشي أن اكتشافه مثل حدثاً ميتافيزيقياً عظيما.

الحقل الذي يمكن من خلاله فهم الهيمنة هو حقل التنافس والصراع بتربته الممثلة بالمؤسسات فالهيمنة هي دائماً علاقة ذات منطق خاص بين طرفين، يحاول احدهما فرض الوصاية والسيطرة ومن ثم القيادة علي الطرف الآخر، يقول جرامشي" أن أي علاقة تقوم علي الهيمنة هي بالضرورة علاقة تربوية نجدها داخل الأمة الواحدة بين مختلف القوي المكونة لها، بل وفي المجال الدولي والعالمي بين مركبات الحضارة القومية والقارية.

وما دمنا نتحدث عن سياق الهيمنة في فكر ماركسي فإن المجال الذي تستحضر فيه هو مجال الصراع الطبقي بين القوة البرجوازية المهيمنة، وطبقة الشغيلة المهيمن عليهم، ومادام جرامشي يقول بأنه من أجل أن تخلق وتنمو إرادة جماعية، لابد من الكشف عن الشروط اللازمة لذلك،لابد من الكشف عن تلك الشروط ضمن مستويي الهيمنة، فهناك هيمنة كما هي في الواقع هيمنة برجوازية، وهناك هيمنة ما

(*) هنري برجسون Bergson (١٨٥٩- ١٩٤١م) فيلسوف فرنسي، يعتبر برجسون من أهم الفلاسفة في العصر الحديث، كان نفوذه واسعاً وعميقاً، حاول أن ينقذ القيم التي أطاحها المذهب المادي، ويؤكد ايماناً لا يتزحزح بالروح، أدت شعبية برجسون الكبيرة إلي إثارة الجدل في فرنسا، حيث نظر إلي آرائه إنها معارضة للموقف العلماني والعلمي الذي يتبناه مسئولو الجمهورية

ينبغي أن يكون، أي هيمنة القوي التقدمية وسحب البساط من القوي البرجوازية في هذين البعدين يتحدد معني الهيمنة كقيادة.

يقول جرامشي (لا يوجد أحد في أي مجتمع بل تنظيم وبلا حزب، إذا اخذنا التنظيم بالمعني الواسع وليس بالمعني الشكلي، ومن بين الجمعيات الخاصة والكثيرة " وهي نوعان النوع الأول طبيعي والثاني تعاقدي أو طوعي" جمعية واحدة هي التي لها الغلبة المطلقة أو النسبية وتشكل جهاز هيمنة الدولة بمعناها الضيق جهاز حكومي قهري)

إن بسط هيمنة الطبقة علي كل الأهالي يعني بسط هيمنتها علي كافة أنواع النشاط في المجتمع الاقتصادي والفكري والأدبي،فهي تقدم نفسها علي إنها النموذج الأوحد للتقدم، وإذا لم تحقق الطبقة هذه السيطرة فإنها تبقي عاجزة عن تأسيس دولة، حيث يميز جرامشي في لحظات هيمنة الطبقة البرجوازية بين مرحلتين، **وهما أولاً: مرحلة الخواء** التي تعبر عن اللحظة التي لم تكن فيها الطبقات المحافظة متجهة إلي تنظيم الانتقال العضوي للطبقات الأخرى إلي مواقعها أي إنها لم تكن معنية بتوسيع مجالها الطبقي تكنيكياً و ايديولوجياً فكانت رؤيتها رؤية طائفية مغلقة، أما في لحظتها الثانية فقد كان ابداع الطبقة البرجوازية متمثلاً في الثورة التي احدثتها في مفهوم القانون، وفي هذه اللحظة (لحظة تحلل الهيمنة) يبرز دور المجتمع المدني.

فالدولة خندق خارجي تقف وراءه منظومة جبارة من القلاع والمتاريس التي تمثل أجهزة هيمنة الطبقة الحاكمة الثقافي والاداري والاقتصادي بدءاً من المدرسة التي تؤدي الوظيفة التربوية ووسيلة الأعلام والجامعة مروراً بالشركات الاقتصادية والمنظمات ذات الطابع الطوعي وصولاً إلي اجهزة الهيمنة السياسية ممثلة في السلطات الثلاثة، حيث يؤكد جرامشي علي حقيقة أن الدولة ليست جهاز للحكم فحسب، بل ايضاً جهاز الهيمنة الخاص (المجتمع المدني)، إذن في ضوء التشبع الذي بلغت ذروته الطبقة الحاكمة تبدأ هيمنتها في التصدع والتحلل بفعل عوامل شتي، متيحه المجال للقوي التقدمية لبلورة هيمنتها هي الأخرى ايضاً عن طريق أُطرها وتنظيماتها الخاصة وبالأساليب التي تليق بهذه البني المؤسسية التي تخلفها الطبقة الحاكمة.

إنه انطلاقاً من قاعدتي أن كل طبقة هي في جوهرها حقيقة اقتصادية، وقاعدة أن العلاقات الاجتماعية الأساسية تتبدل بالضرورة حتي داخل الإطار السياسي الواحد، تبرز قوي جديدة تنمو وتؤثر بشكل غير مباشرعن طريق الضغط البطيء والمستمر دون تراجع علي القوي الرسمية التي تقوم بتعديلها دون ادراك منها بذلك، فإن الوضعية المزرية لغالبية الشعب اقتصادياً تدفعهم للاتحاد في طوائف لا بالمعني التقليدي، بل بمعني طائفية الوظيفة الاجتماعية غير المقيدة بشرط الوراثة أو أي شرط آخر، فالمعني الحديث لهذه الكلمة يقول جرامشي يتحدد بحيث لا يمكن أن يكون لها حدود مُطلقة ومانعة كما

كان في الماضي، وهذه الأشكال التجمعية هي التي تعبر عن بداية خلق هيمنة جديدة، التي تطور نفسها بقوة تنظيماتها ومثقفيها العضويين وبسط هيمنتها علي الدولة في لحظة أزمة الطبقة المهيمنة.

الأزمة عند انطونيو جرامشي لها مستويان: أحدهما سلبي يتمثل في الوضعية التي يكون فيها القديم يحتضر والجديد لم يولد بعد، وفي هذا المستوي تنشط تلك الحلول العنيفة ونشاطات القوي المجهولة التي تؤدي للحلول القيصرية، أما المستوي الثاني فإن الأزمة تكون بشكل إيجابي عندما تنكص الطبقة المهيمنة إلي طورها الاقتصادي الطائفي، الذي تحاول من خلاله شد الخناق الاقتصادي علي القوي الأخرى التي اصبحت مؤهلة بفعل تجربتها لأن تأخذ زمام المبادرة في سحب بساط الهيمنة، من القوي الرجعية في صيغتها المحافظة.

فقد اخذت الجماعات الاجتماعية الرجعية والمحافظة ترتد أكثر فأكثر إلي أطوارها، بينما لا تزال الجماعات التقدمية والمجددة، في أول أطوارها واخذ التقليديون ينسلخون عن الاجتماعية التي كانوا يصيغون وعيها في أرقي صورة، لذا اصبح وعي الدولة الحديثة هو الأكمل والأشمل، وهم بهذا الانسلاخ ينجزون عملاً تاريخياً بالغ الأهمية، من هنا يبدأ طور هيمنة جديدة هو هيمنة القوي التقدمية، التي تبدأ هيمنتها بالهيمنة أولاً علي المجتمع المدني التنظيمات قبل الانخراط في الصراع علي الدولة.

إن جرامشي يري أن الانجرار لمفاهيم مثل اللاقومية في إطار التنظير لسيطرة القوي الاشتراكية العالمية، وهو ما قاداها إلي أن تكون مجافية للمنطق السليم، إذ أدت دائماً إلي السلبية والعجز، حيث تتخفي جوانب الضعف لهذا الشكل الحديث للنظرية الميكانيكية القديمة وراء قناع النظرية العامة للثورة الدائمة، وهي ليست سوي تنبؤ يقدم علي إنه عقيدة ويتقوض إنه لا يتحقق في الواقع من هنا كان ينبغي أن يتخذ مسار التصعيد في لحظة أزمة الطبقة الحاكمة استراتيجية حرب المواقع قرين الثورة السلبية **ضمن شروط من بينها:**

- صلابة التنظيمات التي تخوض الصراع من أجل الهيمنة في أجهزتها (الحزب والنقابة)
- الوحدة والتجانس (إذا تكونت جماعة اجتماعية متجانسة ايديولوجيا تماماً فهو يعني توفر ل الشروط اللازمة لهذا التثوير أي أن العقلاني حقيقة واقعية)

يتحقق هذين الشرطين بتحقق منطقية التغيير هذا هو منطق جمعيات المجتمع المدني بين ثنائية الهيمنة والتحرر، الذي يأخذ بدوره صيغة الهيمنة لكنها هيمنة تقدمية بمعني جرامشي ماركسي.

٤- المجتمع المدني في علاقته بالاقتصاد:

في أفق فيلسوف ماركسي من البديهي أن يلعب العامل الاقتصادي الدور الأساسي في عملية الصراع، الذي هو بالأساس صراع علي وسائل الانتاج، فكل طبقة في حقيقتها اقتصادية تتلون بألوان متعددة في سبيل توسيع القاعدة الاقتصادية لها بالسيطرة علي الانتاج في وسائله ومصادره بل وحتي في موارده، إن ثنائية العلاقة بين المجتمع المدني والاقتصاد، تجد تعبيرها في أشكال الصراع التي تخاض

من أجل المصالح والمنافع في المجتمع المدني كلحظة تمزق ونفس المنظور وإن كان بطريقة معدلة نجده لدي ماركس الذي ينطلق من تأثير وهيمنة العامل الاقتصادي.

حيث تسيطر الطبقة البرجوازية علي وسائل الإنتاج مثل هذا الربط نجده لدي جرامشي لكن بصيغ تتعلق بالأشكال الاقتصادية التي تلائم كل مستوي من مستويات الصيغ التي يظهر بها المجتمع المدني من لحظة التنظيمات في الأطوار الطائفية الاقتصادية مروراً بالطور النقابي الاقتصادي، إلي طور الترابطية الاقتصادية المجتمعية، والذي يمكن حسب جرامشي أن يسود الساحةالأوروبية معوضاً الاقتصاد الرأسمالي التنافسي الذي لا يبقي،وأصبح كما يقول جرامشي بالياً و متخلفاً ،إن وقوع الثورة السلبية يتضح عندما يكون الهدف من التدخل التشريعي للدولة وعبر تنظيمات الروابط في البنية الاقتصادية للدولة هو احدث تعديلات بهذه البنية وللتأكيد علي وجود خطة انتاجية دون المساس بالملكية الفردية أي يقتصر التدخل علي التنظيم والتحكم دون المساس بها .

من هذا الفهم لطبيعة المجتمع المدني في علاقته بالاقتصاد والسوق الذي سيمثل محدداً أساسياً لعمل هيئات المجتمع المدني في واقعنا المعاصر حيث اصبحت منظمات المجتمع المدني تكتسي طابعاً عالمياً ، يتجاوز الحدود الوطنية لتعويض دور الدولة في هذه البلدان، خاصة الدول النامية حيث تبرز فاعلية الدولة كمجال لتسيير عمل هذه الهيئات.

٥- الدولة والمجتمع المدني:

من خلال التساؤلين الذين طرحهما جرامشي: لماذا بدأت الثورة في روسيا القيصرية المتخلفة وليس في الغرب الصناعي المتقدم كما تنبأ بذلك ماركس وانجلز؟

كيف تساعد الخبرة التاريخية لإيطاليا وواقع مثقفيها الخاص علي فهم أفضل لشروط التقدم والثورة نظراً لانقسام البلاد إلي شمال صناعي مذدهر وجنوب فلاحي متخلف مازال تحت سيطرة الهيمنة الثقافية للمجتمع التقليدي؟

انطلاقاً من هذين التساؤلين، فقد بلور جرامشي مفهوم المجتمع المدني في ضوء وعيه بخطورة مؤسسات الدولة الايديولوجية، التي تضيف لآليات القمع (الجيش والشرطة)، والمحاكم (القوانين والتشريعات) وطرق الاقناع (الإعلام والاعلان والتعليم)، وهي الأمور التي درسها جرامشي في فاعليتها الخاصة في الدول المتقدمة، حيث تلعب دوراً أساسياً في إحباط حركة المقاومة والتمرد وخلق اساطير حديثة تغذي احلام الجماهير، وتستبدل الأهداف في العالم بديلاً زائفا .

انطلاقاً من هذه المقاربة الجرامشية، لمعني المجتمع المدني والتي يمكن أن نسميها مقاربة تأسيسية، ينطلق جرامشي في مقاربته إلي طور أعمق، في علاقة المجتمع المدني بالدولة التي هي علاقة خصامية جدلية في آن واستحواذية دفاعية في آن آخر... لكن كيف ذلك؟

يقول جرامشي " إن مبدأ الفصل بين السلطات، وكل ما آثاره تطبيقه من مناقشات، وما تمخض عنه من مذاهب قانونية هو نتاج للصراع بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي في فترة تاريخية محددة، تتميز هذه الفترة بنوع من التوازن الغير مستقر بين الطبقات، فهو نتاج لواقع أن بعض فئات المثقفين الذين في خدمة الدولة مباشرة، لا زالوا يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالطبقات المسيطرة القديمة، بعبارة أخري يدور داخل المجتمع المدني ما أسماه كروتشة(*) الصراع الدائم بين الكنيسة والدولة، علي اعتبار أن الكنيسة تمثل المجتمع المدني ككل، أما الدولة تمثل كل محاولة لبلورة مرحلة معينة من مراحل التطور أي بلورة وضع معين وتثبيته في هذا السياق تصبح الكنيسة ذاتها دولة، وقد ينسب الصراع بين المجتمع المدني من جهة، والدولة الكنيسة من جهة آخري عندما تصبح الكنيسة جزءاً لا يتجزأ من الدولة، أي من المجتمع السياسي الذي تحتكره جماعة متميزة تستحوذ علي الكنيسة، لتحافظ علي احتكارها، استناداً إلي ذلك القطاع من المجتمع الذي تمثله الكنيسة.

الملاحظة الأولي التي يجب التنبيه إليها هي أن جرامشي ليس ككل الماركسيين ذو نزعة عدائية للدولة كتنظيم سياسي ينتزع الفرد من أحضان الولاء الطائفي (الأسري، القبلي، الفئوي) إلي ولاء جمعي قائم علي قاعدة المساواة التي تجد في الدولة القوة علي تنفيذها، فهو حين يُعرض بالمجتمع المدني المتمثل في الكنيسة يمنح القيمة للدولة، التي هي الأخرى ايضاً باستحالتها إلي دولة طبقة تغدو سلبية.

وهو ما يولد حركية جديدة لقوي مجتمع مدني جديد وفعال، يستبطن الميزات الايجابية التي فقدتها الدولة باستحالتها إلي دولة الطبقة وهو ما حدا بجرامشي إلي الرهان علي المجتمع المدني بصيغته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المثلي في أن يكون مرادفاً للمجتمع المنظم أو الدولة الأخلاقية التي تمثل فيها الدولة عنصراً محايدا، نجد أن النص السابق لجرامشي أوشي لنا بتلك العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني في كل لحظاتها، لإزالة اللبس عن ما يتصوره البعض بين مفهوم الدولة والمجتمع المدني عند جرامشي.

عرفت الدولة عند جرامشي نمطين استقرت علي احدهما في عصره، هذين النمطين هما اللذان تعبر عنهما مقولة الدولة التقليدية عند جرامشي، التي تكشف في سيرورتها عن نمطين هما الدولة المستقلة والدولة الطبقية)، **النمط الأول**: ظهرت فيه الدولة كتطلع إلي التطور مع العلمانيين،

وهو ما قاد إلي الصراع مع الكنيسة الأمر الذي تولد عنه الفصل بين السلطات وهو ما اسهم في خلق دولة مستقلة تصلح أرضيتها لتخلق مجتمع مدني فاعل، يقول جرامشي هذه الاستقلالية هي الشكل الطبيعي لحياة الدولة، أو علي الأقل الشكل الذي يهيئوها لحياة مستقلة، ولخلق مجتمع مدني لم يكن ممكناً تاريخياً أن يُخلق قبل الارتقاء إلي حياة الدولة المستقلة.

(*) كروتشة: (١٨٦٦- ١٩٥٢م) فيلسوفاً مثالياً ومؤرخاً وسياسياً ايطالياً، تناول موضوعات عديدة في كتاباته، من بينها الفلسفة والتاريخ والجماليات، فلسفة كروتشة هي المثالية المطلقة،

يضيف جرامشي مبيناً الشروط التي يجب أن تحكم فضاء المجتمع الدني والتي علي اساسها يكون بناءاً صلباً بقوله، " القول بأن الدولة يمكن أن تتوحد مع افراد جماعة اجتماعية باعتبارها عنصراً من عناصر ثقافة نشطة، أي باعتبارها حركة من أجل خلق حضارة جديدة، وإنسان ومواطن من نوع جديد ينبغي أن يحكم إرادة بناء مجتمع مدني مركب ومتماسك في قلب المجتمع السياسي، يمكن فيه للفرد أن يحكم نفسه بنفسه، دون الدخول في نزاع مع المجتمع السياسي، فالأفضل أن يصبح امتداداً له ويكمله عضوياً، لكن هذه اللحظة التي تظهر فيها الدولة بصيغة إيجابية، سرعان ما تنسحب بفعل تشكل البيروقراطية،أي تبلور الكوادر العليا التي تمارس سلطة القهر التي تتحول في لحظة معينة إلي طبقة مغلقة، تمثل هذه اللحظة نمط الدولة التي عاش في ظله جرامشي أبان الطبقة البرجوازية في أوروبا عامة، وايطاليا خاصة، هنا تصبح الدولة ليست جهاز للحكم فقط بل جهاز الهيمنة الخاص (المجتمع المدني).

ومن هنا يكون التغيير الذي يلحق بالمجتمع المدني بفعل التغيير الحاصل في البنية الاقتصادية لدولة الطبقة بنمط اقتصادها الرأسمالي التنافسي المهلك، وهو تغيير تقوم به الدولة بقوة قهرها لا نتيجة الدعاية والاقناع.

كما ينعكس مفعول هذه اللحظة، في صيغة الممارسة السياسية التي تطغي فيها " الحيل" في أرقي اشكالها (النظام البرلماني التمثيلي)، حيث يصف جرامشي برلمانات تلك الحقبة بالبرلمانية السوداء، التي أذكت النزعة الفردية المتجذرة في تلك المرحلة، هي النزعة المتمثلة في الاستحواذ الفردي علي الربح والمبادرة الاقتصادية، من أجل الربح الرأسمالي، باختصار تحولت الدولة إلي نمط دولة القرون الوسطي، التي يكون جهاز الهيمنة فيها محصوراً في دوائر نفوذ الطبقة، لكن طبيعة المرحلة الجديدة لا تسمح بمثل هذا التغول، هنا في هذه اللحظة يفعل المجتمع المدني الذي خلقته لحظة استقلالية الدولة دوره في الصراع علي الهيمنة، وهو يمثل لدي جرامشي صراعاً بين القوة الرجعية والتقدمية

أما النمط الثاني: فهو الذي تكون فيه الدولة عنصراً محايداً بمعني أن لا تكون ممارسة قهرية من طبقة فالإكراه والقسر عندما يمارسان من طبقة فإنهما يكونان بمثابة الفعل الخارجي بالنسبة لوعي المجتمع، إن صيغة هذه الدولة المحايدة هي التي صاغها جرامشي في العملية التالية التي شوشت علي فهم الكثيرين (الدولة = المجتمع المدني + المجتمع السياسي)، قد يتسرب إلي الذهن أن جرامشي يستعيد التصورات العتيقة، التي تصور المجتمع المدني باعتباره تجاوزاً لحالة التناحر في حالة الطبيعة، لكن الأمر بعيد عن ذلك بكثير، فما يريد جرامشي قوله هو أن سيطرة القوي التقدمية بهيئاتها التنظيمية - المجتمع المدني-، كفيلة بأن تحصن هذه الحالة من طبيعة الدولة القهرية الطبقية، من هنا كان الشكل الذي تظهر به سواء اسميناه الدولة أو المجتمع المنظم هو شكل الهيمنة (المجتمع المدني الجديد) الذي تخلص من الطابع القديم الطبقي، هذا الشكل الجديد يجد في آليات التنظيم السياسي بصيغتها الجديدة درعاً يمنع

من عودة النزعات الماضية، فاللحظة التي يهيمن فيها المجتمع المدني علي أجهزة الدولة هي لحظة تتساقط فيها الحواجز الطبقية ليسود منطق التسامح، وقبول الآخرين والاحترام المتبادل والانسيابية في تبادل المصالح.

إن مفهوم المجتمع المدني عند جرامشي يجد مضمونه ومعناه في صيغ ثلاثة:

١- المنظمات الخاصة والرسمية التي تمثل متاريس، مهمتها الدفاع لحظة أزمة الطبقة المهيمنة.

٢- المنظمات الفاعلة للقوي التقدمية، التي تأخذ زمام المبادرة من أجل سحب بساط الهيمنة.

٣- أخيراً يجد معناه في المجتمع المنظم أو الشيوعي بتعبير ماركسي عتيق، وهنا طرافة هذا الماركسي غير التقليدي الذي يعيد الحياة في مفاهيم تعبر في القاموس الماركسي متجاوزة كمفهوم المجتمع المدني، الذي لا يشتغل حسب التقليد الماركسي إلا في ظل وصاية الدولة

لكن ايضاً بهذا الفهم قد يتطرق إلي الذهن أن جرامشي يتحدث بلسان ليبرالي عندما يتحدث عن الدولة الشرطي والحارس الليلي باعتبارها محايدة في تركها المبادرة التاريخية للمجتمع المدني، لكن جرامشي سرعان ما يتساءل تساؤلاً يعيد لبنائه المنطقي تماسكه ولقارئه اتزانه يقول: أليس مفهوم الدولة الشرطي"الحارس الليلي" في الحقيقة المفهوم الوحيد للدولة الذي يتجاوز المراحل الاقتصادية الطائفية البحتة؟ يقول جرامشي " طالما الدولة الطبقية قائمة فلا يمكن أن يوجد المجتمع المنظم (المجتمع المدني) إلا مجازاً"

فباستيلاء المجتمع المدني علي وسائل الانتاج يتم في آن واحد القضاء علي الانتاج السلعي وعلي سيادة المنتج، ويحل التنظيم المنهجي المحدد محل فوضي الانتاج الرأسمالي.

٦- المجتمع المدني بين المشروعية والإلزام:

لا نستطيع الجزم علي مسألة قبل الخوض فيها، لا سيما إذا كانت تلك المسألة تتعلق بالمجتمع المدني، وتنحصر المكونات الأساسية للنظام الديمقراطي، في بعض مستوياته النظرية والواقعية، حول المجتمع واستقلاليته في مكونتي **الحرية** بمعناها الحقوقي(الحريات المدنية والسياسية وحرية الرأي والحق في الاجتماع والتنظيم) و**المساواة**(في بعدها السياسي) المساواة امام القانون في تولي الوظائف العامة،أو

في مضمونه الاجتماعي(ضمان حد أدني من الحقوق الاقتصادية والخدمات الاجتماعية والعدل الاجتماعي وتكافؤ الفرص.

فالإشكالية تظهر بين ما يفرضه الواقع، من ولادة مجتمعات مدنية، في ضوء المتغيرات التي طرأت في المنطقة العربية وربما قبل ظهور تلك المتغيرات، فمضمون المجتمع المدني يحيل إلي حكومة محدودة الصلاحيات والمجال، وإذا كان لها صلاحيات فصلاحياتها تلك وفق ما يسمح به القانون، أما مفهومه فيطرح نفسه في مجموعة حواجز تحد من سلطة الدولة، ويقابل ذلك توسيع مساحة الحريات العامة (الحقوق المدنية والسياسية والضمانات القانونية لحقوق الإنسان)، ويكون ذلك من خلال مؤسسات وقوي اجتماعية وسياسية، كالأحزاب السياسية، والجمعيات والنقابات المهنية والأندية والجمعيات الخيرية.

لا يوجد انفصال بين المجتمع المدني والدولة القانونية، إذا تحدثنا عن أي واحدة منهما فيجب أن نقرنها بالأخرى، حيث أن ولادة وظهور الأول تم بحماية الثاني له، ولا يتم ذلك إلا بوجود دولة القانون، الدولة التي تكون فيها العلاقة قائمة ومبنية، علي أساس الأغلبية الانتخابية التي يفرزها التعبير الديمقراطي الحر، من خلال التنافس الحزبي، فإذا نظرنا إلي المجتمع المدني نجده ذلك المجتمع الذي تنتظم فيه العلاقات بين أفراده علي أساس الديمقراطية، أي يمارس فيه الحكم علي أساس الأغلبية، وتحترم فيه حقوق المواطن، نستطيع أن نقول أن المجتمع المدني هو الذي يساهم في ترسيخ دولة القانون، بوعيه وقدرته للتمرد علي الحكومة.

٧- معوقات قيام مجتمع مدني فاعل:

إلا أن هناك معوقات تحول دون قيام مجتمع مدني فاعل، لأن بعض منظمات المجتمع المدني عاجزة عن الدفاع عن نفسها، فكيف ستدافع عن حقوق المجتمع وحرياته؟

ونجمل هذه المعوقات في:

١- طبيعة البني السياسية والاجتماعية، فهي تعاني من الجمود، فالبني السياسية وليدة الثقافة السياسية، السائدة والتي تكرس التبعية للنظام الحاكم، أما البني الاجتماعية فبسب جمودها وعدم قدرتها علي تحريك المجتمع هو إنها ليست بمستوي الوعي (وعي المواطن الذي هو عماد المجتمع المدني) .

٢- التدخل القمعي للسلطة واجهزتها، في كافة مجالات الحياة، إلي درجة الشلل لكافة تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهناك مجموعة أو شبكة واسعة من القوانين تفيد نشاط الفرد، بحيث تجعل الدولة مسئولة عن نشاطه في كافة مجالات العمل والمشاركة السياسية وحتي التربية، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية والجمعيات بأنواعها .

٣- إلا أن إشكالية المجتمع لا تنحصر فقط في المعوقات السابق ذكرها، إنما أيضاً في مجتمعنا فهو لا يطرح بديل مقبول عن النظام السابق، فهو يطرح نظام الطائفية والأثنية، وهي جميعها قائمة علي التعصب الأعمى، الذي لا يلد سوي النظام السياسي الفئوي.

ولكي لا تخرج من مفهوم دوامة الدولة، يجب أن يكون المجتمع المدني هو من يعمل جاهداً من أجل إعادة البناء، بناء دولة القانون، فكثرة المنظمات التي بدأت تعمل فيه بمختلف التخصصات والاتجاهات بعد عملية التحول السياسي التي مر بها البلد إلا أن دور تلك المنظمات محدود سواء في واقع الاحتلال أم في المشاركة، في وضع الأسس القانونية لمؤسسات الدولة وهيئاتها المختلفة لإخراجها من حالة الضعف والهشاشة والفساد الإداري والمالي الذي ينخر أركانها

من هنا نصل إلي أن المجتمع المدني الحديث نشأ من رحم المجتمع القديم، إذ أن العلاقات في المجتمع القديم، علاقة قرابة وقبيلة وعشيرة وطائفة ومدينة، في حين تحل محل هذه الأمور في المجتمع المدني فكرة المواطنة، التي تُعتبر القاعدة الأساسية في هذا المجتمع، دون النظر إلي أي اعتبارات أخري، فالمجتمع المدني لا يمكن أن ينشأ أو أن يكون فاعلاً إلا في إطار الدولة، فهي التي تشكل سياجه القانوني والسياسي، علي اعتبار أن المجتمع المدني هو ذلك المجتمع القادر علي ترسيخ مفهوم دولة القانون، وذلك من خلال خلق توازن بين المجتمع المدني والدولة

من هنا تبرز ضرورة المجتمع المدني، الواعي القادر علي مجابهة الحكومات، التي تخرق الشرعية من خلال آليات ودوافع للمشروع حتي تتحقق دولة القانون والمؤسسات، فلابد من وضع دستور للبلد يُعبر عن آمال وطموحات الشعب،والفصل الفعلي بين السلطات مع وجوب خضوع الحكومة للقانون والاعتراف بالحقوق والحريات العامة التي يقرها الدستور، **أما المقترحات الخاصة ببناء المجتمع المدني:**

- توفير الدعم والاهتمام والمؤسسات الخاصة بالمجتمع المدني، لا سيما الفاعلة منها كمنظمات الإغاثة وحقوق الإنسان، لما لعمل هذه المنظمات من بُعد قانوني وإنساني.
- إيجاد آليات جديدة ومبتكرة تحقق لهذه المؤسسات استقلاليتها وتؤمنها ضد السلطة.
- تأسيس قواعد المجتمع المدني علي أساس قواعد الحوار الدائم والمتصل بين فصائل المجتمع المدني علي اختلافها.

تعقيب:

هكذا إذن تكتمل مقاربتنا لمفهوم المجتمع المدني، في سيرورته التاريخية عموماً، وفي اللحظة الجرامشوية خصوصاً، بما انطوت عليه من أبعاد تجديدية ثورت المفهوم بحق، فما عُد في لحظة تاريخية ممتدة عبر قرون، شكلاً من التجانس والتماهي مع المجتمع السياسي، اصبح في لحظة فارقة من التاريخ مع انطونيو جرامشي خزاناً للمنظمات الخاصة والرسمية التي تصطبغ بأصباغ منها الرجعي والتقدمي ضمن حقول للصراع والهيمنة.

- فالصراع داخل المجتمع المدني هو صراع ايديولوجي، صراع يجد في المؤسسات الثقافية وفي اجهزة الدولة التربوية ادواته في بسط السيطرة والنفوذ هذا الدور الفاعل للمجتمع المدني في لحظتي توافقه وتعارضه مع الدولة، وبالتركيز علي هذه اللحظة الثانية، لحظة التعارض التي يعمل فيها المجتمع المدني، في سبيل بلورة فضاء الاستقلالية في الدولة، وتخليصها من نمط الاقتصاد الرأسمالي التنافسي الذي يشيع الفوضى في السوق.

- وهو ما سيستلهم منه فلاسفة السياسة وعلماء الاجتماع السياسي تحديداتهم لمجال تشكل ما بات يصلح علي تسميته بمنظمات المجتمع المدني التي ارتبطت تسميتها بحيز ضيق، هو حيز مصطلح المنظمات غير الحكومية التي تتوسط بين الدولة والأفراد من جهة وبين الدولة والسوق من جهة أخري فمنظمات المجتمع المدني داخل الدولة هي بمثابة المؤشر علي حاجات المجتمع كما تلعب ضمن الفضاء السياسي للدولة أدوارا تتعلق بعملية تفعيل المشاركين السياسية، إضافة إلي رعاية العملية الانتخابية، من مخاطر التزوير، والتلاعب بإرادة المواطنين، حيث تقوم هذه المنظمات بتذليل العقبات الاقتصادية للدول النامية التي انهكتها الديون.

- إذ عملت منظمات المجتمع المدني الدولية غير الحكومية علي تخفيض تلك الديون والغائها، حيث تقوم هذه المنظمات بدور ضاغط علي الدول، من أجل بلورة اصلاحات سياسية، بالأساس تتعلق بأفق المشاركة السياسية بالإضافة إلي بلورة اصلاحات، اقتصادية موازية، للإصلاحات السياسية، من أجل أن تتخلق تنظيمات مدنية قابلة للنمو، وقادرة علي لعب ادوارها في فضاء الدولة الوطنية (نقابات عمالية

واحزاب سياسية، روابط ثقافية)، من شأنها أن تطلع بمهام تسند الدولة وتوجهها بحيث تتكامل الأدوار في سبيل التطور والازدهار اقتصادياً وثقافياً وسياسياً، باختصار من أجل بلورة عملية التنمية.

- لقد أثبتت الاحصائيات أن الدول التي تشهد انتشاراً أكبر لمنظمات المجتمع المدني هي نفسها الدول التي تأخذ حيز الصدارة في المجال الدولي من حيث التطور والتقدم لكن مثل هذه التطلعات تتحقق في ضوء استقلالية منظمات المجتمع المدني في مصادر تمويلها وعدم تبعيتها لأي جهة رسمية داخلية أو خارجية.

- فما يميز منظمات المجتمع المدني عن المجتمع في كليته، هو إنها تتحدد باعتبارها مجتمع عضويات أي إنها مجموع الاجزاء المنظمة من المجتمع في كليته، وأن يكون مجال عمل هذه المنظمات مجالاً للحرية والحوار.

- وما نخلص إليه هو التأكيد علي أن أحد الشروط اللازمة لبروز المجتمع المدني، هو ذلك التمايز بين المجتمع والدولة، وضرورة تمييز الفرد كمواطن ذي حقوق يتعين احترامها، ضمن هذه الشروط وغيرها تتحدد فاعلية المجتمع المدني فهو فضاء للتفاعل الايجابي ما بين الدولة من جهة والمجال العام بما يتضمنه من تنظيمات طوعية من جانب آخر.

- إن مفهوم المجتمع المدني لم يُعد مجرد مفهوم يشير إلي مستوي من مستويات النشاط الجماعي المتصف بالتعددية والتناقض وتغليب المصلحة الخاصة علي المصلحة العامة، بل اصبح يشير إلي مجموعة كبيرة من المنظمات النشطة التي تسعي كل واحدة منها للعب دور بارز في حياة المجتمع ككل بموازه الدولة واحياناً في مواجهتها.

الخاتمة
وأهم النتائج

الخاتمة :

في الوقت الذي كان انطونيو جرامشي يعمل علي تجديد النظر إلي الماركسية، أو إعادة قراءتها، وفق شرطها العقلاني النقدي التحليلي، بوصفها رؤية وطريقة في التفكير، كانت العديد من الأحزاب التي تبنت الفكر الماركسي تعمل علي تحويل هذا الفكر إلي مذهب مغلق، وإلي دين جديد، يحل فيه الإيمان محل التأمل، والتفكير والمراجعة، ولقد احدثت طروحات جرامشي اهتزازات فصلت ما بينه وبين عدد من الأحزاب والتنظيمات اليسارية التي تتبني الفكر الماركسي في عدد كبير من دول العالم، التي كانت تقرأ جرامشي بعين سلبية.

فالحاجة إلي المثقف قائمة، باعتباره فاتح طرق ومسالك، لا مبتدع عقائد وديانات، وهو الأمر الذي يجعل من فكر المثقف، فكراً نقدياً متجدداً، يتنافى مع فكر الداعية أو الفقيه أو السياسي، المتشبث بثوابته الدوماغوجية العمياء، ففي غمرة التحولات والتغيرات وما يحدث من انقلاب علي الفكر الحداثي التنويري، ينفرد الفكر الديني المحافظ نحو تغيير القيم وتوظيف التعليم لخدمة أفكاره، ويبقي دور المثقف ملتبساً أو يكاد يكون غائباً غير قادر علي الخروج من سديميته، لينخرط في التغيير وفي إعادة صياغة التصورات والمفاهيم، أي يبقي المثقف أسير وعي سابق، وأن يتخلى عن وظيفته باعتباره وظيفة ثقافية، ليصطف في النتيجة مع اصحاب المذاهب العقائدية المغلقة، بعيداً عن المواقف النقدية الابداعية.

فعلي المثقف في الوقت الراهن، أن يكون حاضراً في إعادة صياغة المفاهيم، وبناء القيم والتصورات، وتكريس قيم الحداثة، وهو الأمر الذي يفرض علي المثقفين أن يكون لهم دور في واقع القرار، ليس وفق برامج الاحزاب بل وفق منظور ثقافي يكون في صميم عملهم، وهنا تأتي أهمية جرامشي الذي كان ذهابه إلي المثقفين تأكيداً للدور الكبير الذي لعبه هؤلاء عبر التاريخ في تكريس الوعي، وتأكيداً لأهمية الثقافة في تشكيل المجتمع، وتوجيه صيرورته.

لقد بين جرامشي بإنه يمكن تقييم المثقفين اعتماداً علي مقدرتهم علي- أو عجزهم عن- أن يرتبطوا بالجماهير الصاعدة، فإذا تمكنوا من ذلك كانوا مثقفين عضويين، وإذا لم يتمكنوا من ذلك اصبحوا مثقفون مزيفون اصطناعيون، حيث ينظر جرامشي للمثقف علي إنه الغائب الكبير، فيما يجري من طعن في قيم

الحداثة والتنوير، والسعي لنقل الدولة من نظام استبدادي دنيوي إلي نظام استبدادي ديني، يدعوا إلي التقليد من خلال اجترار الماضي.

ومن خلال عرض جرامشي للمثقف توصلنا إلي العديد من النتائج وفيما يلي عرض لهذه النتائج

أهم النتائج:

وهي:

١- يمكن اعتبار المثقف موجود في الحزب السياسي، باعتباره وفق مفهوم جرامشي مثقفاً عضوياً، كما يمكن اعتباره وفق المنظور الديني مثقفاً داعية أو ملتزماً، أي أن المثقف ليس كياناً مُستقلاً أو صوتاً مفرداً، أو ينتمي لمؤسسة ثقافية معينة، فالمثقف العضوي عند جرامشي رغم ارتباطه عضوياً بالطبقات التي ينتمي إليها، إلا إنه يبقي في مفهوم جرامشي يتمتع بالاستقلال الذاتي النسبي حيال هذه الطبقات.

٢- يري جرامشي أن كل البشر مثقفون بمعني من المعاني، ولكن ليس جميعهم يملكون الوظيفة الاجتماعي للمثقفين، وهي وظيفة لا يمتلكها إلا اصحاب الكفاءات الفكرية العالية، الذين يمكنهم التأثير في الناس، ومن هنا يستخلص الفارق بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي، الأول يعيش في برجه العاجي ويعتقد إنه أعلي من كل الناس، في حين أن الثاني يحمل هموم كل الطبقات، وكل الجماهير وكل الفقراء والمحرومين والكادحين، وعليه فإن المثقف العضوي هو المثقف الحقيقي الذي يعيش هموم عصره ويرتبط بقضايا أمته.

٣- لا وجود لتنظيم بلا مثقفين، هكذا تصور جرامشي العلاقة بين الطرفين، المثقف هنا، هو من يتكلف بالإنشاء الفكري والفلسفي، أي بالعمل النظري لايديولوجية الحزب، فهؤلاء هم من يرشدون خطاب الحزب، ويعملون علي وضع تصور الحزب للعالم، ورفع الجماهير إلي مستوي هذا التصور، الحزب ليس إلهاً خالقاً، بمعني إنه ليس هو منتج الدلالات، أو المحدد لمعني الوجود السياسي، بالمعني الفوقي أو المتعالي علي القواعد الحزبية، وهو ما كان جرامشي يسعي لتثبيته، من خلال رؤيته، إلي الحزب باعتباره مثقفاً جمعياً.

٤- أما علي الصعيد الفني، فإنه قد أولي مسألة الأدب الشعبي أهمية كبيرة، علي ضوء كيفية تحقيق الارتباط بين الأدب والشعب، وكيف يمكن وضع أدب النخبة، بمتناول الشعب والأمة، وهاتان المسألتان تفسران اهتمام جرامشي الدقيق بواقع الأمة التاريخي، ذلك الاهتمام الذي لا يمكن عزله عن الاهتمام النظري، ومن هنا يأتي دور المثقف العضوي، بأن لا يكون مثقفاً تقليدياً، ماضوياً، متشبث بالماضي ومنقطع عن الحاضر، يبرر وجوده بالتقاليد ويكون السلف هو المرجع والحُجة، كما يريده البعض من اصحاب المد الأصولي، الذي يجتاح اليوم واقعنا، برؤيتهم للثقافة باعتبارها قيم زائدة.

٥- لقد أكد جرامشي علي ضرورة امتلاك الجماهير كمّاً من الثقافة يختلف شكلاً ومضموناً عن الثقافة المحترفة، فالثقافة الشعبية يجب أن تصبح الموقع الذي علي الإنسان العادي أن يحتله من أجل إعادة صياغة المجتمع والعالم، وفي هذه الحالة من وجهة نظر جرامشي، بالإمكان إنتاج معرفة جديدة، تغيب فيها الفروق بين الثقافة المحترفة والثقافة الشعبية، وللوصول إلي هذا الطموح اقترح جرامشي ضرورة الغاء الشكل التقليدي لفهم الفلسفة، التي يصورها المحترفون من رجال الثقافة علي إنها أمر بالغ الصعوبة، ومقتصرة علي فئة محددة من العلماء المتخصصين.

٦- فالفلسفة الجماهيرية التي تحدث عنها جرامشي، مزيج من اللغة والحس العام ووالحس السليم والفلكلور، باعتباره انعكاساً لشروط حياة الشعب الثقافية، ولا يمكن أن تتحقق هذه الثقافة إلا من خلال المنظم لها وهو الحزب السياسي، إذ من دون هذا المنظم الذي يطلق عليه اسم الأمير الجديد.

٧- لقد تحاشي جرامشي فكرة السعي إلي بناء انظمة مصطبغة، وناهض منذ البداية الجمود العقائدي، حيث تميز بمواقفه الواضحة من الممارسات الستالينية داخل صفوف الحزب الشيوعي السوفياتي، ضد المعارضة من اعضاء اللجنة المركزية، حيث طالب باستمرار بعدم التنكيل بالمعرضة الداخلية داخل الحزب وضرورة احترام مواقفها، ولهذا فإن جرامشي دفع ثمن مواقفه تلك بأن بقي وحيداً منعزلاً داخل السجون الفاشية حتي وفاته.

٨ – لقد كرس جرامشي بحوثه النظرية لمفهوم الهيمنة الذي نبعت صياغته الأولي من خلال دوره في المجالس العمالية، التي كان وراء تأسيسها في مدينة تورين الصناعية ١٩١٩م، وشهدت هذه المدينة

في إحدي مراحلها تجربة سيطرة عمالها علي مصانعها فاصبحوا يديرونها بأنفسهم في ظل قيادة جرامشي نفسه، ورغم أن تنزيل هذا المفهوم علي أرض الواقع، سيصطدم بعقبة السيطرة الثقافية – المادية التي تحوز عليها عادة الطبقات السائدة سياسياً إلا إنه وجد صداه في المجتمع الإيطالي حتي اليوم.

٩- جرامشي ذلك المفكر المناضل ظل يتساءل باستمرار عن كيفية تحقيق الانتقال من النظرية إلي التاريخ، ولقد اجتهد كي يحقق وحدة الممارسة بين التاريخ والفلسفة، وعلي الصعيد الثوري السياسي، عمل بثبات علي تحقيق الوحدة بين العفوية والقيادة الواعية ممثلة بحركة المجالس العمالية، وطبيعة علاقة الحزب بالجماهير وبين القيادة والقاعدة، الحزب يساوي التثقيف يساوي المثقف الجماعي.

١٠- وأي كان الأمر، فإن لجرامشي مكانة دائمة ومنزلة اساسية، في الفكر الماركسي خلال عقود طويلة من الزمن، بل ربما يعاد إليه الفضل حين يدور الحديث حول رياح التحرر التي طبعت مسيرة الأحزاب الشيوعية، وعلي رأسها الحزب الشيوعي الإيطالي، والتي جعلته الأقوى والأكثر ديمومة، بين الأحزاب الشيوعية الأوروبية الغربية، كما جعلته علي الدوام قادراً علي مواكبة حركة التاريخ، فهو يُعتبر أحد ابرز المنظرين الاساسين للفكر النضالي في القرن العشرين.

١١- يبقي فضل جرامشي الكبير علي الفكر الماركسي، في كونه اعتمد وحدة النظرية مع الممارسة، كمحور وكمركز ارتباط استراتيجي لتحليلاته، وعارض بشدة أي محاولة للفصل بينهما، حيث تميزت مقالاته ومؤلفاته الاجتماعية قبل الاعتقال، بطرح المسائل بجرأة وغزارة وبعناصر التحليل النظري.

فهرس المحتويات

بيانات الباحثة ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
مقدمة ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
الفصل الأول التطور الفكري في حياة أنطونيو جرامشي ١٥
تمهيد: ١٨
المبحث الأول: حياة انطونيو جرامشي ١٩
أولاً: حياته ١٩
ثانياً: سنوات التكوين في تورينو: ٢٠
ثالثاً: السجن: ٢٢
المبحث الثاني: بناؤه الفكري ٢٤
أولاً: نقد الماركسية الأرثوذكسية ٢٤
ثانياً: فلسفة البراكسيس عند جرامشي: ٢٦
ثالثاً: خصائص فلسفة البراكسيس: ٢٧
رابعاً:التأثير والتأثر ٢٧
خامساً: لماذا... جرامشي؟ ٢٨
تعقيب: ٣٠
الفصل الثاني المثقف بين الفكر العربي والأوروبي ٣٢
المبحث الأول: الاطار التاريخي لمصطلح الثقافة ٣٤
أولاً: تعريف الثقافة ٣٤
١- التعريف اللغوي: ٣٤
٢- التعريف الاصطلاحي: ٣٤
٣- أهمية الثقافة: ٣٥
٤- أنواع الثقافة: ٣٥
٥- مكونات الثقافة: ٣٥
٦- خصائص الثقافة: ٣٥
المبحث الثاني: المثقف في الفكر العربي ٣٧
تمهيد: ٣٧
أولاً: المثقف والمجتمع ٣٧
ثانياً: المثقف والسلطة السياسية ٣٩
ثالثاً: المثقف في فكر علي حرب ٤٠

١- نشاطه الفكري:..... ٤٠
٢- المثقف العضوي في فكر علي حرب: ٤٠
أ- تعريف المثقف وخصائصه: ٤١
ب- أوهام أو معوقات أمام المثقف: ٤١
ج- بين المثقفين العرب والغربيين:..... ٤٢
رابعاً: المثقف في فكر إدوارد سعيد..... ٤٣
١- مفهوم المثقف العضوي ودوره عند إدوارد سعيد:..... ٤٤
٢- خصاص المثقف العضوي عند ادوارد سعيد: ٤٥
المبحث الثالث: المثقف في الفكر الغربي ٤٨
أولاً: جان بول سارتر:..... ٤٨
١- المثقف العضوي عند سارتر: ٤٨
٢- مسار تاريخ ظهور النخبة المثقفة:..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٣- دور المثقف العضوي عند سارتر: ٤٨
ثانياً: المثقف في فكر ميشال فوكو Michel Foucault:..... ٤٩
١- المثقف الخصوصي: ٤٩
٢- خصوصية المثقف:..... ٥١
٣- صفات المثقف المتخصص: ٥١
ثالثاً: المثقف في فكر بيار بورديو:..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
١- المثقف العضوي عند بيار بورديو:..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٢- أنواع المثقفين عند بورديو: ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٣- الهيمنة الثقافية بين بيار بورديو وانطونيو جرامشي**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
أ- سيرتا حياة وممارسات متوازية:..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
ب- الطبقة والسياسة والثقافة:..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
ج- الهيمنة مقابل السلطة الرمزية: ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
تعقيب: ٥٣
الفصل الثالث مفهوم المثقف عند أنطونيو جرامشي ٥٥
تمهيد: ٥٧
المبحث الأول: مبدأ استقلالية المثقف..... ٥٨
أولاً: استقلالية المثقف..... ٥٨
ثانياً: سلطة المثقف..... ٥٩

ثالثاً: المثقف بين التبعية والاستقلالية ٦١
المبحث الثاني: المثقف والثورة ٦٢
أولاً: الفرق بين الثورة والإصلاح ٦٢
ثانياً: خصائص الثورة ٦٣
ثالثاً: المثقف والتغيير ٦٤
رابعاً: معوقات التغيير التي تواجه المثقف ٦٤
١- معوقات ذاتية: ٦٤
٢- معوقات موضوعية: ٦٥
المبحث الثالث: تعريف المثقف عند جرامشي ٦٦
أولاً: تعريف المثقف عند جرامشي ٦٨
ثانياً: وظيفة المثقف عند جرامشي ٦٩
المبحث الرابع: تصنيف المثقفين عند جرامشي ٧١
أولاً: المثقف التقليدي: ٧١
١- خصائص المثقفين التقليدين: ٧١
ثانياً: المثقف العضوي: ٧٣
١- الاختلاف بين المثقف التقليدي والعضوي: ٧٣
٢- عملية التجانس: ٧٤
ثالثاً: مثقفي الشمال ومثقفي الجنوب ٧٥
١- مثقفي الشمال: ٧٦
٢- مثقفي الجنوب: ٧٦
المبحث الخامس: الثقافة الشعبية في سياسة جرامشي ٧٨
أولاً: الدين والحكمة الشعبية ٧٨
ثانياً: الاحساس والفهم والمعرفة ٧٩
المبحث السادس: الإنسان الجمعي أو الانضوائية الاجتماعية **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
المبحث السابع: المثقفون ونظرية البني الفوقية عند جرامشي **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
أولاً: شروط المثقف، متي يصبح الفرد مثقفاً؟ ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
١- الكشف عن الحقيقة: ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٢- الشجاعة الفكرية: ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٣- التبشير بمشروع اجتماعي جديد: ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

تعقيب: ٨٠
الفصل الرابع من المثقف إلي العقل السياسي..... ٨٢
تمهيد: ٨٤
المبحث الأول: مفهوم الحزب عند جرامشي ٨٥
أولاً: تعريف الحزب عند جرامشي..... ٨٥
ثانياً: وظائف الحزب عند جرامشي:..... ٨٦
المبحث الثاني: جرامشي والأمير الحديث ٨٨
أولاً: الاتفاق والاختلاف بين الحزب والأمير عند جرامشي..... ٨٨
ثانياً: الأمير بين ميكافيلي وجرامشي ٨٨
١- صفات الأمير عند ميكافيللي:..... ٨٨
٢- صفات الأمير عند جرامشي:..... ٨٩
المبحث الثالثً: مفهوم الهيمنة عند جرامشي..... ٩١
أولاً: تعريف الهيمنة عند جرامشي..... ٩١
ثانياً: الهيمنة الثقافية..... ٩٣
ثالثاً: عولمة الثقافة:..... ٩٤
رابعاً: القضاء علي هيمنة الأمم والتقاليد ٩٥
خامساً: الهيمنة في الممارسة..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
سادساً: مستويات الهيمنة:..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
المستوي الأول: عالمي: ٩٦
المستوي الثاني: محلي: ٩٦
المبحث الرابع: النظرية والممارسة في ماركسية جرامشي .. **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
المبحث الخامس: انطونيو جرامشي والتعليم من منظور ثوري ٩٧
المبحث السادس: فلاحو جرامشي..... ١٠١
المبحث السابع: فلسفة الحس العام..... ١٠٥
تعقيب: ١٠٧
الفصل الخامس جرامشي وقضايا المجتمع المدني ١٠٩
تمهيد: ١١٢
المبحث الأول: صيرورة مفهوم المجتمع المدني(*) كأداة تحليلية ومقولة معيارية ١١٣
أولاً: المجتمع المدني كأداة تحليلية ١١٣

ثانياً: المجتمع المدني كمقولة معيارية ١١٤
ثالثاً: الخلفية الفلسفية لفكر جرامشي ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
١- السياق الهيجلي والماركسي..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
أ- السياق الهيجلي: ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
ب - السياق الماركسي: ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
المبحث الثاني: الأبعاد الثلاثية لفلسفة جرامشي السياسية ١١٥
أولاً: البعد الأول مفهوم القيصرية:..... ١١٦
ثانياً: البعد الثاني مفهوم حرب المواقع ١١٩
ثالثاً: البعد الثالث المجتمع المدني..... ١٢١
١- دور المجتمع المدني ووظائفه ومكوناته: ١٢٢
٢- المجتمع المدني بين ثنائية الهيمنة والتحرر: ١٢٣
٣- المجتمع المدني بين ثنائية الدولة والاقتصاد: ١٢٤
٤- المجتمع المدني في علاقته بالاقتصاد: ١٢٦
٥- الدولة والمجتمع المدني:..... ١٢٧
٦- المجتمع المدني بين المشروعية والإلزام:..... ١٣٠
٧- معوقات قيام مجتمع مدني فاعل:..... ١٣٢
تعقيب: ١٣٤
الخاتمة وأهم النتائج..... ١٣٨
الخاتمة : ١٣٩
أهم النتائج: ١٤٠
قائمة المصادر والمراجع ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
فهرس المحتويات ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
ملخص الرسالة..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**